الشّيعة وأهل البيت

تأليف

الأستاذ: إحسان إلهي ظهير رحمه الله
١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ ١٩٤١م - ١٩٨٧م

طبعة شرعية



الإذن الخطي من ورثة الشيخ (إحسان إلهي ظهير) رحمه الله لدار الإمام المجدد بطباعة ونشر كتبه رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

In the Name of Allah the Most Beneficient the Most Merciful.

I Ibtisam Elahi Zaheer s/o Allama Ehsan Elahi Zaheer allow Abu Abur-Rehman Muhammad-Al-Mesri of Dar ul Imam-Al-Mujaddid to publish books of Allama Ehsan Elahi Zaheer

ابتسام الهي ظهير

Hafiz Ibtisam Elahi Zaheer
Director General
Idara Tarjuman-us-sunnah
Lahore Pakistan

الشِّيعَةُ وأهْلُ البَيْتِ



الطبعة الأولى لدار الإمام المجدد

للنشر والتوزيع

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع: ٢٢٠١٧/ ٢٠٠٥

دار الإمام المجدد

دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع

شارع الهدي المحمدي - مساكن عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر

جوال: ٠١٠٥٢٦١١٤٩/٠٠٢ — ٠١٠٦٤٢٦٠٣٥/٠٠٢

E-Mail : emam_mujadded@yahoo.com

نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية
للشيخ إحسان إلهي ظهير
١٣٦٠هـ - ١٤٠٧هـ

إحسان إلهي عالم باكستاني من أولئك الذين حملوا لواء الحرب على أصحاب الفرق الضالة، وبيّنوا بالتحقيق والبحث الأصيل مدى ما هم فيه من انحراف عن سبيل الله وحياد عن سنة نبيه، وإن ادعوا الإسلام وملئوا ما بين الخافقين نفاقًا وتقية.

ولد في «سيالكوت» عام (١٣٦٣هـ) ولما بلغ التاسعة كان قد حفظ القرآن كاملاً وأسرته تعرف بالانتهاء إلى أهل الحديث، وقد أكمل دراسته الابتدائية في المدارس العادية وفي الوقت نفسه كان يختلف إلى العلماء في المساجد وينهل من معين العلوم الدينية والشرعية، حيث درس كتب الحديث النبوي الشريف على يد الحافظ محمد جوندلوي - شيخ العلامة عطا الله حنيف - كما درس الفلسفة والمنطق والعقل على يد الشيخ شريف الله حتى برع فيها.

❊ الجامعة والنبوغ الجامعي:

لقد حصل الشيخ على الليسانس في الشريعة من الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وكان ترتيبه الأول على طلبة الجامعة وكان ذلك عام (١٩٦١م) وبعد ذلك رجع إلى باكستان وانتظم في جامعة البنجاب، كلية الحقوق والعلوم السياسية، وفي ذلك الوقت عُيّن خطيبًا في أكبر مساجد أهل الحديث بلاهور، ثم حصل على الليسانس أيضًا.

وظل يدرس حتى حصل على ست شهادات ماجستير في الشريعة، واللغة العربية، والفارسية، والأردية، والسياسة.وكل ذلك من جامعة البنجاب وكذلك حصل على شهادة الحقوق من كراتشي.

❊ المناصب والوظائف والدعوة:

كان رحمه الله رئيسًا لمجمع البحوث الإسلامية بالإضافة إلى رئاسة تحرير مجلة «ترجمان الحديث» التابعة لجمعية أهل الحديث بلاهور في باكستان، كذلك كان مدير التحرير

بمجلة «أهل الحديث» الأسبوعية، وكان رحمه الله عظيم الشأن في أموره كلها..رجع يوم رجع إلى بلاده ممتلئًا حماسًا للدعوة الإسلامية.

وقد عرض عليه العمل في المملكة العربية السعودية فأبى آخذًا بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة:١٢٢].

❊ يقول عنه الدكتور محمد لقمان السلفي في مجلة الدعوة:

«لقد عرفت هذا المجاهد الذي أوقف حياته بل باع نفسه في سبيل الله أكثر من خمس وعشرين سنة عندما جمعتني به رحمه الله مقاعد الدراسة في الجامعة الإسلامية، جلست معه جنبًا إلى جنب لمدة أربع سنوات فعرفته طالبًا ذكيًا يفوق أقرانه في الدراسة، والبحث، والمناظرة! وجدته يحفظ آلاف الأحاديث النبوية عن ظهر قلب كان يخرج من الفصل، ويتبع مفتي الديار الشامية الشيخ ناصر الدين الألباني، ويجلس أمامه في فناء الجامعة على الحصى يسأله في الحديث ومصطلحه ورجاله ويتناقش معه، والشيخ رحب الصدر يسمع منه، ويجيب على أسئلته وكأنه لمح في عينيه ما سيكون عليه هذا الشاب النبيه من الشأن العظيم في سبيل الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله بالقلم واللسان».

وكان الشيخ رحمه الله يتصل بالدعاة والعلماء في أيام الحج في شتى بقاع الأرض، يتداول معهم الموضوعات الإسلامية والمشاكل التي يواجهها المسلمون.

❊ دعاة الضلالة والحقد:

لكل مجاهد مخلص خصوم وأعداء، ولكل حق ضده من الباطل، وبما أن الشيخ كان سلفي العقيدة من المنتمين لأهل الحديث فقد جعله هذا في حرب فكرية دائمة مع الطوائف الضالة كالرافضة والإسماعيلية والقاديانية.

لقد كان يرفضها، ويرد على ضلالاتها، ويجابهها في كل مكان وكل منتدى شأنه شأن كل مؤمن حقيقي الإيمان يعتقد في قرارة نفسه أن الكتاب والسنة هما الطريق الأوحد ولا طريق سواه لكل من أراد أن يكون من المنتمين لدين الإسلام، ويعتقد كذلك أن أديانًا تبنى على الكذب وتتستر خلف الترهات والأباطيل لجديرة بألا تصمد

أمام النقاش وأن تتضعضع أمام سواطع الحق ونور الحقيقة.

ولهذا الأمر طفق يلقي المحاضرات، ويعقد المناقشات والمناظرات مع أصحاب الملل الضالة، ويصنف الكتب المعتمدة على مبدأ الموضوعية في النقل والمناقشة والتحقيق، وكثيرًا ما كان يرد على المبطلين بأقوالهم، ويسعى إلى كشف مقاصدهم والإبانة عن انحرافهم وضلالهم وفي كل ذلك كان يخرج من المعركة منتصرًا يعضده الحق، وينصره الله تعالى.

ولما أحس به أهل الانحراف، وشعروا بأنه يخنق أنفاسهم، ويدحض كيدهم عمدوا إلى طريقة تنبئ عن جبن خالع.. عمدوا إلى التصفية الجسدية بطريقة ماكرة!

❊ وفاته واستشهاده:

في لاهور بجمعية أهل الحديث وبمناسبة عقد ندوة العلماء كان الشيخ يلقي محاضرة مع عدد من الدعاة والعلماء، وكان أمامه مزهرية ظاهرها الرحمة والبراءة، وداخلها قنبلة موقوتة، انفجرت لتصيب إحسان إلهي ظهير بجروح بالغة، وتقتل سبعة من العلماء في الحال ولحق بهم بعد مدة اثنان آخران، وكان ذلك في٢٣-٧-١٤٠٧هـ ليلاً.

وبقي الشيخ إحسان أربعة أيام في باكستان، ثم نقل إلى الرياض بالمملكة العربية السعودية على طائرة خاصة بأمر من الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله واقتراح من العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وأدخل المستشفى العسكري، لكن روحه فاضت إلى بارئها في الأول من شعبان عام (١٤٠٧هـ)، فنقل بالطائرة إلى المدينة المنورة ودفن بمقبرة البقيع بالقرب من صحابة رسول الله.

❊ آثاره:

بالإضافة إلى محاضراته في باكستان، والكويت، والعراق، والمملكة العربية السعودية والمراكز الإسلامية في مختلف ولايات أمريكا، فقد كتب العديد من الكتب والمؤلفات التي سعى إلى جمع مصادرها من أماكن متفرقة كأسبانيا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيران، ومصر، وإليك قائمة بأسماء تلك الكتب:

١ - الشيعة والسنة (١٣٩٣هـ)، ورجع فيه إلى (٨٨) مرجعًا.
٢ - الشيعة وأهل البيت (١٤٠٣هـ) وهي الطبعة الثالثة، ورجع فيه إلى (٢٣٠) مرجعًا.
٣- الشيعة والتشيع فرق وتاريخ، ورجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.
٤ - الإسماعيلية تاريخ وعقائد (١٤٠٥هـ)، ورجع فيه إلى (٣٦٢) مرجعًا.
٥ - البابية عرض ونقد، ورجع فيه إلى (١٧٤) مرجعًا.
٦ - القاديانية (١٣٨٧٦هـ)، ورجع فيه إلى (١٥٠) مرجعًا.
٧- البريلوية عقائد وتاريخ (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلى (١٨٠) مرجعًا.
٨- البهائية نقد وتحليل (١٩٧٥م)، ورجع فيه إلى (٢٧٨) مرجعًا.
٩- الرد الكافي على مغالطات الدكتور علي عبد الواحد وافي (١٤٠٤هـ)، ورجع فيه إلى (٢٥٩) مرجعًا.
١٠ - التصوف، المنشأ والمصادر الجزء الأول (١٤٠٦هـ).
١١ - دراسات في التصوف وهو الجزء الثاني، وهذا آخرمؤلفاته، انتهى منه قبل وقوع الحادث بسبع ساعات في مدينة «سيالكوت» في ولاية البنجاب.
١٢ - الشيعة والقرآن (١٤٠٣هـ)، ورجع فيه إلى (٨٤) مرجعًا.
١٣ - الباطنية بفرقها المشهورة.
١٤ - فرق شبه القارة الهندية ومعتقداتها.
١٥ - النصرانية.
١٦ - القاديانية باللغة الإنجليزية.
١٧ - كتاب الوسيلة بالإنجليزية والأردية.
١٨ - كتاب التوحيد.
١٩ - الكفر والإسلام بالأردية.
٢٠ - الشيعة والسنة بالفارسية والإنجليزية والتايلندية.



مقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصلاة والسلام على نبيه محمد المصطفى، الذي تركنا على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يضل سالكها، ولا يهتدي تاركها، وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى، وزين الورى، ومن أحبهم إلى يوم الفناء وزوال الأرض والسماء.

وبعد فإنني ألّفت قبل السنوات التسعة كتابًا حول عقائد الشيعة ردًا على من أراد التمويه والتزوير لأهل السنة في بلادهم ومدنهم باسم التقريب، أي تقريب السنة إلى الشيعة والتشجيع، مستعملاً فيه التقية اللازمة لمذهبهم، والأكاذيب التي هي أكبر وسيلة للقوم.

فحمدًا لله أفاد الكتاب الأقارب والأباعد، الأحباء والأغيار بصورة لم أكن أتصورها آنذاك، وصار مرجعًا للمخلصين الأوفياء لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، ومثلجًا صدور المؤمنين، المتبعين أسلاف هذه الأمة وأكابرها الذين حملوا راية الله إلى الآفاق، وكسروا شوكة أعداء الله، جبابرة الأمم وطغاتها، وفرح به الأصاغر والأكابر.

وعرف الجميع حقيقة القوم التي طالما خفيت على كثير من الناس الذين خدعوا بالأباطيل والنعرات والهتافات بحب آل البيت، واتباعهم، وموالاتهم.

وعرفوا أن القوم يدينون بدين هو غير دين الله الذي جاء به محمد بن عبد الله، نبي الله وصفيه صلوات الله وسلامه عليه، ويؤمنون بالقرآن غير القرآن الموجود في أيدي الناس، والمنزل من الله على قلب المصطفى، نزل به الروح الأمين صلى الله عليه وسلم، ولهم عقائد ومعتقدات لا تـمُت إلى الإسلام بصلة والإسلام منها بريء.

كما علموا بُغض القوم وحقدهم على أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم

وشتائمهم وسبابهم إياهم، ولعله أول مرة بذكر المصادر الموثوقة، والكتب المعتمدة لدى القوم، وبعباراتهم أنفسهم مع ذكر الصفحة والمجلد والطبعة.

وعرفوا كذلك التقية الشيعية ومعتقدهم في الأئمة، وجعلهم فوق الأنبياء والرسل، بل وقريبًا من الإله الواحد، الفرد، الصمد.

وذمهم من قبل أئمتهم وأهل البيت إياهم، عرفوا كل ذلك، وأدركوا خطرهم ومكرهم وما يكتمون وراء دعوتهم أهل السنة إلى التقريب والتقارب.

وأحدث الكتاب ضجة كُبرى في الأوساط الشيعية لافتضاح أمرهم واكتشاف سرهم حتى صرخ أحد مؤلفيهم الذي حاول عبثًا الرد على الكتاب بقوله: خذ صفحة من كتاب «الشيعة والسنة» واقرأه وانظر ما فيه، ستجد كلامي حقًا لا شبهة فيه وستجد أن هذا الرجل يحاول أن يثير الرأي العام على الشيعة - إلى أن قال - وفقت في هذا العام لأداء العمرة المفردة فوجدت أن كلمات هذا الرجل تتردد على أفواه بعض المنسبين للعلم أكثر من السنين السابقة فهم يرددون تلك الكلمات كما تردد الببغاء كلماتها المحفوظة، فعلمت أن هذا من تأثير ذلك. [«كتاب الشيعة والسنة في الميزان» ص٢٥، ٢٦ لصاحب ألقاب س-خ وقد يأتي ذكر هذا الكتاب في الصفحات الآتية].

كما كتب لي أحد أئمة الشيعة من الكاظمية من العراق وهو يلومني «وفي إحدى الجمعات وجدت أحد الأصدقاء والأحباء المخلصين لي من بغداد وهو قد استمع إلى خطبتي حسب العادة ولكنه انصرف قبل إقامة الصلاة، ولما سألته بعد ذلك عن سبب انصرافه قبل الصلاة؟ قال: لأني لا أجيزها خلفك، فازداد استغرابي فقلت: وما الذي حدث؟ قال: إني قرأت «الشيعة والسنة» لأحد علماء باكستان وقرأت فيه ما جعلني أعتقد فيكم ما لم أكن أعتقده قبل ذلك، ولكني لشغفي بكم وبحبي لخطابكم جئت لأستمع الخطبة وأما الصلاة فلا. [خطاب الشيخ.. خطيب الجمعة في الكاظمية، بغداد].

فكتبت ردًا عليه، في يومه وها أنا ذا أجيب، السيد، س-خ إن كان ما كتبه غلطًا وكذبًا فبينوا وتؤجروا، وإن كان صحيحًا فارجعوا إلى الحق واتركوا ما ترون في إظهاره فضيحة وعارًا لكم في الدنيا، وسيكون في الآخرة أشد».

وعند الله في ذاك الجزاء

وسنة ٨٠ الميلادية لقيني في الحج بمكة المكرمة بعض العلماء الكبار من الشيعة وتكلموا حول كتابي وقالوا: لا ينبغي كتابة مثل هذا الكتاب في مثل هذه الظروف والآونة فقلت لهم: نعم، ولكم حق، ولكن هل لكم أن تخبروني أن في الكتاب غير ما هو موجود في كتبكم أنتم؟

فقالوا: نعم، كل مافيه من كتبنا نحن ولكن لا ينبغي إثارة المسائل كهذه، **فقلت:** ماذا تريدون؟

قالوا: وهم يطيرون فرحًا وسرورًا من استماعي وإصغائي لهم: صادر هذا الكتاب وأحرقه ولا تطبعه ثانية.

قلت: موافق، ولكن بشرط؟

أجابوا وهم لا يصدقون قولي من شدة الفرح:

بشروط ومقبولة قبل أن تذكرها، فقلت: ولا بد من الذكر، وشرط واحد؟

هات، وما هو؟

قلت: أن تصادروا جميع تلك الكتب التي نقلت عنها هذه الخرافات والخزعبلات، وإحراقها حتى لا يبقى بعد ذلك خلاف قطعًا وأبدًا، ولا ينقل عنها أحد غيري وبعدي، نستأصل الجذر حتى لا تطلع منها شجرة.

فرجعوا إلى أنفسهم وقالوا: إنك تعرف أن هذه الأشياء كانت مبعثرة، منتشرة في أوراق الكتب وصفحاتها، ولم يكن في متناول كل أحد، ولكنك ألفت وجمعتها كلها في كتاب، وأردت أن تفرق بها كلمة المسلمين؟

نعم! جمعت وألفت وجعلت هذه العقائد في متناول الجميع بعد أن كانت معروفة لدى قوم واحد، والآخرون كانوا في غفلة منها وعدم علم، ألفت حتى يكون كلا الطرفين على بينة ومعرفة لا يخدع واحد دون أحد حتى يكون التقارب، التقارب الحقيقي، ومن جانبين، لا من جانب واحد كما قال الفضل بن عباس:

لا تطمعـــوا أن تهينونـــا ونكـــرمكم	**وأن نكــف الأذى عـــنكم وتؤذونـــا**
الله يعلـــــم أنـــــا لا نحـــــبكم	**ولا نلـــــــومكم إن لا تحبونـــــــا**

وأما أن يكون بأن نكرمكم ونكرم أكابركم وأعيانكم وأنتم تبغضوننا وتبغضون أسلاف هذه الأمة ومحسنيها، وباني مجدها، ورافعي شمخها، ومعلني كلمتها، الفاتحين الغزاة، المجاهدين الكماة.

ونصدق لكم في القول ونظهر ما في قلوبنا ونفوسنا وتستعملون التقية وتبطنون خلاف ما تعلنون فلا يكون ولن يكون.

نعم! إن وجد في كتابي ما لا يوجد في كتبكم، ونسبت إليكم شيئا لم يكن فيكم فأنا مدين، وهل فيكم وفي غيركم أحد يستطيع أن يثبت شيئًا من هذا؟

فالحمد لله الذي لا أحمد أحدًا سواه، ولا أستطيع أن أحمده كما يليق بشأنه وعظمته، لم يستطيع أحد لا في العرب ولا في العجم بأن يجترئ ويقدم على ذلك مع كثرة ما كتب ردًا علي.

وحتى السيد - س-خ عندما عجز عن ذلك اصطنع رسائل واخترع خطابات لم تحملها البريد أبدًا ومن الفتيات في الإمارات العربية.

[انظر لذلك «كتاب الشيعة والسنة في الميزان» ص١٤٥، ١٤٦].

والفتيات التي قال عنهن الشاعر قديمًا:

كتـــب القتـــل والقتـــال علينـــا	**وعـــلى الغانيـــات جـــر الـــذيول**

ومن الغرائب أن الرسائل أرسلت إلى حسب قوله بباكستان ولكنها وصلت إليه في لبنان.

❊ ❊ ❊

لهم قلوب لا يفقهون بها

ولا يسعني إلا أن أقول له: عبثًا يا سيد، س-خ! كفلت نفسك بالرد أنت - وغيرك مثلك - [والكتب الأخرى التي رُدت بها عليّ لا تختلف عن هذا الكتاب].

دع المكـــارم لا ترحــــل لبغيتهـــا ... واقعـد فإنـك أنـت الطـاعم الكـاسي

وعلى كل فإن الكتاب ومع صغر حجمه كان كثير الفائدة والنتائج، وكان الإقبال عليه مدهشًا حتى طبع منه خلال هذه السنوات القليلة أكثر من مائة ألف نسخة طباعة شرعية أعني ما طبع منه بإذن مني، وأما الغير الشرعية فالله يعلم [مثلما طبع في بعض البلاد العربية]، هذا باللغة العربية، أما باللغات الأخرى الفارسية وغيرها فغير محسوب.

أما هذا الكتاب، فكتاب مستقل عن ذلك، وأقصد من كتابته أولاً هو تعريف الشيعة، وتبيين حقائقها، وإظهار خفاياها، وإلقاء الأضواء عليها، وعلى المسائل التي اخترعوها، والعقائد التي ابتكروها وأوجدوها - للشيعة أنفسهم -.

لأننا أدركنا القوم أنفسهم وخاصة العوام منهم لا يعرفون مذهبهم الحقيقي، ومعتقداتهم الأصلية [نعم! الأصلية وأما العقائد التي يبديها ويظهرها بعض منهم أمام السنة من إنكار التحريف وغيره فليس الغرض منها إلا خداع السنة عملاً بالتقية]. فهم في جهل كامل، وغفلة عميقة عن حقيقة مذهبهم الذي اعتنقوه وراثة، أو مخدوعين باسم حب أهل بيت النبي والولاء لهم، وهم لا يعرفون حتى وأهل البيت، لأن القوم ما أرادوا من أهل البيت أهل بيت النبي، بل يقصدون من وراء هذه الكلمة أهل البيت علي لا النبي، وحتى علي لا يعدون جميع أولاده من أهل البيت مع من فيهم بناته اللاتي أنجبتهم فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم، بل يقصدون من ذلك أشخاصًا معدودين يعدون على أنامل اليد الواحدة كما سيرى القارئ في الكتاب.

فأولاً وأصلاً كتبنا هذا الكتاب لأولئك المخدوعين، المغترين، الغير العارفين حقيقة القوم وأصل معتقداتهم كي يدركوا الحق ويرجعوا إلى الصواب إن وفقهم الله

لذلك، ويعرفوا أن أهل البيت - نعم - وحتى أهل بيت علي رضي الله عنهم أجمعين لا يوافقون القوم ولا يقولون بمقالتهم، بل هم على طرف والقوم على طرف آخر، وكل ذلك من كتب القوم وبعباراتهم هم أنفسهم، وهذا مع ادعائهم اتباعهم وإطاعتهم وولائهم وموالاتهم.

كما يكون الكتاب حجة قاطعة وبرهانًا ساطعًا في أيدي السنة، مطيعي كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، ومحبي الصحابة، ومتبعي السلف الصالح لهذه الأمة، والسالكين مسلكهم، والمقتفين آثارهم، والمتبعين منهجهم.

طبقًا لقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومصداقًا لقوله جل وعلا: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [سورة التوبة الآية ١٠٠].

ومن الطرائف أن القوم لشدة بغضهم أصحاب رسول الله العظيم صلوات الله وسلامه عليه، ورضوان الله عليهم أجمعين، نبذوا وحتى تعليمات أئمتهم الذين يزعمونهم معصومين، لا يصدر عنهم الخطأ والزلل، والثابتة في كتبهم أنفسهم، لا في كتب مخالفيهم ومعانديهم.

كما نسوا تلك الروابط والعلائق التي كانت تربطهم مع الآخرين من الصديق، والفاروق، وذي النورين، ومعاوية خال المؤمنين، وغيرهم من أجلة صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، ورفاقه، ووزرائه، ومستشاريه، وتلامذته، ومريديه رضي الله عنهم أجمعين والمذكورة المحفوظة في كتبهم أيضًا.

والقارئ يرى العجائب الناطقة إن شاء الله في هذا الموضوع الذي لعله يكون فريدًا في نوعه بهذه السعة والثبوت بتوفيق الله إياي، ومنّه. وكرمه، ويندهش بعد ما يرى دلائل الصدق تبدد غيوم الضغائن القديمة والأحقاد المتوارثة والجهل السائد الموروث من جيل إلى جيل باسم أهل البيت وعلى حسابهم، أهل البيت الذين كانوا هم أخلص المخلصين لرفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، والمتوادين، المتعاطفين، المتراحمين، المتحابين ما بينهم، المتزوجين منهم والمزوجين لهم.

ويرى القارئ أيضا كيف أخرجنا وأثبتنا كل هذا ووضعنا النقاط على الحروف من خلال كتبهم الكثيرة المعتمدة، ومن بين خفاياها وزواياها التي طالما غطوها، وغلفوها بغلافات كثيفة، كثيرة، وستروها وأخفوها عن العامة خوفًا من الفضيحة، وشكرًا لله لم نحتج ولا إلى كتاب واحد لإثبات الحق وإبطال الباطل، وكشف النقاب عن وجه الحقيقة، وإماطة اللثام عن جبين الصدق، إلى كتاب واحد ولا إلى رواية واحدة ولو تاريخية غير روايات القوم وكتبهم، ولم يكن هذا إلا بمنّ الله علينا، حتى يكون أقطع للحجة وأثبت، وألزم للقوم وأفهم ولا يبقى أمامهم مجال للهرب، ولا للفرار، ولا لتأويل، ولا لتزوير.

فكُتُب القوم تشهد عليه، ورواياتهم تنطق ضدهم، و ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٤]، وأئمتهم يشهدون عليهم بأنهم خالفوهم في حياتهم، ويخالفونهم بعد وفاتهم، وهم أثبتوا بأنهم فعلا خالفوهم ولا زالوا يخالفونهم، يعملون ضد ما أُمروا، ويتفوهون بما لم يؤمروا، ويعاندون من والوهم، ويسبون من صاهروهم ويشتمون من استشاروهم واستوزروهم، ثم لم يقتصروا على ذلك فحسب، بل تجاوزوا إلى إهانة أهل البيت أنفسهم، والطعن والنقد والجرح فيهم، واستصغارهم واحتقارهم، ووصلوا إلى حد الإساءة والسباب والشتيمة في حقهم كما تجرؤا على أنبياء الله ورسله، وتطاولوا على خير الخلق وسيد البشر صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين.

كذبوا عليهم، ونسبوا إليهم مسائل يمجها العقل، ويزدريها الفكر، وتأباها الفطرة السليمة، وينكرها الذوق، وكل هذا من كتبهم الموثوقة. المعتبرة، المعتمدة لديهم، والتي طبعوها أنفسهم أيضًا بثبت المصادر والمراجع، وبذكر الصفحات، والمجلدات، والطبعات بالأرقام والحروف.

ولا نظن أن يجترئ أحد منهم على أن يكذب ما ذكرناه، أو ينكر ما أثبتناه إن شاء الله.

ونعتقد أن الله ينفع بهذا الكتاب أُناسًا كما نفع بسابقه وأن يهدي به من أراد هدايته.

وبذلك نرى أننا وفينا الوعد الذي وعدنا به في كتابنا الأول بأن نُتبعه بكتاب آخر،

وهاهو ذا الكتاب نقدمه اليوم بين أيدي القُراء راجين منهم أن يخبرونا بآرائهم حوله، وهل يحتاجون بعد هذا إلى مختصر آخر حتى نعده لهم، ونقدمه إليهم؟ لأننا أثناء تصفحنا كتب القوم وجدنا أشياء كثيرة كانت غامضة وخافية وحتى علينا نحن، ولعل الله يهيئ الأسباب لإخراجها من دفائن الكتب وطياتها، وإبرازها للناس، وما ذلك على الله بعزيز.

وأخيرًا لا يسعني إلا وأن أذكر ههنا أن المشائخ والأخوة الكثيرين لهم يد كبرى في تأليف هذا الكتاب وإبرازه للناس حيث ألحوا على بمواصلة الكتابة حول هذا الموضوع الذي ازداد احتياج الناس اليه في الآونة الأخيرة لعدم معرفتهم المعرفة الحقيقية معتقدات القوم الأصلية ومواقفهم تجاه سلف هذه الأمة ومحسنيها وكثرة اشتغال الكتاب والمؤلفين من الشيعة بالكتابة ضد السنة وأسلافهم، وعقائدهم المبنية على الكتاب والسنة فإنه لا يصدر كتاب من الشيعة - وما أكثره - إلا ويكون مليئًا بالجرح والقدح في أصحاب رسول الله وعلى رأسهم الخلفاء الراشدين الثلاثة وأمهات المؤمنين أزواج النبي الطيب الطاهر صلوات الله وسلامه عليه ورضوان الله عليهم أجمعين، واللعن والطعن فيهم ومن أحبهم وتبعهم واهتدى بهديهم.

ولغفلة السنة عامة عما يصنعه إخوة يوسف من نشر التهم والأكاذيب، ومن تدبير المؤامرات ونسج الأباطيل حولهم وضدهم.

وصلى الله تعالى وبارك وسلم على محمد خير البرية وعلى أصحابه البررة الأطهار وعلى آله الطيبين الأخيار ومن تبعهم إلى يوم الدين، والله حسبي وهو ولي التوفيق ونعم الوكيل.

إحسان إلهي ظهير
إبتسام كاتيج - لاهور
٨ شوال ١٤٠٢ هـ
١٦ يوليو ١٩٨٢ م



مقدمة الطبعة الخامسة

لم يكن في بالنا يوم طبعنا هذا الكتاب أن يلقى هذا القبول والرواج حيث لا يخرج من المطبعة إلا وتنفد جميع نسخه في شهر واحد، ونضطر إلى طبعه مرة ثانية، وبكمية كبيرة جدًّا في الشهر الثاني فقط، كما لم يكن في حسباننا أن لا يمضي شهر آخر إلا ونحتاج إلى طبعة أخرى بعدد ضخم أكثر من المرة الأولى والثانية، وتقديراتنا تلك المرة أيضًا كانت خاطئة حيث عقبنا تلك الطبعة، الطبعة الرابعة، وها نحن نطبعه طبعة خامسة ولم يمض على صدوره تسعة أشهر، فلله الحمد من قبل ومن بعد، وهو الذي وفقنا لهذا العمل الذي لم نعمله إلا ابتغاء لمرضاته وحبًّا لأصحاب نبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه ورضوان الله عليهم أجمعين.

والجدير بالذكر أنه صدر لنا في خلال هذه المدة كتاب آخر عن الشيعة ألا وهو «الشيعة والقرآن» وقد لقى نفس القبول بفضل الله، كما صدر لنا كتاب آخر «البريلوية».

فنحمدك يا رب على نعمائك اللامتناهية وكرمك اللامحدود، ونسألك يا الله المزيد من التوفيق والعمل لرفع شأن دينك والدفاع عن حوزته، وصل على رسولك ونبيك ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

إحسان إلهي ظهير
٢٤ سبتمبر ١٩٨٣ م

الباب الأول

الشيعة وأهل البيت

يزعم الشيعة أنهم موالون لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ومحبون لهم، ومذهبهم مستقاة من أقوالهم وأفعالهم، ومبني على آرائهم ومروياتهم.

وقبل أن نبحث عن هذا، ونتحقق، ونعلم صدق هذا القول وكذبه أردنا في هذا الباب أن نعرف ونعرّف القارئ والباحث من هم أهل البيت؟ ومن هم الذين يقصدون بهذه اللفظة؟ وأيضًا وما معنى الشيعة، ومن يرادون بها؟

«فأهل البيت مركب من الأهل والبيت، فقد قال صاحب القاموس: «أهل الأمر ولاته، وللبيت سكانه، وللمذهب من يدين به، وللرجل زوجة كأهلته، وللنبي أزواجه وبناته، وصهره علي رضي الله عنه». [ولا أدري من أين جاء هذا التخليص لعلي رضي الله عنه دون أصهاره الآخرين من عثمان زوج ابنتي النبي صلى الله عليه وسلم ذي النورين، وأبي العاص بن الربيع والد أمامة وزوج زينب، فإن قبل لكونه ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان وحيدًا أما كان له الأخوة جعفر وعقيل؟ ثم ولم أخرج عم النبي صلى الله عليه وسلم الذي جعله صنو أبيه ألا وهو عباس بن عبد المطلب، وأبنائه، وأولاده، فهل من مجيب]، أو نسائه، وللرجال الذين هم آله ولكل نبي أمته».

[«القاموس» ص٤٣٢ ج٣ فصل الهمزة والباب باب اللام ط البابي الحلبي مصر ١٩٥٢م].

وقال الزبيدي: والأهل للمذهب من يدين به ويعتقده، والأهل للرجل زوجته، ويدخل فيه أولاده، وبه فسر قوله تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي زوجته وأهله، والأهل للنبي صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصهره علي رضي الله عنه، أو نسائه، وقيل أهله الرجال الذين هم آله ويدخل الأحفاد والذريات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ وقوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ وإن أهل كل نبي أمته وأهل ملته ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ

﴿وَٱلزَّكَوٰةِ﴾، وقال الراغب وتبعه المناوي: أهل الرجل من يجمعه نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل من يجمعه وإياهم مسكن واحد، ثم تجوز به فقيل: أهل بيته من يجمعه وإياهم نسب أو ما ذكر، وتعورف في أسرة النبي صلى الله عليه وسلم مطلقًا - إلى أن قال -: آل الله ورسوله أولياءه وأنصاره، ومنه قول عبد المطلب في جد النبي صلى الله عليه وسلم في قصة الفيل:

وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

[«تاج العروس» للزبيدي].

وقال ابن المنظور الأفريقي: أهل المذهب من يدين به، وأهل الأمر ولاته، وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه وبناته وصهره اعني عليًا عليه السلام، وقيل: نساء النبي صلى الله عليه وسلم، وأهل كل نبي أمته - إلى أن قال: وأهل الرجل وأهلته زوجه، وأهل الرجل يأهل أهلاً وأهولاً وأهل تزوج، وأهل فلان امرأة يأهل إذا تزوجها فهي مأهولة، والتأهل التزوج وفي باب الدعاء آهلك الله في الجنة إيهالاً، أي: زوجك فيها، وأدخلكها، وفي الحديث «أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى الآهل حظين والعزب حظًا»، والآهل الذي له زوجة والعزب الذي لا زوجة له.. وآل الرجل أهله، وآل الله ورسوله أولياءه أصلها أهل، ثم أبدلت الهاء همزة، فصار في التقدير أأل، فلما توالت الهمزتان أبدلت الثانية ألفًا.

[«لسان العرب» لابن المنظور الأفريقي ص٢٨، ٢٩، ٣٠ ج١١ دار صادر بيروت].

وقال الجوهري: أهِل فلان أي تزوج.. قال أبو زيد: آهلك الله في الجنة أي أدخلكها وزوجك فيها» [«الصحاح للجوهري» ج٤ ص١٦٢٩ ط دار الكتاب العربي بمصر].

وقال الزمخرشي في الأساس: تأهل تزوج وآهلك الله في الجنة إيهالاً زوجك.

[«أساس البلاغة» ص١١ ط مصر ١٩٥٣م].

وقال الخليل: أهل الرجل زوجه، والتأهل التزوج وأهل الرجل أخص الناس به وأهل البيت سكانه وأهل الإسلام من يدين به.

[«مقاييس اللغة» لأبي الحسين أحمد بن فارس زكريا ج١ ص١٥٠ ط بيروت].

وقد قال الإمام الراغب الأصفهاني: أهل الرجل من يجمعه وإياهم نسب أو دين أو ما يجري مجراهما من صناعة وبيت وبلد، فأهل الرجل في الأصل من يجمعه وإياهم مسكن واحد ثم تجوز به فقيل أهل بيت الرجل لمن يجمعه وإياهم النسب، وتعورف في أسرة النبي صلى الله عليه وسلم مطلقًا إذا قيل: أهل البيت لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، وعبّر أهل الرجل بامرأته وأهل الإسلام الذين يجمعهم – إلى أن قال – وتأهل إذا تزوج، ومنه قيل آهلك الله في الجنة أي زوجك فيها. [«المفردات في غرائب القرآن» ص٢٨ ط كراتشي – باكستان].

وقال تحت لفظة آل: الآل مقلوب من الأهل – إلى أن قال – ويستعمل في من يختص بالإنسان اختصاصًا ذاتيًا، إما بقرابة قريبة أو موالاة قال عز وجل: ﴿وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ﴾، وقال: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾، قيل: وآل النبي صلى الله عليه وسلم أقاربه، وقيل: المختصون به من حيث العلم، وذلك أن أهل الدين ضربان، ضرب مختص بالعلم المتقن، والعمل المحكم، فيقال لهم: آل النبي وأمته، وضرب يختصون بالعلم على سبيل التقليد، ويقال لهم: أمة محمد، ولا يقال لهم آله فكل آل للنبي أمة له، وليست كل أمة آل له، وقيل لجعفر الصادق رضي الله عنه: الناس يقولون: المسلمون كلهم آل النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال: كذبوا وصدقوا فقيل له: ما معنى ذلك؟ فقال: كذبوا أن الأمة كافتهم آله، وصدقوا في أنهم إذا قاموا بشرائط شريعته آله [المفردات للراغب الأصفهاني ص٢٩، ٣٠].

وقال محمد جواد مغنية الشيعي المعاصر: أهل البيت في اللغة سكانه، وآل الرجل أهله، ولا يستعمل لفظ «آل» إلا في أهل رجل له مكانة، وقد جاء ذكر أهل البيت في آيتين من القرآن، الأولى الآية ٧٣ من سورة «هود»: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾، والثانية الآية ٣٣ من سورة «الأحزاب»: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ واتفق المفسرون أن المراد بالآية الأولى أهل البيت إبراهيم الخليل، وبالآية الثانية أهل بيت محمد بن عبد الله، وتبعًا للقرآن استعمل المسلمون لفظ أهل البيت وآل البيت في أهل بيت محمد خاصة، واشتهر هذا

اللفظ حتى صار علمًا لهم، بحيث لا يفهم منه غيرهم إلا بالقرينة، كما اشتهرت المدينة بيثرب مدينة الرسول.

اختلف المسلمون في عدد أزواج النبي، فمن قائل أنهن ثماني عشر امرأة، ومنهم من قال: إنهن إحدى عشرة، وعلى أي الأحوال فقد أقام مع النساء سبعًا وثلاثين سنة، رزق خلالها بنين وبنات، ما تواكلهم في حياته ولم يبق منهم سوى ابنته فاطمة، وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن علي بن أبي طالب: وفاطمة، والحسن والحسين من آل البيت في الصميم. [الشيعة في الميزان ص٤٤٧ ط دار الشروق بيروت].

ويظهر من هذا كله أن أهل البيت يطلق أصلاً على الأزواج خاصة، ثم يستعمل في الأولاد والأقارب تجاوزًا، وهذا ما يثبت من القرآن الكريم كما وردت هذه اللفظة في ذكر قصة خليل الله عليه الصلاة والسلام لما جاءت رسل الله إبراهيم بالبشرى، فقال الله عز وجل في سياق الكلام: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَـٰهَا بِإِسْحَـٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَـٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَـٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَـٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَـٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾.

[سورة هود الآية ٧١، ٧٢، ٧٣].

فاستعمل الله عز وجل هذه اللفظة بلسان ملائكته في زوجة إبراهيم صلوات الله وسلامه عليه لا غير.

ولقد أقر بذلك علماء الشيعة ومفسروها كالطبرسي [هو أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي من أكابر علماء الشيعة في القرن السادس، وتفسيره يقع في خمس مجلدات وعشرة أجزاء] في مجمع البيان [ج٣ ص١٨٠ ط دار إحياء التراث العربي بيروت] والكاشاني [هو الملا فتح الله الكاشاني من علماء الشيعة المتعصبين، ولم يصنف تصنيفه إلا ردًا بمنهج الصادقين في إلزام المخالفين] في منهج الصادقين [ج٤ ص٤٩٣ ط طهران]. ولو التجئوا بعد ذلك إلى تأويلات كاسدة فاسدة.

وهكذا قال الله عز وجل في كلامه المحكم في قصة موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ

ءَانَسْتُ نَارًا﴾ [سورة القصص الآية ٢٩].

فالمراد من الأهل زوجة موسى عليه الصلاة والسلام كما أجمع عليه مفسروا الشيعة كلهم بأن المراد من الأهل ها هنا الزوجة لأنه لم يكن مع موسى غيرها، ولقد يقول الطبرسى مفسرًا أهل موسى، في سورة النمل أي في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي امرأته وهي بنت شعيب [تفسير مجمع البيان ج٤ ص٢١١ سورة النمل].

وأيضًا تحت قوله تعالى: ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾ أي: بامرأته [ج٤ ص٢٥٠ سورة القصص].

وأيضًا القمي [هو أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، إمام مفسري الشيعة وأقدمهم، من أعيان القوم في القرن الثالث من الهجرة] في تفسيره [ج٢ ص١٣٩ ط نجف ١٣٨٦هـ].

والعروسي الحويزي [هو عبد الله علي بن جمعة، المتوفى ١١١٢ه من الشيعة المتعصبين] في تفسيره نور الثقلين [ج٤ ص١٢٦ ط قم].

والكاشاني في تفسيره منهج الصادقين [ج٧ ص٩٥ سورة القصص] وغيرهم.

وهكذا وردت لفظة أهل البيت في القرآن المجيد في سورة الأحزاب أيضًا الآية ٣٣: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ ولم ترد هذه اللفظة إلا في سياق قصة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ۝﴾ [سورة الأحزاب الآية ٣٣، ٣٤].

ويظهر بداهة ولأول وهلة لمن قرأ هذه الآيات الكريمة أن هذه اللفظة لم ترد إلا في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لأن صدر الآية وقبلها من الآيات لم يخاطب بها إلا أزواجه عليه الصلاة والسلام، وكذلك الآية التي تليها ليس فيها ذكر غيرهن.

وعلى ذلك قال ابن أبي حاتم وابن عساكر برواية لعكرمة وابن مردويه برواية سعيد بن جبير عن ابن عباس أن هذه الآية لم تنزل إلا في أزواج النبي عليه الصلاة والسلام [انظر لذلك دائرة المعارف الإسلامية اردو مقال المستشرق A. S. THRITION ج٣ ص٥٧٦ ط لاهور باكستان].

وقد قال الشوكاني في تفسيره: قال ابن عباس وعكرمة وعطاء والكلبي ومقاتل وسعيد بن جبير: إن أهل البيت المذكورين في الآية هن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، قالوا: والمراد من البيت بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومساكن زوجاته لقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾، وأيضًا السياق في الزوجات ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

[تفسير فتح القدير للشوكاني ج٤ ص٢٧٠ ط مصطفى البابي الحلبي مصر ١٣٤٩هـ].

وأيضًا ورد في الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل في حجرة عائشة رضي الله عنها، فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته [البخاري، كتاب التفسير].

وأيضًا المقصود من بيت النبي صلى الله عليه وسلم بيته الذي يسكنه مع أزواجه صلى الله عليه وسلم.

فالحاصل أن المراد من أهل بيت النبي أصلاً وحقيقة أزواجه عليه الصلاة والسلام، ويدخل في الأهل أولاده وأعمامه وأبناءهم أيضًا تجاوزًا، كما ورد أن الرسول صلى الله عليه وسلم أدخل في كسائه فاطمة والحسنين وعليًا وقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي: ليجعلهم شاملاً في قوله عز وجل: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت: كما أدخل عمه العباس وأولاده في عبائه لتشملهم أيضًا هذه الآية.

ولقد وردت بعض الروايات التي تنص أن بني هاشم كلهم داخلون في أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم.

وأما الشيعة فأرادوا عكس ذلك، فحصروا أهل بيت النبوة في هؤلاء الأربعة، علي، وفاطمة، ثم الحسن، والحسين، وأخرجوا منهم كل من سواهم، ثم اخترعوا طريقة أخرى، فأخرجوا أولاد علي غير الحسنين رضي الله عنهم من أهل البيت ولا يعدون بقية أولاده من أهل البيت من محمد بن الحنفية، وأبي بكر، وعمر، وعثمان، والعباس، وجعفر، وعبد الله، وعبيد الله، ويحيى، ولا أولادهم من الذكور الاثنى عشر، ولا من

البنات ثماني عشر ابنة، أو تسع عشرة ابنة على اختلاف الروايات، كما أخرجوا فاطمة رضي الله عنها ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث لا يعدون بناتها زينب وأم كلثوم ولا أولادهما من أهل البيت، وهذه نكتة وطريفة، ومثل هذا الحسن بن علي، حيث لا يجعلون أولاده داخلاً في أهل البيت وكذلك أخرجوا من أهل البيت كلاً من أولاد الحسين من لا يهوى هواهم، ولا يسلك مسلكهم، ولا ينهج منهجهم، وهذا أطرف من الأول.

ولذلك أفتوا على كثيرين من أولاد الحسين، الأولين منهم بالكذب والفجور والفسوق، وحتى الكفر والإرتداد، كما شتموا وكفروا أبناء أعمام الرسول وعماته وأولادهم، وحتى أولاد أبي طالب غير علي رضي الله عنه.

والجدير بالذكر أنهم أخرجوا بنات النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة غير فاطمة، وأزواجهن، وأولادهن من أهل البيت بدائيًا، ولا ندري أي تقسيم هذا، وأية قسمة هذه، وعلى أي أساس ابتنوها واختاروها؟

ثم وفي التعبير الصحيح والصريح أن الشيعة لا يرون أهل البيت إلا نصف شخصية فاطمة، ونصف شخصية علي، ونصف شخصية الحسن وبقية الأئمة التسعة عندهم من الحسين إلى الحسن العسكري، والعاشر المولود الموهوم، المزعوم، الذي لم يولد قطعًا ولن يولد أبدًا.

فهذه هي حقيقة مفهوم أهل البيت عند القوم، ولو أردنا التوسع فيه لأطلنا الكلام ولكننا نقتصر على هذا بما فيه كفاية لفهم البحث والمسألة.

وأما الشيعة، فقد قال الزبيدى: كل قوم اجتمعوا على أمر فهم الشيعة، وكل من عاون إنسانًا وتحزب له فهو شيعة له، وأصله من المشايعة وهي المطاوعة والمتابعة [تاج العروس للزبيدي ج٥ ص٤٠٥].

وقال ابن المنظور الأفريقي: الشيعة، القوم الذين يجتمعون على أمر، وكل قوم اجتمعوا على أمر، فهم الشيعة، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًا وأهل بيته [لسان العرب ج٨ ص١٨٨].

وقال النوبختي: [هو أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي من علماء الشيعة الكبار،

المعتمدين عندهم، عاش في القرن الثالث من الهجرة] إمام الشيعة في الفرق: الشيعة، وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام، المسمون بشيعة علي عليه السلام في زمان النبي صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم إليه، والقول بإمامته، وافترقت الشيعة ثلاث فرق، فرقة منهم قالت: إن عليًا إمام مفترض الطاعة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله... وإن الإمامة جارية في عقبه... وفرقة قالت: إن عليًّا كانت أولى الناس برسول الله... وأجازوا بعد ذلك إمامة أبي بكر وعمر، وعدوهما أهلا لذلك المكان والمقام، وذكروا أن عليًّا عليه السلام سلم لهما الأمر، رضى بذلك، بايعهما طائعًا، غير مكره. [«فرق الشيعة» لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي ص٣٩ إلى ٤٢ ملخصًا ط مطبعة الحيدرية ١٩٥٩م].

ويقول الشيعي المشهور السيد محسن أمين في كتابه نقلاً عن الأزهري:

والشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم، ويوالونهم [«أعيان الشيعة» ج١ ص١١ البحث الأول ط بيروت ١٩٦٠م].

وينقل أيضًا عن تاج الدين الحسيني نقيب حلب ما نصه:

شيعة الرجل أتباعه وأنصاره، ويقال: شايعه، كما يقال والاه من الولي وهو شايع، وكأن الشيعة لما اتبعوا هؤلاء القوم، واعتقدوا فيهم ما اعتقدوا سموا بهذا الاسم لأنهم صاروا أعوانًا لهم وأنصارًا وأتباعًا فأما من قبل حين أفضت الخلافة من بني هاشم إلى بني أمية وتسلمها معاوية بن صخر من الحسن بن علي وتلقفها من بني أمية رجل فرجل - نفر كثير من المسلمين من المهاجرين والأنصار عن بني أمية ومالوا إلى بني هاشم وكان بنو علي وبنو العباس يومئذ في هذا شرع فلما انضموا إليهم واعتقدوا أنهم أحق بالخلافة من بني أمية وبذلوا لهم النصرة والموالاة والمشايعة سموا شيعة آل محمد ولم يكن إذ ذاك بين بني علي وبين بني العباس افتراق في رأي ولا مذهب فلما ملك بنو العباس وتسلمها سفاحهم من بني أمية نزغ الشيطان بينهم وبين بني علي فبدا منهم في حق بني علي ما بدا، فنفر عنهم فرقة من الشيعة وأنكرت فعلهم ومالت إلى بني علي واعتقدت أنهم أحق بالأمر وأولى وأعدل فلزمهم هذا الاسم فصار المتشيع اليوم الذي

يعتقد إمامة أئمة الإمامية من بني علي عليه السلام إلى القائم المهدي محمد بن الحسن لا الموالي لبني علي والعباس كما كان من قبل ا. هـ. [«أعيان الشيعة» ص١٣، ١٤ المنقول من كتاب غاية الإختصار في أخبار البيوتات العلمية المحفوظة من الغبار].

ويقول شيعي معاصر آخر: الشيعة في معناها الأصلي اللغوي أتباع الرجل وأنصاره، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليًا وأهل بيته [«الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» للسيد أمير محمد الكاظمي القزويني ص١٦ ط الكويت. ويظهر من هذا ومما مر أن الشيعة ليسوا أتباع آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، بل هم موالون لأهل بيت علي دون نبي، والفرق واضح وجلي].

وقد أثبتنا فيما قبل أن الشيعة لا يوالون أهل بيت علي كلهم اللهم إلا الرجال المعدودين، وهم يخالفونهم أيضًا، وتعاليمهم الحقيقية كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقد قال المغنية: الشيعة من أحب عليًا وتابعه أو من أحبه ووالاه.

[«الشيعة في الميزان» ص١٧ و١٩].

وكتب محمد الحسين آل كاشف الغطاء «إن هذا الاسم – أي: الشيعة – غلب على أتباع علي وولده [ويناقض هذا القول وما قبله ما نقله السيد محسن أمين عن الأزهري حيث يقول: الشيعة قوم يهوون هوى عترة النبي صلى الله عليه وسلم ويوالونهم.

ومن الغرائب أن الأقوال متضاربة جدًا حول معنى الشيعة في كتب القوم أنفسهم ولم يصرح واحد من مؤلفيهم معنى التشيع واضحًا جليًا، ومعنى جامعًا مانعًا، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، ولو لم يبعدنا هذا عن موضوعنا لنقلنا فيه العجائب المتناقضة المتضاربة من القوم أنفسهم] ومن يواليهم حتى صار اسمًا خاصًا بهم».

[«أصل الشيعة وأصولها» ط بيروت ١٩٦٠م].

فهؤلاء هم الشيعة وأولئك هم أهل البيت.

وقد بالغ القوم في موالاة علي وأولاده، وحبهم ومدحهم مبالغة جاوزوا الحدود، وأسسوا عليها ديانتهم ومذهبهم حتى صار مذهبًا مستقلاً ودينًا منفصلاً عن الدين الذي جاء به محمد الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، واخترعوا روايات

كاذبة، واختلقوا أحاديث موضوعة، وقالوا: أن لا دين إلا لموالي علي، وآله، ومحبيهم، إظهارًا شغوفهم بهم، ومودتهم فيهم، واحترامهم لهم ومتابعتهم إياهم، وتعلقهم بهم، ونسبتهم إليهم - كذبًا وزورًا - كما رووا حديثًا في كافيهم [الكافي للكليني، يعد من أهم مصادر الأحاديث الشيعية وكتبها، كما أنه أحد الصحاح الأربعة عندهم، ومنزلته عند القوم كمنزلة الصحيح البخاري عند السنة].

عن بُريد بن معاوية أنه قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام في فسطاط بمنى، فنظر إلى زياد الأسود منقلع الرجل فرثى له فقال له: ما لرجليك هكذا؟ قال: جئت على بكر لي نضو، فكنت أمشى عنه عامة الطريق، فرثى له، وقال له عند ذلك زياد: إني ألم بالذنوب حتى إذا ظننت أني هلكت ذكرت حبكم فرجوت النجاة، وتجلى عني، فقال أبو جعفر عليه السلام: وهل الدين إلا الحب ... وإن رجلاً أتى النبي (ص)، فقال: إني لأحب المصلين ولا أصلي، وأحب الصوامين ولا أصوم؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله: أنت مع من أحببت، ولك ما اكتسبت، وقال: ما تبغون وما تريدون أما أنها لو كان فرعة من السماء فزع كل قوم إلى مأمنهم، وفزعنا إلى نبينا وفزعتم إلينا [كتاب الروضة من الكافي لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني المتوفى ٣١٩هـ باب وصية النبي لأمير المؤمنين ج٨ ص٨٠ ط دار الكتب الإسلامية طهران].

وكما ورد أيضًا في الأصول من الكافي «قال أبو جعفر عليه السلام - إمامهم الخامس -: حبنا إيمان، وبغضنا كفر» [الأصول من الكافي كتاب الحجة ج١ ص١٨٨].

وأيضًا «لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه، ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلمًا لنا. فإذا كان سلمًا لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من يوم الفزع الأكبر» [الأصول من الكافي ج١ ص١٩٤].

ونقلوا عنه أيضًا في كافيهم الذي قال فيه غائبهم: كاف لشيعتنا [منتهى الآمال ص٢٩٨ والصافي ج١ ص٤ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٥٣٢، ٥٣٣ ونهاية الدراية ص٢١٩ وروضات الجنات ص٥٥٣ نقلاً عن معاشر الأصول ص٣١].

نقلوا عن أبي حمزة أنه قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام: إنما يعبد الله من يعرف الله

فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً قلت: جُعلت فداك فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم وآله وموالاة علي عليه السلام والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم. هكذا يعرف الله عز وجل».

[الأصول من الكافي ج١ ص١٨٠ كتاب الحجة باب معرفة الإمام والرد عليه].

ولأن أئمتهم لهم مقام ومنصب لا يقل عن النبوة والرسالة كما قال السيد الخُميني زعيم إيران اليوم في كتابه «ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية» ما نصه:

إن من ضروريات مذهبنا أنه لا ينال أحد المقامات المعنوية الروحية للأئمة حتى ملك مقرب ولا نبي مرسل، كما روى عندنا بأن الأئمة كانوا أنوارًا تحت ظل العرش قبل تكوين هذا العالم... وأنهم قالوا إن لنا مع الله أحوالاً لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهذه المعتقدات من الأسس والأصول التي قام عليها مذهبنا» [«ولايت فقيه در خصوص حكومت إسلامي» النائب الإمام الخميني تحت باب ولايت تكويني من الأصل الفارسي ص٥٨ طهران].

وما قاله السيد الخميني ليس بغريب ولا جديد، بل هو عقيدة القوم في أئمتهم، كما رواه ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق في كتابه الذي يعد واحدًا من الصحاح الأربعة للقوم، ينسبه إلى الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه «إن جابر بن عبد الله الأنصاري سأله يومًا، فقال: يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك وحال الأوصياء بعدك في الولاية؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله مليًا، ثم قال: يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلا ذو حظ عظيم، إن الأنبياء والأوصياء مخلوقون من نور عظمه الله جل ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلابًا طيبة، وأرحامًا طاهرة، يحفظها بملائكته، ويربيها بحكمته، ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجل عن أن يوصف، وأحوالهم تدق أن تعلم، لأنهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاءه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه، يا جابر! هذا من مكنون العلم ومخزونه فاكتمه إلا من أهله» [من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٤١٤ و٤١٥ باب النوادر في أحوال الأنبياء والأوصياء في الولاية].

ويذكر الكليني أن الإمامة فوق النبوة والرسالة والخلة كما يكذب على جعفر بن محمد الباقر – الإمام السادس عندهم – أنه قال: إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبدًا قبل أن يتخذه نبيًا وإن الله اتخذه نبيًا قبل أن يتخذه رسولاً وإن الله اتخذه رسولاً قبل أن يتخذه خليلاً وإن الله اتخذه خليلاً قبل أن يتخذه إمامًا».

[كتاب الحجة من الأصول ج١ ص١٧٥، ومثله نقله عن أبيه أيضًا].

وقد بوّب الحر العاملي [هو محمد بن الحسن المشغري، العاملي، المولود ١٠٣٢هـ في قرية مشغر من قرى جبل العامل، وهو من كبار القوم وعلمائهم وألف كتبًا عديدة، ومنها هذا الكتاب وكتاب «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة»، جمع فيه أحاديث شيعية في الأحكام الشرعية من سبعين كتابًا، وغير ذلك، وتوفي في رمضان سنة ١١٠٤هـ في خراسان] بابًا مستقلاً بعنوان «الأئمة الاثنى عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم وأن الأنبياء أفضل من الملائكة» وأورد تحته روايات عديدة، ومنها ما رواه عن جعفر أنه قال: إن الله خلق أولي العزم من الرسل، وفضّلهم بالعلم وأورثنا علمهم وفضّلنا عليهم في علمهم، وعلّم رسول الله (ص) ما لم يعلّمهم، وعلّمنا علم الرسول وعلمهم».

[«الفصول المهمة» للحر العاملي ص١٥٢].

ويذكر الكليني أيضًا عن أبي عبد الله أنه قال: ما جاء به علي عليه السلام آخذ به وما نهى عنه انتهى عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد صلى الله عليه وسلم، ولمحمد صلى الله عليه وسلم الفضل على جميع من خلق الله عزوجل، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله، والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حد الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله لا يؤتى إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحدًا بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيرًا ما يقول: أنا قسيم الله بين الجنة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل بمثل

ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وسلم ولقد حملت عليّ مثل حمولته وهى حمولة الرب وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى فيكسى، وأدعى فأكسى، ويستنطق وأستنطق على حد منطقة، ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي، علمت المنايا والبلايا، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عنى ما غاب عنى» [«الأصول من الكافي» ج١ ص١٩٦، ١٩٧].

ويقول إبراهيم القمي - إمام مفسري الشيعة الذي قيل في تفسيره إنه أصل الأصول للتفاسير الكثيرة، وإنه في الحقيقة تفسير الصادقين عليهما السلام (جعفر والباقر) ومؤلفه كان في زمن الإمام العسكري عليه السلام، وأبوه الذي روى هذه الأخبار لابنه كان صحابيًا للإمام الرضا عليه السلام.

[مقدمة تفسير القمي ص١٥ للسيد طيب الموسوي الجزائري الشيعي].

يقول فيه تحت قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ **فإن الله أخذ ميثاق** نبيه محمد على الأنبياء - إلى أن قال -: ما بعث الله نبيا من ولد آدم فهلم جرًا إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ أي رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ أي أمير المؤمنين عليه السلام».

[تفسير القمي ج١ ص١٠٦ ط مطبعة النجف ١٣٨٦هـ].

وزاد العياشي [العياشي هو أبو النضر محمد بن مسعود العياشي السلمي السمرقندي، المعروف بالعياشي من أعيان علماء الشيعة ممن عاش في أواخر القرن الثالث من الهجرة، وقال عنه النجاشي: ثقة، صدوق، عين من أعيان هذه الطائفة، وكبيرها» (رجال النجاشي ص٢٤٧ ط قم إيران)، وقال ابن النديم: من فقهاء الشيعة الإمامية، أوحد دهره وزمانه «أعيان الشيعة» ج١ ص٥٧، وأما تفسيره «هو على مذاق الأخبار والتنزيل على آل البيت الأطهار، أشبه شيء بتفسير علي بن إبراهيم» (روضات الجنات ج٦ ص١١٩) وقد تلقاها علماء هذا الشأن منذ ألف إلى يومنا هذا - ويقرب من أحد عشر قرنًا - بالقبول من غير أن يذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف» (مقدمة التفسير ص (ج) لمحمد حسين الطباطبائي)] في تفسيره تحت هذه الآية «من آدم فهلم

جرًا، ولا يبعث الله نبيًا ولا رسولاً إلا رد إلى الدنيا حتى يقاتل بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام» [تفسير «العياشي» ج١ ص١٨١ وأيضًا «البرهان» ج١ ص٢٩٥ «الصافي» ج١ ص٢٧٤].

ولقد فصلنا القول في معتقدهم في الأئمة في كتابنا «الشيعة والسنة» [انظر لذلك ص٦٥ إلى ص٧٦ من كتاب «الشيعة والسنة» ط إدارة ترجمان السنة لاهور].

فهؤلاء هم الأئمة عند القوم وأولئك شيعتهم الذين يزعمون بأنهم محبون لهم، ومنتسبون إليهم، والناس يبغضونهم لولايتهم أهل البيت هؤلاء، ولأخذهم بآرائهم وأفكارهم، والتمسك بأقوالهم وأفعالهم، والإتباع بأوامرهم وفتاويهم.

وهذه هي الأقاويل والروايات والإدعاءات من كتب القوم وعباراتهم.

وخلاصة ما ذكر أن الشيعة هم قوم يدعون موالاة أحد عشر شخصًا من أولاد علي، وعليًا رضي الله عنه، ويعدّونهم معصومين كالأنبياء ورسل الله، وأفضل منهم ومن الملائكة المقربين، ويدعون أن مذهبهم مؤسس على آرائهم وأفكارهم، كما أنه ظهر من هذا البحث أنه لا صحة لقول من يوهم بأن المراد من أهل البيت هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لأن القوم أنفسهم ينفون عن ذلك.

وأما ادعاء إطاعة وإتباع هؤلاء لأهل بيت علي، المخصوصين منهم فنرى في الأبواب الآتية صحة هذه الدعاوى وصدقها، ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون.

* * *

الباب الثاني

الشيعة ومخالفتهم أهل البيت

إن الشيعة حاولوا خداع الناس بأنهم موالون لأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأنهم أقرب الناس إلى الصحة والصواب من بين طوائف المسلمين، وأفضلهم وأهداهم لتمسكهم بأقارب النبي صلى الله عليه وسلم وذويه، وإن المتمسكين بأقوالهم، والعاملين بهديهم، والسالكين مسلكهم، والمتبعين آثارهم وتعاليمهم هم وحدهم لا غيرهم.

ولقد فصلنا القول فيما قبل أن القوم لا يقصدون من أهل البيت أهل بيت النبوة، وأنهم لا يوالونهم ولا يحبونهم، بل يريدون ويقصدون من وراء ذلك عليًا رضي الله عنه وأولاده المخصوصين المعدودين.

ونريد أن نثبت في هذا الباب أن الشيعة لا يقصدون في قولهم إطاعة أهل البيت وإتباعهم لا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ولا أهل بيت علي رضي الله عنه فإنهم لا يهتدون بهديهم. ولا يقتدون برأيهم، ولا ينهجون منهجهم، ولا يسلكون مسلكهم، ولا يتبعون أقوالهم وآرائهم، ولا يطيعونهم في أوامرهم وتعليماتهم بل عكس ذلك يعارضونهم ويخالفونهم مجاهرين معلنين قولاً وعملاً، ويخالفون آرائهم وصنيعهم مخالفة صريحة. وخاصة في خلفاء النبي الراشدين، وأزواجه الطاهرات المطهرات، وأصحابه البررة، حملة هذا الدين ومبلغين رسالته إلى الآفاق والنفس، وناشرين دين الله، ورافعين راية الله، ومعلنين كلمته، ومجاهدين في سبيله حق جهاده، ومقدمين مضحين كل غال وثمين في رضاه، راجين رحمته، خائفين عذابه، قوامين بالليل، صوامين بالنهار الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه المحكم الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝﴾ [سورة فصلت الآية٤٢].

ذكرهم فيه جل وعلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [سورة السجدة الآية١٦].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ

فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾.

[سورة آل عمران الآية١٩١].

وقال وهو أصدق القائلين حيث يصف أصحاب رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الفتح الآية٢٩].

وقال سبحانه، ما أعظم شأنه، في شركاء غزوة تبوك: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة التوبة الآية١١٧].

كما قال في الذين شاركوه في غزوة الحديبية: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾﴾ [سورة الفتح الآية١٨، ١٩].

وقال: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾ [سورة آل عمران الآية ١٩٥].

وشهد بإيمانهم الحقيقي الثابت بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾.

[سورة الأنفال الآية٧٤].

وذكر السابقين من الأصحاب المهاجرين منهم والأنصار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾.

[سورة التوبة الآية١٠٠].

كما ذكر المهاجرين والأنصار عامة وضمن لهم الفلاح والنجاح بقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾

[سورة الحشر الآية٨، ٩].

ويذكر جل مجده المؤمنين المنفقين قبل الفتح - أي فتح مكة - وبعده مثنيًا عليهم مادحًا فيهم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾.

[سورة الحديد الآية١٠].

ثم يقرن ذكر الأصحاب مع نبيه وصفيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بدون فاصل حيث يذكرهم جميعًا معًا في قوله عز من قائل: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ﴾ [سورة آل عمران الآية٦٨].

وأيضًا في قوله: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [سورة المائدة الآية٥٥].

وأيضًا: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ﴾.

[سورة التوبة الآية١٠٥].

وأيضًا: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [سورة التوبة الآية٨٨].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

[سورة المنافقون الآية٨].

وأيضًا: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ﴾.

[سورة الفتح الآية١٢].

وقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح الآية٢٦].

يذكر الله المؤمنين من أمة محمد وعلى رأسهم أصحاب النبي عليه السلام المؤمنين الأولين الحقيقيين قارنًا ذكرهم بذكر النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [سورة الفتح الآية ١٠].

كما ذكر الله عز وجل خروج نبيه من مكة وهجرته منها مع ذكر خروج أصحابه وهجرتهم حيث قال: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾.

[سورة الممتحنة الآية ١].

كما ذكر صديقه ورفيقه في الغار: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ [سورة التوبة الآية ٤٠].

ويقول في أزواجه المطهرات: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب الآية٦].

ويقول: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [سورة الأحزاب الآية ٣٦].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة الكثيرة.

فلنرى الشيعة الزاعمين اتباع أهل البيت، المدّعين موالاتهم وحبهم، ونرى أئمتهم المعصومين – حسب قولهم – آل البيت ماذا يقولون في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وماذا يعتقدون فيهم؟

وهل أهل بيت النبي يبغضون أصحاب نبيهم، ويشتمونهم، بل ويكفرونهم، ويلعنونهم كما يلعنهم هؤلاء المتزعمون؟ أم غير ذلك يوالونهم، ويتواددون إليهم، ويتعاطفونهم ويساعدونهم في مشاكلهم، ويشاورونهم في أمورهم، ويقاسمونهم همومهم وآلامهم، ويشاركونهم في دينهم ودنياهم، ويشاطرونهم الحكم والحكومة، ويبايعونهم على إمرتهم وسلطانهم، ويجاهدون تحت رايتهم، ويأخذون من الغنائم التي تحصل من طريقهم، ويتصاهرون معهم، يتزوجون منهم ويزوجونهم بهم، يسمون أبناءهم بأسماءهم، ويتبركون بذكرهم، يذاكرونهم في مجالسهم، ويرجعون إليهم في مسائلهم، ويذكرون فضائلهم ومحامدهم، ويقرّون بفضل أهل الفضل منهم، وعلم أهل العلم، وتقوى المتقين، وطهارة العامة وزهدهم.

نسرد هذا كله وقد عاهدنا أن لا نرجع إلا إلى كتب القوم أنفسهم لعلى الحق يظهر،

والصدق يجلو، والباطل يكبو، والكذب يخبو، اللهم إلا نادرًا نذكر شيئًا تأييدًا واستشهادًا، لا أصلاً، ولا استدلالاً، ولا استقلالاً، ولا يكون إلزام الخصم إلا من كتبهم هم، وبعباراتهم أنفسهم، ومن أفواه أُناس يزعمونهم أئمتهم، وهم منهم براء وقد قيل قديمًا إن السحر ما يقرّبه المسحور، والحق ما يشهد به المنكر، وما نريد من وراء ذلك إلا الإظهار بأن أئمة الحق وأهل البيت ليسوا مع القوم في القليل ولا في الكثير، ولعل الله يهدى به أناسًا اغتروا بحب أهل البيت حيث ظنوا أن معتقدات الشيعة وضعها أئمة أهل البيت، وأسسوا قواعدها، ورسخوا أصولها، فهم يحبونهم، ويبغضون أعدائهم - حسب زعمهم - الذين غصبوا حقهم وحرموهم من ميراث النبي، وظلموهم.

ويتبين من هذا البحث إن شاء الله علاقة الشيعية الحقيقية بآل البيت وعلاقتهم معهم.

فها هو علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - الخليفة الراشد الرابع عندنا، والإمام المعصوم الأول عندهم، وسيد أهل البيت - يذكر أصحاب النبي عامة، ويمدحهم، ويثني عليهم ثناء عاطرًا بقوله: لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، فما أرى أحدًا يشبههم منكم! لقد كانوا يصبحون شعثًا غبرًا، وقد باتوا سجدًا وقيامًا، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم! إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفًا من العقاب، ورجاء للثواب» [«نهج البلاغة» ص١٤٣ ط. دار الكتاب بيروت ١٣٨٧هـ بتحقيق صبحي صالح، ومثل ذلك ورد في «الإرشاد للمفيد» ص١٢٦].

وهذا هو سيد أهل البيت يمدح أصحاب النبي عامة، ويرجحهم على أصحابه وشيعته الذين خذلوه في الحروب والقتال، وجبنوا عن لقاء العدو ومواجهتهم، وقعدوا عنه وتركوه وحده، فيقول موازنًا بينهم وبين صحابة رسول الله: «ولقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا: ما يزيدنا ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، ومضيًا على اللقم، وصبرًا على مضض الألم، وجدًا في جهاد العدو،

ولقد كان الرجل منا والآخر من عدونا يتصاولان تصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما: أيهما يسقي صاحبه كأس المنون، فمرة لنا من عدونا، ومرة لعدونا منا، فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقيًا جرانه، ومتبوئا أوطانه. ولعمري لو كنا نأتي ما أتيتم، ما قام للدين عمود، ولا اخضر للإيمان عود. وأيم الله لتحتلبنها دمًا، ولتتبعنها ندمًا».

[«نهج البلاغة» بتحقيق صبحي صالح ص٩١، ٩٢ ط بيروت].

ويذكرهم أيضًا مقابل شيعته المنافقين المتخاذلين، ويأسف على ذهابهم بقوله: «أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرءوا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى القتال فولهوا وله اللقاح إلى أولادها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفًا وصفًا صفًا، بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون عن الموتى، مرة العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام، ذبل الشفاه من الدعاء، صُفر الألوان من السهر، على وجوههم غبرة الخاشعين، أولئك إخواني الذاهبون، فحق لنا أن نظمأ إليهم ونعض الأيدي على فراقهم».

[«نهج البلاغة» بتحقيق صبحي صالح ص١٧٧، ١٧٨].

ويذكرهم، ويذكر بما فازوا به من نعيم الدنيا والآخرة، ولهم حظ وافر من كرم الله وإحسانه، حيث يقول: «واعلموا عباد الله أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة، فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم، ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت، وأكلوها بأفضل ما أكلت، فحظوا من الدنيا بما حظي به المترفون، وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبرون، ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلغ والمتجر الرابح، أصابوا لذة زهد الدنيا في دنياهم، وتيقنوا أنهم جيران الله غدًا في آخرتهم، لا ترد لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيب من لذة».

[«نهج البلاغة» ص٣٨٣ بتحقيق صبحي صالح].

ويمدح المهاجرين من الصحابة في جواب معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما فيقول: فاز أهل السبق بسبقهم، وذهب المهاجرون الأولون بفضلهم.

[«نهج البلاغة» ص٣٨٣ بتحقيق صبحي صالح].

وأيضًا: «وفي المهاجرين خير كثير تعرفه، جزاهم الله خير الجزاء».

[«نهج البلاغة» ص٣٨٣ بتحقيق صبحي صالح].

كما مدح الأنصار من أصحاب محمد عليه السلام بقوله: «هم والله ربوا الإسلام كما يربي الفلو مع غنائهم، بأيديهم السباط، وألسنتهم السلاط».

[«نهج البلاغة» ص٥٥٧ تحقيق صبحي صالح].

ومدحهم مدحًا بالغًا موازنًا أصحابه ومعاوية مع أنصار النبي بقوله: «أما بعد! أيها الناس فوالله لأهل مصركم في الأمصار أكثر من الأنصار في العرب، وما كانوا يوم أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنعوه ومن معه من المهاجرين حتى يبلغ رسالات ربه إلا قبيلتين صغير مولدهما، وما هما بأقدم العرب ميلادًا، ولا بأكثرهم عددًا، فلما آووا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ونصروا الله ودينه، رمتهم العرب عن قوس واحدة، وتحالفت عليهم اليهود، وغزتهم اليهود والقبائل قبيلة بعد قبيلة، فتجردوا لنُصرة دين الله، وقطعوا ما بينهم وبين العرب من الحبائل وما بينهم وبين اليهود من العهود، ونصبوا لأهل نجد وتُهامة وأهل مكة واليمامة وأهل الحزن والسهل [وأقاموا] قناة الدين، وتصبروا تحت أحلاس الجلاد حتى دانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم العرب، ورأى فيهم قرة العين قبل أن يقبضه الله إليه، فأنتم في الناس أكثر من أولئك في أهل ذلك الزمان من العرب» [«الغارات» ج٢ ص٤٧٩، ٤٨٠].

وسيد الرسل نفسه يمدح الأنصار حسب قول الشيعة: «اللهم اغفر للأنصار، وأبناء الأنصار، يا معشر الأنصار! أما ترضون أن ينصرف الناس بالشاه والنعم، وفي سهمكم رسول الله صلى الله عليه وسلم».

[تفسير «منهج الصادقين» ج٤ ص٣٤٠، أيضًا «كشف الغمة» ج١ ص٢٢٤].

وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الأنصار كرشي وعيني، ولو سلك الناس واديا، وسلك الأنصار شعبًا لسلكت شعب الأنصار».

[تفسير «منهج الصادقين» ج٤ ص٢٤٠، أيضًا «كشف الغمة» ج١ ص٢٢٤].

ويروي المجلسي [والمجلسي هو الملا باقر بن محمد تقي المجلسي، ولد سنة ١٠٣٧هـ،

ومات سنة ١١١٠هـ، من ألد أعداء السنة وخصومهم، ولم ير مثله في الشيعة المتأخرين سليط اللسا، بذيًا، فاحشًا، لا يتكلم بكلمة إلا ويتدفق الفحش والهجاء من كلامه، يسمونه «خاتمة المجتهدين» و«إمام الأئمة في المتأخرين»، يقول القمي: «المجلسي إذا أطلق فهو شيخ الإسلام والمسلمين، مروج المذهب والدين، الإمام، العلامة، المحقق، المدقق.. لم يوفق أحد في الإسلام مثل ما وفق هذا الشيخ العزم وأمير الخضم والطود الأشم من ترويج المذهب، وإعلاء كلمة الحق، وكسر صولة المبتدعين، وقمع زخارف الملحدين، وإحياء دارس سنن الدين المبين، ونشر آثار أئمة المسلمين بطرق عديدة وأنحاء مختلفة أجلها وأبقاها الرائقة الأنيقة الكثيرة» [الكنى والألقاب ج٣ ص١٢١].

وقال الخوانساري: «هذا الشيخ كان إمامًا في وقته في علم الحديث وسائر العلوم، وشيخ الإسلام بدار السلطنة أصفهان، رئيسًا فيها بالرياسة الدينية والدنيوية، إمامًا في الجمعة والجامعة.. ولشيخنا المذكور مصنفات منها كتاب «بحار الأنوار» الذي جمع فيه جميع العلوم وهو يشتمل على مجلدات، وكتب كثيرة في العربية والفارسية» [روضات الجنات ج٢ ص٧٨ وما بعد] عن الطوسي رواية موثوقة عن علي بن أبي طالب أنه قال لأصحابه: «أوصيكم في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تسبوهم، فإنهم أصحاب نبيكم، وهم أصحابه الذين لم يبتدعوا في الدين شيئًا، ولم يوقروا صاحب بدعة، نعم! أوصاني رسول الله (ص) في هؤلاء» [«حياة القلوب للمجلسي» ج٢ ص٦٢١].

ويمدح المهاجرين والأنصار معًا حيث يجعل في أيديهم الخيار لتعيين الإمام وانتخابه، وهم أهل الحل والعقد في القرن الأول من بين المسلمين وليس لأحد أن يرد عليهم، ويتصرف بدونهم، ويعرض عن كلمتهم، لأنهم هم الأهل للمسلمين والأساس كما كتب لأمير الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ردًا عليه دعواه بإمرة المؤمنين وحكم المسلمين، فإن الإمام من جعله أصحاب محمد إمامًا لا غير، فها هو علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يذكّر معاوية بهذه الحقيقة ويستدل بها على أحقيته بالإمامة، والكلام من كتاب القوم.

«إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان

ذلك لله رضى، فإن خرج منهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى» [«نهج البلاغة» ج٣ ص٧ ط بيروت تحقيق محمد عبده وص٣٦٧ تحقيق صبحي].

فماذا موقف الشيعة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن كلامه هذا حيث يجعل:

أولاً: الشورى بين المهاجرين والأنصار من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبيدهم الحل والعقد رغم أنوف القوم.

ثانيًا: اتفاقهم على شخص سبب لمرضات الله وعلامة لموافقته سبحانه وتعالى إياهم.

ثالثًا: لا تنعقد الإمامة في زمانهم دونهم، وبغير اختيارهم ورضاهم [وقد حل الإشكال من هذا أيضًا بأن الإمامة والخلافة في الإسلام لا تنعقد إلا بالشورى والإنتخاب، لا بالتعيين والوصية والتنصيص كما يزعمه الشيعة مخالفين نصوص أئمتهم ومعصوميهم حسب زعمهم].

رابعًا: لا يرد قولهم ولا يخرج من حكمهم – أي: الصحابة – إلا المبتدع أو الباغي، والمتبع والسالك غير سبيل المؤمنين.

خامسًا: يقاتل مخالف الصحابة، ويحكم السيف فيه.

سادسًا: وفوق ذلك يعاقب عند الله لمخالفته رفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحبائه، المهاجرين منهم والأنصار رضي الله عنهم ورضوا عنه وأولاد عليّ على شاكلته.

فها هو علي بن الحسين الملقب بزين العابدين – الإمام المعصوم الرابع عند القوم – وسيد أهل البيت في زمانه يذكر أصحاب محمد عليه الصلاة والسلام، ويدعو لهم في صلاته بالرحمة والمغفرة لنصرتهم سيد الخلق في نشر دعوة التوحيد وتبليغ رسالة الله إلى خلقه فيقول: فاذكرهم منك بمغفرة ورضوان اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، اللهم ما

تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الحق عليك، وكانوا من ذلك لك وإليك، واشكرهم على هجرتهم فيك ديارهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه ومن كثرة في اعتزاز دينك إلى أقله، اللهم وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحروا جهتهم، لو مضوا إلى شاكلتهم لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شك في قفو آثارهم والائتمام بهداية منارهم مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم، يتفقون عليهم، ولا يتهمونهم فيما أدوا إليهم.

[صحيفة كاملة لزين العابدين ص١٣ ط مطبعة طبي كلكته الهند ١٢٤٨هـ].

وواحد من أبنائه حسن بن علي المعروف بالحسن العسكري - الإمام الحادي عشر عند القوم - يقول في تفسيره: إن كليم الله موسى سأل ربه هل في أصحاب الأنبياء أكرم عندك من صحابتي؟ قال الله: يا موسى! أما عملت أن فضل صحابة محمد صلى الله عليه وسلم على جميع صحابة المرسلين كفضل محمد صلى الله عليه وسلم على جميع المرسلين والنبيين.

[تفسير الحسن العسكري ص٦٥ ط الهند، وأيضًا «البرهان» ج٣ ص٢٢٨، واللفظ له].

وكتب بعد ذلك في تفسير الحسن العسكري «إن رجلاً ممن يبغض آل محمد وأصحابه الخيرين أو واحدًا منهم يعذبه الله عذابًا لو قسم على مثل عدد خلق الله لأهلكهم أجمعين» [تفسير الحسن العسكري ص١٩٦].

ولأجل ذلك قال جده الأكبر علي بن موسى الملقب بالرضا - الإمام الثامن عند الشيعة - حينما سئل «عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهديتم [وينبغي الانتباه أننا ننقل هذه الرواية من الشيعة أنفسهم، فالرواية روايتهم وهي حجة عليهم].

وعن قوله عليه السلام: دعوا لي أصحابي، فقال عليه السلام: «هذا صحيح» [نص ما ذكره الرضا نقلاً عن كتاب «عيون أخبار الرضا» لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق تحت قول النبي: أصحابي كالنجوم [ج٢ ص٨٧].

هذا ونقل ما قاله ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وابن عم علي رضي الله عنه عبد الله بن عباس - فقيه أهل البيت وعامل علي رضي الله عنه - أنه قال في حق الصحابة: إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماءه خص نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بصحابة آثروه على الأنفس والأموال، وبذلوا النفوس دونه في كل حال، ووصفهم الله في كتابه فقال: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، قاموا بمعالم الدين، وناصحوا الإجتهاد للمسلمين، حتى تهذبت طرقه، وقويت أسبابه، وظهرت آلاء الله، واستقر دينه، ووضحت أعلامه، وأذل بهم الشرك، وأزال رؤوسه ومحا دعائمه، وصارت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى، فصلوات الله ورحمته وبركاته على تلك النفوس الزاكية، والأرواح الطاهرة العالية، فقد كانوا في الحياء لله أولياء، وكانوا بعد الموت أحياء، وكانوا لعباد الله نصحاء، رحلوا إلى الآخرة قبل أن يصلوا إليها، وخرجوا من الدنيا وهم بعد فيها [«مروج الذهب» ج٣ ص٥٢، ٥٣ دار الأندلس بيروت].

ويروي ابن علي بن زين العابدين محمد الباقر رواية تنفي النفاق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتثبت لهم الإيمان ومحبة الله عز وجل كما أوردها العياشي والبحراني [هو هاشم بن سليمان بن إسماعيل، ولد في قرية من القرى «التوبلي» في منتصف القرن الحادي عشر ومات في السنة ١١٠٧هـ].

قال فيه الخوانساري: «فاضل عالم ماهر مدق فقيه عارف بالتفسير والعربية والرجال، وكان محدثًا فاضلاً، جامعًا متتبعًا للأخبار بما لم يسبق إليه السابق سوى شيخنا المجلسي، ومن مصنفاته «البرهان في تفسير القرآن» [روضات الجنات ج٨ ص١٨١، أيضًا أعيان الشيعة] في تفسيريهما تحت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾.

عن سلام قال: كنت عند أبي جعفر، فدخل عليه حمران بن أعين، فسأله عن أشياء، فلما هم حمران بالقيام قال لأبي جعفر عليه السلام: أُخبرك أطال الله بقاك وأمتعنا بك، إنا نأتيك فما نخرج من عندك حتى ترق قلوبنا، وتسلوا أنفسنا عن الدنيا، وتهون علينا ما في أيدي الناس من هذه الأموال، ثم نخرج من عندك، فإذا صرنا مع الناس والتجار

أحببنا الدنيا؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: إنما هي القلوب مرة يصعب عليها الأمر ومرة يسهل، ثم قال أبو جعفر: أما إن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله نخاف علينا النفاق، قال: فقال لهم: ولم تخافون ذلك؟ قالوا: إنا إذا كنا عندك فذكرتنا روعنا، ووجلنا، نسينا الدنيا وزهدنا فيها حتى كأنا نعاين الآخرة والجنة والنار ونحن عندك، فإذا خرجنا من عندك، ودخلنا هذه البيوت، وشممنا الأولاد، ورأينا العيال والأهل والمال، يكاد أن نحول عن الحال التي كنا عليها عندك، وحتى كأنا لم نكن على شيء، أفتخاف علينا أن يكون هذا النفاق؟ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: كلا، هذا من خطوات الشيطان. ليرغبنكم في الدنيا، والله لو أنكم تدومون على الحال التي تكونون عليها وأنتم عندي في الحال التي وصفتم أنفسكم بها لصافحتكم الملائكة، ومشيتم على الماء، ولولا أنكم تذنبون، فتستغفرون الله لخلق الله خلقًا لكي يذنبوا، ثم يستغفروا، فيغفر الله لهم، إن المؤمن مفتن تواب، أما تسمع لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ وقال: ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾.

[«تفسير العياشي» ج١ ص١٠٩، و«البرهان» ج١ ص٢١٥].

وأما ابن الباقر جعفر الملقب بالصادق يقول: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر ألفا، ثمانية آلاف من المدينة، وألفان من مكة، وألفان من الطلقاء، ولم ير فيهم قدري ولا مرجئ ولا حروري ولا معتزلي، ولا صاحب رأي، كانوا يبكون الليل والنهار ويقولون: اقبض أرواحنا من قبل أن نأكل خبز الخمير».

[«كتاب الخصال» للقمي ص٦٤٠ ط مكتبة الصدوق طهران].

هذا ولقد روى علي بن موسى الرضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من زارني في حياتي أو بعد موتى فقد زار الله تعالى».

[«عيون أخبار الرضا» لابن بابويه القمي ج١ ص١٥٥].

ورسول الله صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين وسيد الخلائق نفسه يشهد لأصحابه بالسعادة والجنة حيث يقول، ويرويه القمي [هو أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن بن بابويه القمي الملقب بالصدوق، من مواليد أوائل القرن الرابع من الهجرة،

وتوفي سنة ٣٨١ من الهجرة، ونشأ بقم، وقبر بالري، هو من كبار القوم ومحدثيهم، وكتابه «من لا يحضر الفقيه» أحد الكتب الأربعة التي تعد من أهم الكتب وأصحها في الحديث عند الشيعة، كما أن له مصنفات عديدة أخرى، وهو من المكثرين، كما أن كتبه عمدة لمذهب الشيعة، يقول الشيعة فيه: «لم ير في القميين مثله في حفظه وكثرة علمه».

[أعيان الشيعة ج١ ص١٠٤ و«الخلاصة» للحلي].

كما يقولون: «ولد هو وأخوه بدعوة صاحب الأمر علي يد السفر الحسين بن الروح، فإنه كان الواسطة بينه وبين ابن البابويه».

[روضات الجنات للخوانساري ج٦ ص١٣٦].

قال فيه المجلسي: «وثقه جميع الأصحاب لما حكموا بصحة جميع أخبار كتابه يعني صحة جميع ما قد صح عنه من غير تأمل، بل هو ركن من أركان الدين» [نقلاً عن الخوانساري ج٢ ص١٣٢] محدث القوم وإمامهم والملقب بالصدوق في كتابه الذي طبعته الشيعة أنفسهم، عن أبي أمامة أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى لمن رآني وآمن بي».

[«كتاب الخصال» لابن بابويه ج٢ ص٣٤٢].

وروى الحميري القمي [هو أبو العباس عبد الله بن جعفر بن الحسن الحميري القمي.

«شيخ القميين ووجههم، ثقة من أصحاب محمد العسكري عليه السلام، قدم الكوفة سنة نيف وتسعين ومائتين، وسمع أهلها منه، فأكثروا، وصنف كتبًا كثيرة منها كتاب «قرب الإسناد» [الكنى والألقاب ج٢ ص١٧٧].

«وهو من أساتذة الكليني، قد روي عنه في الكافي روايات عديدة، وله مكاتبات مع أبي الحسن، كما أنه كاتب مع أبي محمد - من أئمة الشيعة المزعومين- [مقدمة قرب الإسناد ص٢] مثل هذه الرواية عن جعفر بن باقر عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من زارني حيًا وميتًا كنت له شفيعًا يوم القيامة».

[«قرب الإسناد» ص٣١ ط طهران].

موقف الشيعة من الصحابة

فهذا هو موقف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيار خلق الله وصفوة الكون.

وأما الشيعة الذين يزعمون أنهم أتباع أهل البيت والمحبون الموالون لهم، فإنهم يرون رأيًا غير هذا الرأي محترقين على جهادهم المستمر، ومنتقمين على فتوحاتهم الجبارة الكثيرة التي أرغمت أنوف أسلافهم، وكسرت شوكة ماضيهم ومزقت جموع أحزابهم، ودمرت ديارهم وأوكار كفرهم، الصحابة الذين أذلوا الشرك والمشركين، وهدموا الأوثان والأصنام التي كانوا يعبدونها ويعتكفون عليها، أزالوا ملكهم وسلطانهم، وخربوا قصورهم وحصونهم ومنازلهم، وأنزلوا فيها الفناء، وأعلوا عليها راية التوحيد وعلم الإسلام شامخًا مترفرفًا، فاجتمع أبناء المجوس واليهود، وأبناء البائدين الهالكين الذين أرادوا سد هذا النور النير، والوقوف في سبيل وطريق هذا السيل العرم، اجتمعوا ناقمين، حاقدين، حاسدين، محترقين، واقتنعوا بقناع الحب لآل البيت - وآل البيت منهم براء - وسلّوا سيوف أقلامهم وألسنتهم ضد أولئك المجاهدين المحسنين، رفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المشغوفين بحبه، والمفعمين بولائه، والمميتين في إطاعته واتباعه، والراهنين كل ثمين ونفيس في سبيله، والمضحين بأدنى إشاراته الآباء والأولاد والمهج، المقتفين آثاره، المتتبعين خطواته، السالكين منهجه، الغر الميامين رضوان الله عليهم أجمعين.

فقال قائلهم: إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله (ص) غير أربعة (كتاب) والغريب أن أبناء اليهودية الأثيمة يطبعون مثل هذه الكتب الخبيثة المليئة من العيب والشتم لأهل خير القرون وخير الأمة، ثم يتضوغون عن الكتب التي كتبت ردًا عليهم مثل كتاب «الشيعة والسنة» للمؤلف لتبيين مذهبهم، وإظهار ما يكنونه في صدورهم تجاه الأمة المرحومة ومحسنيها، ويقولون: إنه لا ينبغي كتابة مثل هذه الكتب وطبعها ونشرها في زمان، المسلمون أحوج ما يكونوا إلى الإتحاد والإتفاق، ونحن لا ندري أي

اتحاد ووفاق يريدون؟

نحن لا نسب القوم ولا نشتم قادتهم، بل كل ما نعمل نبدي للرأي العام ما عمله القوم الأمس وما يعملونه اليوم. فمن أي شيء يخافون؟

ثم ولم نفهم من بعض من يسمي نفسه متنورًا، واسع الأفق، فسيح القلب، وسيع الظرف، محبًا للتقريب والوفاق من أهل السنة، البلهاء أو المغترين، لا نفهم منهم حينما يعترضون علينا بأننا لم نقم بإحقاق الحق وإبطال الباطل؟ ولم ندافع عن أولئك القوم الذين لو ما كانوا كنا عباد البقر أو النجوم أو اللات والمناة والعزى والثالث، أو الحجر والشجر، ولو ما رفعوا راية الإسلام، وحملوا لواء التوحيد ما عرفنا ربنا عز وجل ونبينا وقائدنا محمدًا صلوات الله وسلامه عليه، وما علمنا ماذا أنزله الرحمن على عبده وحبيبه، وما تركه المصطفى من سنته وحكمته، وما عرفنا القرآن الذي أنزله نورًا وهدى ورحمة للعالمين.

نعم، يقلق مضاجع هؤلاء المتنورين هذا، ولا يفجعون عن كتاب سليم بن قيس العامري الذي قال فيه جعفرهم - نعم جعفرهم، لا الجعفر الصادق الذي نعرفه ونعلمه - قال: من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس العامري، فليس عنده من أمرنا شيء وهو سر من أسرار محمد صلى الله عليه وسلم،- الكتاب الذي لم نجد صفحة من صفحاته، ولا ورقة من أوراقه إلا وهي مليئة بأقذر الشتائم وأخبث السباب، وكتاب سليم ومثله كتب للقوم لا تعد ولا تحصى، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فنقول لهؤلاء القوم عديمي الغيرة، وفاقدي الحمية: فليهنأ لكم التنور، وليهنأ لكم التوسع، فأما نحن فلن ولن نتحمل هذا، ولن ولن نسكت عن ذلك إن شاء الله ما دامت العروق يجري فيها الدم، وما دام الروح في الجسد واللسان يتكلم.

[سليم بن قيس العامرى ص ٩٢ ط دار الفنون بيروت].

هذا ومثل هذا كثير.

ولقد تقدم بخارى القوم محمد بن يعقوب الكليني إلى أبعد من ذلك فقال: كان الناس أهل ردة بعد النبي إلا ثلاثة المقداد بن الأسود، وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي.

[«كتاب الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٤٥].

ومثل هذا ذكر المجلسي: «هلك الناس كلهم بعد وفاة الرسول إلا ثلاثة أبو ذر والمقداد وسلمان» [«حيات القلوب» للمجلسي فارسي ج٢ ص٦٤٠].

ولسائل أن يسأل هؤلاء الأشقياء وأين ذهب أهل بيت النبي بما فيهم عباس عم النبي، وابن عباس ابن عمه، وعقيل أخ لعلي، وحتى علي نفسه، والحسنان سبطا رسول الله؟

ألا تستحيون من الله؟

ثم وأكثر من ذلك قال الكليني في موضع آخر من كتابه: إن الناس يفزعون إذا قلنا: إن الناس ارتدوا، فقال:..... إن الناس عادوا بعد ما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل جاهلية، إن الأنصار اعتزلت (يعني عن أبي بكر) فلم تعتزل بخير (أي لم يكن اختيارهم لاختيار الحق أو ترك الباطل، بل اختاروا باطلاً مكان باطل آخر للحمية والعصبية - كما ذكر المحشي الملعون على هذه الرواية -) جعلوا يبايعون سعدًا وهم يرتجزون ارتجاز الجاهلية (كذب وزور - يا كذاب!) يا سعد! أنت المرجأ، وشعرك المرجل، وفحلك المرجم [«كتاب الروضة من الكافي» ج٢ ص٢٩٦].

ومعناه أنه لم يبق ولا واحد، لا أبو ذر ولا سلمان ولا المقداد؟

هذا ويذكر شيعي معاصر عكس ذلك تمامًا حيث أن القوم يدعون بأن الصحابة ارتدوا - عياذًا بالله - بعد أن أسلموا، ولكن أحدًا من بقايا القوم الناقمين ينكر حتى دخولهم في الإسلام كما يقول وهو يرد علينا بأننا لم ننصف في اتهامنا الشيعة - حسب زعمه - بأنهم يكفرون أصحاب الرسول العظيم عليه السلام، وفى أثناء الرد يقر ويثبت ما ذكرناه، فانظر إليه كيف يستأسر في حبله نفسه بنفسه ومع ذلك فإني أقول: إن العرب لم يؤمنوا بمحمد إلا بعد أن قرعت الدعوة الإسلامية أسماعهم [انظر إلى الحقد كيف يتدفق، والبغض كيف يظهر للأمة العربية التي لبّت رسالة الإسلام في باكورة عهدها، وحملتها وأدتها إلى العالم أجمع] أي أن محمد (ص) دعاهم أولاً للإسلام فآمن من آمن ..... ومنهم من تأخر عن ذلك، ومنهم من ماطل كثيرًا، ومنهم من دخل في الإسلام نفاقًا، ومنهم من دخل خوفًا ورهبًا بعد أن ضاقت عليه الأرض، ولم يدخل في الإسلام أحد بدلالة عقله إلا شخصية واحدة [وحتى خرّجوا عليًا وأهل بيت النبي

حيث لم يذكروا فيمن ذك إلا سلمان] خرجت من بلادها طلبًا للحقيقة، ولاقت صعوبات وأخطارًا حتى ظفرت بالحقيقة عند محمد (يعنى سلمان) فآمنت به [«كتاب الشيعة والسنة في الميزان» ص٢٠، ٢١ لمؤلف مجهول المقنع بقناع س - خ ط بيروت - أي الكتاب الذي حاول مجهوله عبثًا الرد على كتابنا «الشيعة والسنة» حيث لم يستطع في الكتاب كله تغليط عبارة واحدة أو مصدر واحد من العبارات أو المصادر التي ذكرناها في الكتاب، ولا مسألة واحدة، أو نتيجة من النتائج التي استنتجناها في كتابنا كله، ولله الحمد والمنة على ذلك التوفيق الصائب والشرف الذي أولانا الله عز وجل للدفاع عن حرمات النبي، ومقدسات الإسلام، ومحبي الملة الحنيفية البيضاء، اللهم ألهمنا الرشد والسداد، واجعلنا من الذين يعرفون القول ويتبعون أحسنه، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾].

ويكتب القمي تحت تفسير قوله تعالى: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ نزل كتاب الله يخبر أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿وَحَسِبُوٓا۟ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: لا يكون اختبار، ولا يمتحنهم الله بأمير المؤمنين عليه السلام (فعموا وصموا) قال حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم (ثم عموا وصموا) حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام عليهم فعموا وصموا فيه حتى الساعة [«تفسير القمي» لعلي بن إبراهيم ج١ ص١٧٥، ١٧٦ ط مطبعة النجف ١٣٨٦هـ].

هذا ومثل هذا كثير [انظر لذلك كتابنا «الشيعة والسنة»].

فهذا هو موقف الشيعة من الصحابة، وذلك هو موقف أهل البيت منهم.

* * *

موقف أهل البيت من الصديق

هذا ونريد بعد ذلك أن نبّين موقف أهل البيت من ثاني اثنين إذ هما في الغار، من الصديق الأكبر رضي الله عنه، فيقول فيه ابن عم النبي وصهره، زوج ابنته، ووالد سبطيه علي ابن أبى طالب رضي الله عنه وهو يذكر بيعة أبى بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انثيال [انثيال الناس أي انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب (كما قاله ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة)] الناس على أبى بكر، وإجفالهم [الإجفال الإسراع] إليه ليبايعوه: فمشيت عند ذلك إلى أبى بكر، فبايعته ونهضت في تلك الأحداث حتى زاغ الباطل وزهق وكانت «كلمة الله هي العليا» ولو كره الكافرون، فتولى أبو بكر تلك الأمور فيسر، وسدد، وقارب، واقتصد، فصحبته مناصحًا، وأطعته فيما أطاع الله [فيه] جاهدًا [«الغارات» ج١ ص٣٠٧ تحت عنوان «رسالة علي عليه السلام إلى أصحابه بعد مقتل محمد بن أبي بكر»].

ويذكر في رسالة أخرى أرسلها إلى أهل مصر مع عامله الذي استعمله عليها قيس ابن سعد بن عبادة الأنصاري «بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى من بلغه كتابي هذا من المسلمين، سلام عليكم فإني أحمد الله إليكم الذي لا إله إلا هو.

أما بعد! فإن الله بحسن صنعه وتقديره وتدبيره اختار الإسلام دينًا لنفسه وملائكته ورسله، وبعث به الرسل إلى عباده [و] خص من انتخب من خلقه، فكان مما أكرم الله عز وجل به هذه الأمة وخصهم [به] من الفضيلة أن بعث محمدًا – صلى الله عليه وسلم – [إليهم] فعلمهم الكتاب والحكمة والسنة والفرائض، وأدّبهم لكيما يهتدوا، وجمعهم لكيما [لا] يتفرقوا، وزكاهم لكيما يتطهروا، فلما قضى من ذلك ما عليه قبضة الله [إليه فعليه] صلوات الله وسلامه ورحمته ورضوانه إنه حميد مجيد. ثم إن المسلمين من بعده استخلفوا امرأين منهم صالحين عملاً بالكتاب وأحسنا السيرة ولم يتعديا السنة ثم توفاهما الله فرحمهما الله» [«الغارات» ج١ ص٢١٠ ومثله باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، و«ناسخ التواريخ» ج٣ كتاب٢ ص٢٤١ ط إيران، و«مجمع البحار» للمجلسي].

ويقول أيضًا وهو يذكر خلافة الصديق وسيرته: فاختار المسلمون بعده – أي: النبي صلى الله عليه وسلم – رجلاً منهم، فقارب وسدد بحسب استطاعة على خوف وجد.

[«شرح نهج البلاغة» للميثم البحراني ص٤٠٠].

ولم اختار المسلمون أبا بكر خليفة للنبي وإمامًا لهم؟ يجيب عليه المرتضى رضي الله عنه وابن عمة الرسول الزبير بن العوام رضي الله عنه بقولهما: وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وثاني اثنين، وإنا لنعرف له سنة، ولقد أمره رسول الله بالصلاة وهو حي. [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد الشيعي ج١ ص٣٣٢].

ومعنى ذلك أن خلافته كانت بإيعاز الرسول عليه السلام.

وعلي بن أبى طالب رضي الله عنه قال مثل هذا القول ردًا على أبي سفيان حين حرضه على طلب الخلافة كما ذكر ابن أبى الحديد [هو عز الدين عبد الحميد بن أبي الحسن بن أبي الحديد المدائني «صاحب شرح نهج البلاغة، المشهور «هو من أكابر الفضلاء المتتبعين، وأعاظم النبلاء المتبحرين مواليًا لأهل بيت العصمة والطهارة.. وحسب الدلالة على علو منزلته في الدين وغلوه في ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، شرحه الشريف الجامع لكل نفيسة وغريب، والحاوي لكل نافحة ذات طيب.. كان مولده في غرة ذي الحجة ٥٨٦، فمن تصانيفه «شرح نهج البلاغة» عشرين مجلدًا، صنفه لخزانة كتب الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي، ولما فرغ من تصنيف أنفذه على يد أخيه موفق الدين أبي المعالي، فبعث له مائة ألف دينار، وخلعة سنية، وفرسًا.

[«روضات الجنات» ج٥ ص٢٠، ٢١].

ولد بالمدائن «وكان الغالب على أهل المدائن التشيع والتطرف والمغالاة، فسار في دربهم، وتقبل مذهبهم، ونظم العقائد المعروفة بالعلويات السبع على طريقتهم، وفيها غالى وتشيع وذهب به الإسراف في كثير من الأبيات كل مذهب، يقول في إحداها:

علم الغيوب إليه غير مدافع | والصبح أبيض مسفر لا يدفع
وإليه في يوم المعاد حسابنا | وهو الملاذ لنا غدًا والمفزع
ورأيت دين الاعتزال وإنني | أهوى لأجلك كل من يتشيع
ولقد علمت بأنه لا بد من | مهديكم وليومه أتوقع
تحميه من جند الإله كتائب | كاليم أقبل زاخرًا يتدفع
تالله لا أنسى الحسين وشلوه | تحت السنابك بالعراء موزع
لهفي على تلك الدماء تراق في | أيدي أمية عنوة وتضيع
يأبى أبو العباس أحمد إنه | خير الورى من أن يطل ويمنع
فهو الولي لثأرها وهو الحمو | ل لعبئها إذ كل عود يضلع
والدهر طوع والشبيبة غضة | والسيف عضب والفؤاد مشيع

ثم خف إلى بغداد، وجنح إلى الاعتزال، وأصبح كما يقول صاحب نسخة السحر «معتزليًا جاهزيًا في أكثر شرحه بعد أن كان شيعيًا غاليًا».

«وتوفي في بغداد سنة ٦٥٥ يروي آية الله العلامة الحلي عن أبيه عنه» [الكنى والألقاب ج١ ص١٨٥] جاء أبو سفيان إلى علي عليه السلام، فقال: وليتم على هذا الأمر أذل بيت في قريش، أما والله لئن شئت لأملأنها على أبى فصيل خيلاً ورجلاً، فقال عليّ عليه السلام: طالما غششت الإسلام وأهله، فما ضررتهم شيئًا، لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك، لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً لما تركناه».

[«شرح ابن أبي الحديد» ج١ ص١٣٠].

ولقد كررّ هذا القول ومثله مرات كرات، وأثبتته كتب القوم في صدورها وهو أن عليًا كان يعدّ الصديق أهلاً للخلافة، وأحق الناس بها، لفضائله الجمة ومناقبه الكثيرة حتى حينما سئل قرب وفاته بعد ما طعنه ابن الملجم من سيكون الإمام والخليفة بعدك؟ فقال كما روي عن أبي وائل والحكيم عن علي بن أبى طالب عليه السلام أنه قيل له: ألا توصي؟ قال: ما أوصى رسول الله (ص) فأوصي، ولكن قال: - أي: الرسول - إن أراد الله خيرًا فيجمعهم على خيرهم بعد نبيهم [«تلخيص الشافي» للطوسي ج٢ ص٣٧٢ ط النجف].

وأورد مثل هذه الرواية «علم الهدى» [هو علي بن الحسين بن موسى المشهور بالسيد المرتضى الملقب بعلم الهدى، ولد سنة ٣٥٥، ومات ٤٣٦، هو ركن من أركان المذهب الشيعي ومؤسسيه، وقد بالغ الشيعة في مدحه ومدح أخيه الشريف رضى صاحب نهج البلاغة مبالغة لا نهاية لها، قال فيه الخوانساري: كان شريف المرتضى أوحد عصره علمًا وفهمًا، كلامًا وشعرًا، وجاهًا وكرمًا.. وأما مؤلفات السيد فكلها أصول وتأسيسات غير مسبوقة بمثال منها «كتاب الشافي» في الإمامة، أقول: «وهو كاسمه شاف واف» [روضات الجنات ج٤ ص٢٩٥ إلى ما بعد].

وقال القمي: هو سيد علماء الأمة، ومحيي آثار الأئمة، ذو المجدين.. جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، فهذا من الفضائل تفرد به وتوحد، وأجمع على فضله المخالف والمؤالف.. له تصانيف مشهورة - «الشافي» في الإمامة، لم يصنف مثله في الإمامة.. قال آية الله العلامة ومنه استفاد الإمامية وهو ركنهم ومؤلفهم».

[الكنى والألقاب ج٢ ص٣٩، ٤٠].

للشيعة في كتابه الشافي:

«عن أمير المؤمنين عليه السلام لما قيل له: ألا توصي؟ فقال: ما أوصى رسول الله (ص) فأوصي، ولكن إذا أراد الله بالناس خيرًا أستجمعهم على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم» [«الشافي» ص١٧١ ط النجف].

فهذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه يتمنى لشيعته وأنصاره أن يفوق الله لهم رجلاً خيرًا صالحًا كما وفق للأمة الإسلامية المجيدة بعد أن اصطدموا بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم برجل خير صالح، أفضل الخلائق بعد نبيه صلى الله عليه وسلم بأبي بكر الصديق رضي الله عنه إمام الهدى، وشيخ الإسلام، ورجل قريش، والمقتدى به بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب ما سماه سيد أهل البيت زوج الزهراء رضي الله عنهما كما رواه السيد مرتضى علم الهدى في كتابه عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلاً من قريش جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: سمعتك تقول في الخطبة آنفا: اللهم أصلحنا بما أصلحت به الخلفاء الراشدين، فمن هما؟ قال: حبيباي، وعماك أبو بكر وعمر، وإماما

الهدى، وشيخا الإسلام. ورجلا قريش، والمتقدى بهما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، من اقتدى بهما عصم، ومن اتبع آثارهما هدى إلى صراط المستقيم».

[«تلخيص الشافي» ج٢ ص٤٢٨].

هذا وقد كرر في نفس الكتاب هذا «إن عليًا عليه السلام قال في خطبته: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر»، ولم لا يقول هذا وهو الذي روى «أننا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل حراء إذ تحرك الجبل، فقال له: قر، فإنه ليس عليك إلا نبي وصديق وشهيد» [«الاحتجاج» للطبرسي].

فهذا هو رأى علي رضي الله عنه في أبي بكر، نعم! رأي علي الخليفة الراشد الرابع عندنا، والإمام المعصوم الأول عند القوم، الذي يدعون فيه أن من أنكر ولايته فقد كفر، كما قالوا: الموالي له ناج، والمعادي له كافر هالك، والمتخذ دونه وليجة ضال مشرك» [«فرق الشيعة للنوبختي» ص٤١ ط النجف ١٩٥١م، و«تفسير القمي» ج١ ١٥٦ نجف ط تحت آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟﴾].

وقد نقلوا من أئمتهم «أبى الله عز وجل أن يتولى قوم قومًا يخالفونهم في أعمالهم معهم يوم القيامة، كلا ورب الكعبة» [«كتاب الروضة من الكافي» للكليني ج٨ ص٢٥٤].

فالمفروض من القوم الذين يدعون موالاة علي وبنيه أن يتبعوه وأولاده في آرائهم ومعتقداتهم في أصحاب النبي ورفقائه، وخاصة في صاحبه في الغار، الذي نقلنا فيه كلام سيد أهل البيت أمير المؤمنين علي بن أبى طالب رضي الله عنه، ورأيه وعقيدته التي نقلوها في كتبهم هم، وبعباراتهم أنفسهم، التي ذكرناها آنفا، وكما نحن ذاكرين آراء بقية أهل البيت فيه إن شاء الله.

* * *

رأى أهل بيت النبي ﷺ في الصديق

فإن ابن عباس هو ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وابن عم علي، وكان أحد عماله الذي قال فيه الجعفر بن باقر: إن ابن عباس لما مات وأخرج خرج من كفنه طير أبيض يطير، ينظرون إليه يطير نحو السماء حتى غاب عنهم فقال (يعني جعفر) وكان أبي يحبه حبًا شديدًا [«رجال الكشي» تحت عنوان عبد الله بن عباس ص٥٥ ط كربلاء].

ويقول عنه المفيد [هو محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ولد سنة ٣٣٨، ومات في بغداد سنة ٤١٣، وصلى عليه السيد المرتضى، واشتهر بالمفيد، «لأن الغائب المهدي لقبه به» - كما يزعمون - (معالم العلماء ص١٠١)].

«وكان من أجلّ مشائخ الشيعة، ورئيسهم وأستاذهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، أوثق أهل زمانه وأعلمهم، انتهت رياسة الإمامية في وقته.. له قريب من مائتي مصنف كبار وصغار».

[«روضات الجنات» ج٦ ص١٥٣].

ويقولون: إن إمام العصر (الغائب المزعوم) خاطبه في كتابه بالأخ السديد، والمولى الرشيد «أيها المولى المخلص في ودنا، الناصر لنا، وملهم الحق ودليله، العبد الصالح، الناصر للحق، الداعي إليه بكلمة الصدق» [مقدمة الإرشاد ص٤] كان أمير المؤمنين يتعشى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبد الله بن العباس.

[«الإرشاد» ص١٤].

فهذا ابن عباس يقول وهو يذكر الصديق: رحم الله أبا بكر، كان والله للفقراء رحيمًا، وللقرآن تاليًا، وعن المنكر ناهيًا، وبدينه عارفًا، ومن الله خائفًا، وعن المنهيات زاجرًا، وبالمعروف آمرًا. وبالليل قائمًا، وبالنهار صائمًا، فاق أصحابه ورعًا وكفافًا، وسادهم زهدًا وعفافًا [«ناسخ التواريخ» ج٥ كتاب٢ ص١٤٣، ١٤٤ ط طهران].

هذا ويقول ابن أمير المؤمنين عليّ ألا وهو الحسن نعم! الحسن بن علي - الإمام المعصوم الثاني عند القوم، والذي أوجب الله اتباعه على القوم حسب زعمهم - يقول

في الصديق، وينسبه إلى رسول الله عليه السلام أنه قال: إن أبا بكر مني بمنزلة السمع».

[«عيون الأخبار» ج١ ص٣١٣، أيضًا «كتاب معاني الأخبار» ص١١٠ ط إيران].

وكان حسن بن علي رضي الله عنهما يوقر أبا بكر وعمر إلى حد حتى جعل من إحدى الشروط على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما «إنه يعمل ويحكم في الناس بالكتاب، وسنة رسول الله، وسيرة الخلفاء الراشدين، – وفي النسخة الأخرى – الخلفاء الصالحين.

[«منتهى الآمال» ص٢١٢ ج٢ ط إيران].

وأما الإمام الرابع للقوم علي بن الحسن بن علي، فقد روى عنه أنه جاء إليه نفر من العراق، فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، فلما فرغوا من كلامهم قال لهم: ألا تخبروني أنتم ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾؟ قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، اخرجوا عني، فعل الله بكم.

[«كشف الغمة» للأربلي ج٢ ص٧٨ ط تبريز إيران].

وأما ابن زين العابدين محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر – الإمام الخامس المعصوم عند الشيعة – فسئل عن حلية السيف كما رواه علي بن عيسى الأربلي [الأربلي هو بهاء الدين أبو الحسن علي بن الحسين فخر الدين عيسى بن أبي الفتح الأربلي، ولد في أوائل القرن السابع من الهجرة ببلدة الأربل قرب الموصل، ومات ببغداد سنة ٦٩٣، قال عنه القمي: الأربلي من كبار العلماء الإمامية، العالم الفاضل، الشاعر الأديب، البمنشى النحرير، المحدث الخبير، الثقة الجليل، أبو الفضائل والمحاسن، والحجة، صاحب «كشف الغمة في معرفة الأئمة»، فرغ من تصنيفه سنة ٦٨٧.. وله شعر كثير في مدح الأئمة عليهم السلام ذكر جملة منه في «كشف الغمة»، وكتابه كشف الغمة كتاب نفيس،

جامع، حسن» [الكنى والألقاب ج٢ ص١٤، ١٥ ط قم إيران].

وقال الخوانساري: «كان من أكابر محدثي الشيعة، وأعاظم علماء المائة السابعة.. واتفق جميع الإمامية على أن علي بن عيسى من عظمائهم، والأوحدي النحرير، من جملة علمائهم، لا يشق غباره، وهو المعتمد المأمون في النقل» [روضات الجنات ج٤ ص٣٤١، ٣٤٢)] في كتابه «كشف الغمة».

«عن أبى عبد الله الجعفي عن عروة بن عبد الله قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام عن حلية السيف؟ فقال: لا بأس به، قد حلى أبو بكر الصديق سيفه، قال: قلت: وتقول الصديق؟ فوثب وثبة، واستقبل القبلة، فقال: نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة». [«كشف الغمة» ج٢ ص١٤٧].

ولم يقل هذا إلا لأن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم الناطق بالوحي سماه الصديق كما رواه البحراني الشيعي في تفسيره «البرهان» عن علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي عن بعض رجاله عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار قال لأبي بكر: كأني أنظر إلى سفينة جعفر وأصحابه تعوم في البحر، وانظر إلى الأنصار محبتين (مخبتين) في أفنيتهم، فقال أبو بكر: وتراهم يا رسول الله؟ قال: نعم! قال: فأرنيهم، فمسح على عينيه فرآهم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت الصديق» [«البرهان» ج٢ ص١٢٥].

ويروي الطبرسي «هو أبو المنصور أحمد بن علي بن أبي طالب من أهل الطبرستان» «فهذا الرجل من أجلاء أصحابنا المتقدمين، وله كتاب «الاحتجاج» كتاب معروف معتبر بين الطائفة، وقد ذكره أيضًا في «أمل الآمل» وقال: عالم فاضل، محدث ثقة، له كتاب الاحتجاج حسن، كثير الفوائد» [روضات الجنات ج١ ص٦٥].

الطبرسي «الشيخ العالم الفاضل الكامل النبيل، الفقيه، المحدث الثقة الجليل» [الكنى والألقاب ج٢ ص٤٠٤] عن الباقر أنه قال: ولست بمنكر فضل أبى بكر، ولست بمنكر فضل عمر، ولكن أبا بكر أفضل من عمر» [«الاحتجاج» للطبرسي ص٢٣٠ تحت عنوان «احتجاج أبي جعفر بن علي الثاني في الأنواع الشتى من العلوم الدينية» ط مشهد كربلاء].

ثم ابنه أبو عبد الله جعفر الملقب بالسادس - الإمام المعصوم السادس حسب زعم القوم - سئل عن أبى بكر وعمر كما رواه القاضي نور الله الشوشترى [هو نور الله بن شرف الدين الشوشتري من علماء الشيعة الأعلام في الهند، كان قاضيًا بلاهور في عهد جهانغير أحد سلاطين المغول.

كان محدثًا، متكلمًا، محققًا فاضلاً نبيلاً، علامة، له كتب في نصرة المذهب ورد المخالف، وقتل بتهمة الرفض في دولة جهانغير باكبر آباد - في القرن الحادي عشر - ويطلق عليه الشهيد الثالث» [روضات الجنات ج٨ ص١٦٠]... وكفى للاطلاع على فضله، وكثرة تبحره، واحاطته بالعلوم، وحسن تصنيفه الرجوع إلى كتابه «إحقاق الحق» وغيره كان معاصرًا للشيخ البهائي، قتل لأجل تشيعهع في أكبر آباد الهند».

[الكنى والألقاب ج٣ ص٤٥].

الشيعي الغالي، الذي قتل سنة ١٠١٩ «إن رجلاً سأل عن الإمام الصادق عليه السلام، فقال: يا ابن رسول الله! ما تقول في حق أبى بكر وعمر؟ فقال عليه السلام: إمامان عادلان قاسطان، كانا على حق، وماتا عليه، فعليهما رحمة الله يوم القيامة».

[«إحقاق الحق» للشوشتري ج١ ص١٦ ط مصر].

وروى عنه الكليني في الفروع حديثًا طويلاً ذكر فيه: «وقال أبو بكر عند موته حيث قيل له: أوصِ، فقال: أوصي بالخمس والخمس كثير، فإن الله تعالى قد رضي بالخمس، فأوصي بالخمس، وقد جعل الله عز وجل له الثلث عند موته، ولو علم أن الثلث خير له أوصى به، ثم من قد علمتم بعده في فضله وزهده سلمان وأبو ذر رضي الله عنهما، فأما سلمان فكان إذا أخذ عطاه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من قابل. فقيل له: يا أبا عبد الله! أنت في زهدك تصنع هذا، وأنت لا تدرى لعلك تموت اليوم أو غدًا؟ فكان جوابه أن قال: مالكم لا ترجون لي بقاء كما خفتم علي الفناء، أما علمتم يا جهلة أن النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما يعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت، وأما أبو ذر فكانت له نويقات وشويهات يحلبها ويذبح منها إذا اشتهى أهله

اللحم، أو أنزل به ضيف، أو رأى بأهل الماء الذين هم معه خصاصة، نحر لهم الجزور أو من الشياه على قدر ما يذهب عنهم بقرم اللحم، فيقسمه بينهم، ويأخذ هو كنصيب واحد منهم لا يتفضل عليهم، ومن أزهد من هؤلاء وقد قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال» [كتاب المعيشة «الفروع من الكافي» ج٥ ص٦٨].

فأثبت أن منزلة الصديق في الزهد من بين الأمة المنزلة الأولى، وبعده يأتي أبو ذر وسلمان.

وروى عنه الأربلي أنه كان يقول: «لقد ولدني أبو بكر مرتين».

[«كشف الغمة» ج٢ ص١٦١].

لأن «أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها – أي: أم فروة – أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر» [«فرق الشيعة» للنوبختي ص٧٨].

ويروي السيد مرتضى في كتابه «الشافي» عن جعفر بن محمد أنه كان يتولاهما، ويأتي القبر فيسلم عليها مع تسليمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم».

[«كتاب الشافي» ص٢٣٨، أيضًا «شرح نهج البلاغة» ج٤ ص١٤٠ ط بيروت].

ويطول الكلام وما أروعه وأجمله، ولكن نحن نختصر الطريق، فنأتي إلى الإمام الأخير الموجود عند القوم وهو حسن بن علي الملقب بالحسن العسكري – الإمام الحادي عشر المعصوم – فيقول وهو يسرد واقعة الهجرة أن رسول الله بعد أن سأل عليًا رضي الله عنه عن النوم على فراشه قال لأبي بكر رضي الله عنه: أرضيت أن تكون معي يا أبا بكر تطلب كما أطلب، وتعرف بأنك أنت الذي تحملني على ما أدعيه فتحمل عني أنواع العذاب؟ قال أبو بكر: يا رسول الله! أما أنا لو عشت عمر الدنيا أعذب في جميعها أشد عذاب لا ينزل عليّ موت صريح ولا فرح ميخ وكان ذلك في محبتك لكان ذلك أحب إلى من أن أتنعم فيها وأنا مالك لجميع مماليك ملوكها في مخالفتك، وهل أنا ومالي وولدي إلا فداءك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا جرم أن اطلع الله على قلبك، ووجد موافقًا لما جرى على لسانك جعلك مني بمنزلة السمع والبصر، والرأس من الجسد، والروح من البدن [«تفسير الحسن العسكري» ص١٦٤، ١٦٥ ط إيران].

هذا ولقد سردنا الروايات، ونقلناها من كتب القوم أنفسهم عن محمد رسول الله إمام الكونين ورسول الثقلين فداه أبواي وروحي صلى الله عليه وسلم، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - الإمام الأول المعصوم إلى الإمام الأخير الظاهر حسب زعمهم - وإكمالاً للبحث، وإتمامًا للفائدة نريد أن نروي ههنا روايتين آخرين نقلت من أهل بيت علي أيضًا ومن كتب القوم أنفسهم.

فالأولى من زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب شقيق محمد الباقر وعم جعفر الصادق الذي قيل فيه: كان حليف القرآن.

[«الإرشاد» للمفيد ص٢٦٨ تحت عنوان «ذكر أخوته» - أي: الباقر -].

«واعتقد كثير من الشيعة فيه بالإمامة، وكان سبب اعتقادهم ذلك فيه خروجه بالسيف» [«الإرشاد» للمفيد ص٢٦٨].

ويقول أبو الفرج الأصفهاني الشيعي [هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد ولد بأصفهان سنة ٢٨٤ ثم انتقل إلى بغداد، ونشأ فيها وترعرع، وبلغ المناصب، مات سنة ٣٥٦، وصار مقربًا محببًا إلى بني بويه، ولعل من أسباب تلك الحظوة اتفاقهم في التشيع، وله مصنفات كثيرة مشهورة في الأدب والشعر، ومن أشهرها «الأغاني» و«مقاتل الطالبيين» ذكره محسن الأمين في طبقات الشعراء من الشيعة وفي طبقات المؤرخين. (أعيان الشيعة ج١ ص١٧٥)]. نقلاً عن الأشناني عن عبد الله بن جرير أنه قال: رأيت جعفر بن محمد - أي: الجعفر الصادق - يمسك لزيد بن علي بالركاب، ويسوي ثيابه على السرج [«مقاتل الطالبين» للأصفهاني ص١٢٩ ط دار المعرفة بيروت].

فهذا هو زيد بن زين العابدين بن الحسين وقد سئل عن أبي بكر كما يذكر صاحب ناسخ التواريخ [«ناسخ التواريخ» للمرزا تقي خان سيبهر معاصر الشاه ناصر الدين وابنه مظفر الدين، له ناسخ التواريخ فارسي مطبوع لم يعمل مثله («أعيان الشيعة» تحت عنوان طبقات المؤرخين قسم١ ج٢ ص١٣٢)] الشيعي «إن ناسًا من رؤساء الكوفة وأشرافها الذين بايعوا زيدًا حضروا يومًا عنده، وقالوا له: رحمك الله، ماذا تقول في حق

أبي بكر وعمر؟ قال: ما أقول فيهما إلا خيرًا كما لم أسمع فيهما من أهل بيتي (بيت النبوة) إلا خيرًا، ما ظلمانا ولا أحد غيرنا، وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله» [«ناسخ التواريخ» ج٢ ص٥٩٠ تحت عنوان «أحوال الإمام زين العابدين»].

ويقول: لما سمع أهل الكوفة منه هذه المقالة رفضوه، ومالوا إلى الباقر، فقال زيد: رفضونا اليوم، ولذلك سموا هذه الجماعة بالرافضة [«ناسخ التواريخ» ج٢ ص٥٩٠].

والرواية الثانية، والرأي الثاني من شخص نسجت الشيعة حوله الأساطير أي سلمان الفارسي الذي قيل فيه: سلمان المحمدي، ذلك رجل منا أهل البيت و«إن سلمان من أهل البيت» [«رجال الكشي» ص١٨، ٢٠ ط الأعلمي كربلاء].

و «كان الناس أهل ردة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاثة، المقداد وأبو ذر وسلمان رحمة الله وبركاته عليهم» [«الروضة من الكافي» ج٨ ص٣٤٥].

وقال فيه علي: إن سلمان باب الله في الأرض، من عرفه كان مؤمنًا، ومن أنكره كان كافرًا [«رجال الكشي» ص٧٠].

فهذا السلمان يقول: إن رسول الله كان يقول في صحابته: ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة، ولكن بشيء وقر في قلبه [«مجالس المؤمنين» للشوشتري ص٨٩].

هذا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصًا عليه إلى هذا الحد بأن أبا بكر لما أراد مبارزة ابنه يوم بدر وهو فارس، مدجج، منعه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: شم سيفك، وارجع إلى مكانك، ومتعنا بنفسك» [«كشف الغمة» ج١ ص١٩٠] وجعل بقاءه متعة له عليه الصلاة والسلام.

فهذا آخر ما أردنا إدراجه في هذا الباب.

* * *

خلافة الصديق

وبعد ما ذكرنا أهل بيت النبي وموقفهم وآرائهم تجاه سيد الخلق بعد أنبياء الله ورسله أبي بكر الصديق رضي الله عنه نريد أن نذكر أنه لم يكن خلاف بينه وبين أهل البيت في مسألة خلافة النبي وإمارة المؤمنين وإمامة المسلمين، وأن أهل البيت بايعوه كما بايعه غيرهم، وساروا في مركبه، ومشوا في موكبه، وقاسموه هموم المسلمين وآلامهم، وشاركوه في صلاح الأمة وفلاحها، وكان علي رضي الله عنه أحد المستشارين المقربين إليه، يشترك في قضايا الدولة وأمور الناس، ويشير عليه بالأنفع والأصلح حسب فهمه ورأيه. ويتبادل به الأفكار والآراء، لا يمنعه مانع ولا يعوقه عائق، يصلي خلفه، ويعمل بأوامره، ويقضي بقضاياه، ويستدل بأحكامه ويستند، ثم ويسمي أبنائه بأسمائه حبًا له وتيمنًا باسمه وتوددًا إليه.

وفوق ذلك كله يصاهر أهل البيت به وبأولاده، ويتزوجون منهم ويزوجون بهم، ويتبادلون ما بينهم التحف والصلات، ويجري بينهم من المعاملات ما يجري بين الأقرباء المتحابين والأحباء المتقاربين، وكيف لا؟ وهم أغصان شجرة واحدة وثمرة نخل واحدة، لا كما يظنه أبناء اليهودية البغيضة، ومكايدين للأمة المحمدية المجيدة، والحاسدين الناقمين على حملة الإسلام ومعلني كلمته ورافعي رايته.

أما خلافة الصديق رضي الله عنه فبصحتها وانعقادها وقيامها يستدل علي بن أبي طالب رضي الله عنه على صحة خلافته وانعقادها كما يذكر وهو يردّ على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أمير الشام «إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان ذلك لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى» [«نهج البلاغة» ص٣٦٦، ٣٦٧ ط بيروت بتحقيق صبحي صالح].

وقال: إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنما الخيار للناس قبل أن

يبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار [«ناسخ التواريخ» ج٣ الجزء٢].

وهذا النص واضح في معناه، لا غموض فيه ولا إشكال بأن الإمامة والخلافة تنعقد باتفاق المسلمين واجتماعهم على شخص، وخاصة في العصر الأول باجتماع الأنصار والمهاجرين، فإنهم اجتمعوا على أبي بكر وعمر، فلم يبق للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد، كما ذكرنا قريبًا روايتين عن علي بن أبى طالب في الغارات للثقفي [هو أبو إسحاق إبراهيم الثقفي الكوفي الأصبهاني الشيعي، ولد في حدود المائتين أو قبلها بسنين، ومات بأصبهان سنة ٢٨٣هـ، هو من أجلاء الرواة المؤلفين للشيعة كما ذكره النوري الطبرسي «وأما إبراهيم الثقفي المعروف الذي اعتمد عليه الأصحاب فهو من أجلاء الرواة المؤلفين كما يظهر من ترجمته، ويروي عنه الأجلاء».

[المستدرك ج٣ ص٥٤٩، ٥٥٠].

وسماه الخوانساري في روضات الجنات «الشيخ المحدث» المروج الصالح السديد أبو إسحاق إبراهيم الثقفي الأصفهاني صاحب كتاب «الغارات» الذي ينقل عنه في «البحار» كثيرًا (ص٤). «وله نحوًا من خمسين مؤلفًا لطيفًا» [أعيان الشيعة، القسم ٢ ص١٠٣] بأن الناس انثالوا على أبي بكر، وأجفلوا إليه، فلم يكن إلا أن يقر ويعترف بخلافته وإمامته.

وهناك رواية أخرى في غير «الغارات» تقر بهذا عن علي أنه قال وهو يذكر أمر الخلافة والإمامة: رضينا عن الله قضائه، وسلمنا لله أمره .... فنظرت في أمري فإذا طاعتي سبقت بيعتي إذ الميثاق في عنقي لغيري».

[«نهج البلاغة» ص٨١ خطبة ٣٧ ط بيروت بتحقيق صبحي صالح].

«ولما رأى ذلك تقدم إلى الصديق، وبايعه كما بايعه المهاجرون والأنصار، والكلام من فيه وهو يومئذ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، ولا يتقي الناس، ولا يظهر إلا ما يبطنه لعدم دواعي التقية حسب أوهام القوم، وهو يذكر الأحداث الماضية فيقول: فمشيت عند ذلك إلى أبي بكر، فبايعته، ونهضت في تلك الأحداث ... فتولى أبو بكر تلك الأمور وسدد ويسر وقارب واقتصد، فصحبته مناصحًا، وأطعته فيما أطاع الله جاهدًا» [«منار الهدى» لعلي البحراني الشيعي ص٣٨٣، أيضًا «ناسخ التواريخ» ج٣ ص٥٣٢].

ولأجل ذلك رد على أبي سفيان وعباس حينما عرضا عليه الخلافة لأنه لا حق له بعد ما انعقدت للصديق كما مر بيانه.

«وفيما كتب إلى أمير الشام معاوية بن أبى سفيان أقرّ أيضًا بخلافة الخليفة الأول الصديق وأفضليته، ودعا له بعد موته بالمغفرة والإحسان، وتأسف على انتقاله إلى ربه كما يكتب «وذكرت أن الله اجتبى له من المسلمين أعوانًا أيّدهم به، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام كما زعمت وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة الصديق وخليفة الخليفة الفاروق» ولعمري أن مكانهما في الإسلام لعظيم، وإن المصائب بهما لجرح في الإسلام شديد يرحمهما الله، وجزاهم الله بأحسن ما عملا» [ابن ميثم شرح نهج البلاغة ط إيران ص٤٨٨].

وروى الطوسي [«هو محمد بن الحسن بن علي الطوسي ولد سنة ٣٨٥، ومات في ٤٦٠ بنجف، ويلقب بشيخ الطائفة»] [تنقيح المقال ص١٠٥ ج٣].

«هو عماد الشيعة، ورافع أعلام الشيعة، شيخ الطائفة على الإطلاق، ورئيسها الذي تُلوى إليه الأعناق، صنف في جميع علوم الإسلام، وكان القدوة في ذلك والإمام، وقد ملأت تصانيفه الأسماع، تتلمذ على الشيخ المفيد والسيد المرتضى وغيرهم» [الكنى والألقاب ج٢ ص٣٥٧].

هو من مصنفي الكتابين من الصحاح الأربعة «التهذيب» و«الاستبصار».

«وصنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد والأصول والفروع، وجميع الفضائل تنسب إليه» [روضات الجنات ج٦ ص٢١٦] عن علي أنه لما اجتمع بالمهزومين في الجمل قال لهم: فبايعتم أبا بكر، وعدلتم عني، فبايعت أبا بكر كما بايعتموه ......، فبايعت عمر كما بايعتموه فوفيت له بيعته ..... فبايعتم عثمان فبايعته وأنا جالس في بيتي، ثم أتيتموني غير داع لكم ولا مستكره لأحد منكم [هل الخلافة منصوصة؟ وفيه دليل واضح أن علي بن أبي طالب لم يكن يعتقد بأن الخلافة والإمامة لا تنعقد إلا بنص و«إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد».

[الأصول من الكافي، كتاب الحجة ج١ ص٢٧٧].

«وإنه عهد من رسول الله إلى رجل فرجل» [الأصول من الكافي ج١ ص٢٧٧].

وانظر لتفصيل ذلك كتب القوم «أصل الشيعة وأصولها» لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، و«الاعتقادات» لابن بابويه القمي، و«الألفين» للحلي، و«بحار الأنوار» للمجلسي وغيره.

لأنه لو كان يعتقد هذا لما اعتقد لأبي بكر الخلافة، ولم يدخل في مستشاريه وفوق ذلك لم يقل لأهل الجمل هذه الجمل التي نقلناها منه «ثم أتيتموني غير داع لكم» ولأنه لو كان إمامًا من الله لم يزل دعوتهم إليه، ولم يقل لهم قبل ذلك حينما دعوه إلى البيعة له بعد قتل عثمان ذي النورين رضي الله عنه: دعوني والتمسوا غيري، فإنا مستقبلون أمرًا له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول - إلى أن قال - وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا».

[كلام علي لما أراده الناس على البيعة بعد قتل عثمان، نهج البلاغة خطبه ٩٢ ص١٣٦ ط بيروت].

«وهل هناك دليل أصدق من كلامه بأنه لم يكن يريد الخلافة التي يعد الشيعة منكريها أكفر من اليهود والمجوس والنصارى والمشركين كما يقول مفيدهم: اتفقت إمامية علي أن من أنكر إمامة أحد من الأئمة، وجحد ما أوجبه الله تعالى من فرض الطاعة فهو كافر، مستحق للخلود في النار».

[«بحار الأنوار» للمجلسي ج٢٣ ص٣٩٠ نقلاً عن «المفيد»].

ويقول الكليني محدثهم الأكبر: إن قول الله تعالى: «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع» هكذا والله نزل بها جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم » [كتاب الحجة من الأصول في الكافي ج١ ص٤٢٢].

وقال منتسبًا كذبًا وزورًا إلى محمد الباقر أنه قال: إنما يعبد الله من يعرف الله، فأما من لا يعرف الله فإنما يعبده هكذا ضلالاً، قلت: جعلت فداك، فما معرفة الله؟ قال: تصديق الله عز وجل وتصديق رسوله صلى الله عليه وسلم، وموالاة علي والائتمام به وبأئمة الهدى عليهم السلام، والبراءة إلى الله عز وجل من عدوهم.

[باب معرفة الإمام والرد إليه من الأصول في الكافي ج١ ص١٨٠].

وعلى ذلك يقول الصدوق ابن بابويه القمي مصرحًا: «اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من بعده أنه كمن جحد نبوة جميع الأنبياء، واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدًا من بعده من الأئمة إنه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء، وأنكر نبوة نبينا محمد» [«الاعتقادات» للقمي ص١٣٠].

فما العمل حينما علي بن أبي طالب نفسه ينكر الإمامة، والنص من أقدس كتب القوم، الذين ينكرون القرآن، ويقولون بالتحريف والتغيير والتبديل فيه [كما بيناه بالأدلة الواضحة والبراهين القاطعة من كتب القوم أنفسهم في كتابنا «الشيعة والسنة» عملاً بقول القائل: من فمك أدينك].

نعم! من أقدس كتبهم ألا وهو «نهج البلاغة» حيث يقول على المرتضى رضي الله عنه نفسه عن نفسه أن أكون مقتديًا خير لي من أن أكون إمامًا، فلنكرر قوله مرة ثانية: دعوني، والتمسوا غيري، فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا [«نهج البلاغة» خطبه ٩٢ ص١٣٦ ط بيروت].

ويؤيد ذلك أن عليًا لم يكن يرى الأمر كما يراه المتزعمون لولايته ما رواه ابن أبي الحديد عن عبد الله بن عباس أنه قال: خرج علي عليه السلام على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه، فقال له الناس: كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا حسن؟ قال: أصبح بحمد الله بارئًا قال: فأخذ العباس بيد علي، ثم قال: يا علي! أنت عبد العصا بعد ثلاث أحلف لقد رأيت الموت في وجهه، وإني لأعرف الموت في وجوه بني عبد المطلب، فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذكر له هذا الأمر إن كان فينا أعلمنا، وإن كان فير غيرنا أوصي بنا، فقال: لا أفعل والله إن منعناه اليوم لا يؤتيناه الناس بعده، قال: فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم.

[«شرح نهج البلاغة» ج١ ص١٣٢].

وقد نص ابن أبي الحديد بعد ذكر أخبار السقيفة وبيعة أبي بكر «واعلم أن الآثار والأخبار في هذا الباب كثيرة جدًا ومن تأملها وأنصف علم أنه لم يكن هناك نص صريح ومقطوع لا تختلجه الشكوك، ولا يتطرق إليه الاحتمالات» [«شرح نهج البلاغة» ج١ ص١٣٥].

وقال أيضًا رضي الله عنه مخاطبًا طلحة والزبير، والله ما كانت لي في الخلافة رغبة، ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها [نهج البلاغة ص٣٢٢].

هذا ومثل ذلك روى نصر بن مزاحم [هو أبو الفضل نصر بن مزاح التميمي الكوفي الملقب بالعطار «إنه من جملة الرواة المتقدمين، بل الواقعة في درجة التابعين وطبقة الثلاثة الأوائل من الأئمة الطاهرين» [روضات الجنات ج٨ ص١٦٦].

وقال النجاشي: مستقيم الطريقة، صالح الأمر، صاحب كتاب «صفين» و«الجمل» و«مقتل الحسين» وغيرها من الكتب [النجاشي ص٣٠١ و٣٠٢] الشيعي أن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما أرسل حبيب بن مسلمة الفهري وشرحبيل بن سمط ومعن بن يزيد ليطالبوه بقتلة عثمان ذي النورين رضي الله عنه، فرد عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحمدلة والبسملة «أما بعد! فإن الله بعث النبي صلى الله عليه وسلم، فأنقذ به من الضلالة وأنعش به من المهلكة وجمع به بعد الفرقة، ثم قبضه الله إليه وقد أدى ما عليه، ثم استخلف أبو بكر عمر وأحسنا السيرة، وعدلا في الأمة.. ثم ولي أمر الناس عثمان، فعلم بأشياء عابها الناس عليه، فسار إليه ناس فقتلوه، ثم أتاني الناس وأنا معتزل أمرهم، فقالوا لي: بايع، فأبيت عليهم، فقالوا لي: بايع، فإن الأمة لا ترضى إلا بك، وإنا نخاف إن لم تفعل أن يفترق الناس، فبايعتهم» [«كتاب صفين» ط إيران ص١٠٥].

ولقد ذكر المؤرخ الشيعي أن أبا بكر رضي الله عنه لما أراد استخلاف عمر بعده اعترض عليه بعض من الناس، فقال علي لطلحة، و استخلف أبو بكر أحدًا غير عمر لما نطيعه [«تاريخ روضة الصفا» فارسي ص٢٠٦ ط بمبئي] فبايعتموني كما بايعتم أبا بكر وعمر وعثمان، فما جعلكم أحق أن تفوا لأبى بكر وعمر وعثمان ببيعتهم منكم ببيعتي».

[«الأمالي» لشيخ الطائفة الطوسي ج٢ ص١٢١ ط نجف].

والطبرسي أيضًا ينقل عن محمد الباقر ما يقطع أن عليًا كان مقرًا بخلافته، ومعترفًا بإمامته، ومبايعًا له بإمارته كما يذكر أن أسامة بن زيد حب رسول الله لما أراد الخروج انتقل رسول الله إلى الملأ الأعلى فلما وردت الكتاب على أسامة انصرف بمن معه حتى دخل المدينة، فلما رأى اجتماع الخلق على أبي بكر انطلق إلى علي بن أبى طالب عليه السلام

فقال: ما هذا؟ قال له علي عليه السلام هذا ما ترى، قال أسامة: فهل بايعته؟ فقال: نعم.

[«الاحتجاج» للطبرسي ص٥٠ ط مشهد عراق].

ولقد أقر بذلك شيعي متأخر وإمام من أئمة القوم محمد حسين آل كاشف الغطاء بقوله: لما ارتحل الرسول من هذه الدار إلى دار القرار، ورأى جمع من الصحابة أن لا تكون الخلافة لعلي إما لصغر سنه أو لأن قريشًا كرهت أن تجتمع النبوة والخلافة لبني هاشم - إلى أن قال - وحين رأى أن الخليفة الأول والثاني بذلا أقصى الجهد في نشر كلمة التوحيد وتجهيز الجيوش وتوسيع الفتوح، ولم يستأثروا ولم يستبدوا بايع وسالم.

[«أصل الشيعة وأصولها» ط دار البحار بيروت ١٩٦٠ ص٩١].

وبقي سؤال فلماذا تأخر عن البيعة أيامًا؟ يجيب عليه ابن أبي الحديد «ثم قام أبو بكر، فخطب الناس واعتذر إليهم وقال: إن بيعتي كانت فتنة وقى الله شرها وخشيت الفتنة، وأيم الله! ما حرصت عليها يوم قط، ولقد قلدت أمرًا عظيمًا مالي به طاقة ولا يدان، ولوددت أن أقوى الناس عليه مكاني، وجعل يعتذر إليهم، فقبل المهاجرون عذره، وقال علي والزبير: ما غضبنا إلا في المشورة وإنا لنرى أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف له سنه، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة بالناس وهو حي» [«شرح نهج البلاغة» لأبي أبي الحديد ج١ ص١٣٢].

وأورد ابن أبي الحديد رواية أخرى في شرحه عن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي قال: كان خالد بن سعيد بن العاص من عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء المدينة وقد بايع الناس أبا بكر، فاحتبس عن أبي بكر فلم يبايعه أيامًا وقد بايع الناس وأتى بني هاشم الظهر والبطن والشعار دون الدثار والعصادون اللحا، فإذا رضيتم رضينا وإذا سخطتم سخطنا حدثوني إن كنتم قد بايعتم هذا الرجل قالوا: نعم! قال علي: برد ورضا من جماعتكم قالوا: نعم! قال: فأنا أرضى وأبايع إذا بايعتم أما والله! يا بني هاشم إنكم لطوال الشجر الطيب الثمر، ثم إنه بايع أبا بكر [«شرح نهج البلاغة» ج١ ص١٣٤، ١٣٥].

إقتداء علي بالصديق في الصلوات وقبوله الهدايا منه

هذا ونذكر بعد ذلك أن عليًا رضي الله عنه كان راضيًا بخلافة الصديق ومشاركًا له في معاملاته وقضاياه، قابلاً منه الهدايا، رافعًا إليه الشكاوى، مصليًا خلفه، عاملاً معه المحبة والأخوة، محبًا له، مبغضًا من يبغضه.

وشهد بذلك أكبر خصوم الخلفاء الراشدين وأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بهديهم، وسلك بمسلكهم، ونهج بمنهجهم.

فالرواية الأولى التي سقناها قبل ذلك أن عليًا قال للقوم حينما أرادوه خليفة وأميرًا: وأنا لكم وزيرًا خير لكم منى أميرًا [«نهج البلاغة» ص١٣٦ تحقيق صبحي صالح].

ويذكرهم بذلك أيام الصديق والفاروق حينما كان مستشارًا مسموعًا، ومشيرًا منفذًا كلمته كما يروي اليعقوبي [هو أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر الكاتب العباسي الشيعي، «كان جده من موالي أبي المنصور، وكان رحالة يحب الأسفار، ساح في بلاد الإسلام شرقًا وغربًا، ودخل أرمينية سنة ٢٦٠، ثم رحل إلى الرمنه وعاد إلى مصر وبلاد المغرب، فألف في سياحة البلاد «كتاب البلدان»، وله تاريخ معروف بالتاريخ اليعقوبي إلى غير ذلك، توفي سنة ٢٨٤ [الكنى والألقاب ج٣ ص٢٤٦].

«وأما صاحب الأعيان فعده في طبقات المؤرخين من الشيعة» [أعيان الشيعة] الشيعي الغالي في تاريخه وهو يذكر أيام خلافة الصديق «وأراد أبو بكر أن يغزو الروم فشاور جماعة من أصحاب رسول الله، فقدموا وأخروا، فاستشار علي بن أبى طالب فأشار أن يفعل، فقال: إن فعلت ظفرت؟ فقال: بشرت بخير، فقام أبو بكر في الناس خطيبًا، وأمرهم أن يتجهزوا إلى الروم».

[«تاريخ اليعقوبي» ص١٣٢، ١٣٣ ج٢ ط بيروت ١٩٦٠م].

وفى رواية: «سأل الصديق عليًا كيف ومن أين تبشر؟ قال: من النبي حيث سمعته يبشر بتلك البشارة، فقال أبو بكر: سررتني بها أسمعتني من رسول الله يا أبا الحسن! يسرّك الله» [«تاريخ التواريخ» ج٢ كتاب ٢ ص١٥٨ تحت عنوان «عزام أبي بكر»].

ويقول اليعقوبي أيضًا: وكان ممن يؤخذ عنه الفقه في أيام أبى بكر علي بن أبى طالب وعمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل وأبى بن كعب وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود».

[«تاريخ اليعقوبي» ص١٣٨ ج٢].

فقدم عليًا على جميع أصحابه، وهذا دليل واضح على تعاملهم مع بعضهم وتقديمهم عليًا في المشورة [وفي هذا المعنى توجد روايات كثيرة عندنا أن أبا بكر استشار أصحابه في مسائل ومشاكل وفيمن استشارهم كان عليًا رضي الله عنه، فقدم رأيه على آرائهم، انظر لذلك البداية والنهاية لابن الكثير ورياض النضرة لمحب الطبري وكنز العمال وتاريخ الملوك والأمم للطبري وتاريخ ابن خلدون وغيرها من الكتب، ولكنا لما عاهدنا أن لا نذكر شيئًا إلا من كتب القوم أعرضنا عن سردها] والقضاء.

ويؤيد ذلك الشيعي الغالي محمد بن النعمان العكبري الملقب بالشيخ المفيد حيث بوّب بابًا خاصًا في كتابه «الإرشاد» قضايا أمير المؤمنين عليه السلام في إمارة أبي بكر.

ثم ذكر عدة روايات عن قضايا علي في خلافة أبي بكر، ومنها «إن رجلاً رفع إلى أبي بكر وقد شرب الخمر، فأراد أن يقيم عليه الحد فقال له: إني شربتها ولا علم لي بتحريمها لأني نشأت بين قوم يستحلونها ولم أعلم بتحريمها حتى الآن فارتج على أبي بكر الأمر بالحكم عليه ولم يعلم وجه القضاء فيه، فأشار عليه بعض من حضر أن يستخبر أمير المؤمنين عليه السلام عن الحكم في ذلك، فأرسل إليه من سأله عنه، فقال أمير المؤمنين: مر رجلين ثقتين من المسلمين يطوفان به على مجالس المهاجرين والأنصار ويناشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه، وإن لم يشهد أحد بذلك فاستتبه وخلّ سبيله، ففعل ذلك أبو بكر فلم يشهد أحد من المهاجرين والأنصار أنه تلا عليه آية التحريم، ولا أخبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فاستتابه أبو بكر وخلى سبيله وسلم لعلي عليه السلام في القضاء به» [«الإرشاد» للمفيد ص١٠٧ ط إيران].

هذا وكان يتمثل أوامره كما حدث أن وفدًا من الكفار جاءوا إلى المدينة المنورة، ورأوا بالمسلمين ضعفًا وقلة لذهابهم إلى الجهات المختلفة للجهاد واستئصال شأفة

المرتدين والبغاة الطغاة، فأحس منهم الصديق خطرًا على عاصمة الإسلام والمسلمين، فأمر الصديق بحراسة المدينة وجعل الحرس على أنقابها يبيتون بالجيوش، وأمر عليًا والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود أن يرأسوا هؤلاء الحراس، وبقوا ذلك حتى أمنوا منهم [«شرح نهج البلاغة» ج٤ ص٢٢٨ ط. تبريز].

وللتعامل الموجود بينهم، وللتعاطف والتوادد والوئام الكامل كان عليّ وهو سيد أهل البيت ووالد سبطي الرسول صلوات الله وسلامه عليه يتقبل منه الهدايا والتحف دأب الأخوة المتشاورين ما بينهم والمتحابين كما قبل الصهباء الجارية التي سبيت في معركة عين التمر، وولدت له عمر ورقية «وأما عمر ورقية فإنهما من سبيئة من تغلب يقال لها الصهباء سبيت في خلافة أبي بكر وإمارة خالد بن الوليد بعين التمر [«شرح نهج البلاغة» ج٢ ص٧١٨، أيضًا «عمدة الطالب» ط نجف ص٣٦١].

«وكانت اسمها أم حبيب بنت ربيعة» [«الإرشاد» ص١٨٦].

وأيضًا منحه الصديق خولة بنت جعفر بن قيس التي أُسرت مع من أُسر في حرب اليمامة وولدت له أفضل أولاده بعد الحسنين محمد بن الحنفية.

«وهى من سبي أهل الردة وبها يعرف ابنها ونسب إليها محمد بن الحنفية» [«عمدة الطالب» الفصل الثالث ص٣٥٢، أيضًا «حق اليقين» ص٢١٣].

كما وردت روايات عديدة في قبوله هو وأولاده الهدايا المالية والخمس وأموال الفيء من الصديق رضي الله عنهم أجمعين، وكان علي هو القاسم والمتولي في عهده على الخمس والفيء [ولقد ورد في أبي داؤد عن علي رضي الله عنه أنه قال: اجتمعت أنا والعباس وفاطمة وزيد بن حارثة عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت يا رسول الله! إن رأيت أن توليني حقنًا من هذا الخمس في كتاب الله عز وجل فاقسمه حياتك كيلا ينازعني أحد بعدك فافعل، قال: ففعل ذلك قال: فقسمته حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ولانيه أبو بكر حتى إذا كان آخر سنة من سني عمر رضي الله عنه فإنه أتاه مال كثير، فعزل حقنا ثم أرسل إلي، فقلت: بنا عنه العام غنى وبالمسلمين إليه حاجة فأردده عليهم، فرده عليهم [أبو داؤد كتاب الخراج، فمسند أحمد مسندات علي]، وكانت هذه الأموال بيد علي، ثم

كانت بيد الحسن، ثم بيد الحسين، ثم الحسن بن الحسن، ثم زيد بن الحسن» [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحدد ج٤ ص١١٨].

هذا وكان يؤدي الصلوات الخمس في المسجد خلف الصديق، راضيًا بإمامته، ومظهرًا للناس اتفاقه ووئامه معه» [«الاحتجاج» للطبرسي ٥٣، أيضًا كتاب سليم بن قيس ص٢٥٣، أيضًا «مرآة العقول» للمجلسي ص٣٨٨ ط إيران].

وقال الطوسي في صلاة علي خلف أبى بكر: فذاك مسلم لأنه الظاهر» [«تلخيص الشافي» ص٣٥٤ ط إيران].

* * *

مساعدة الصديق في تزويج علي من فاطمة

وكان للصديق مَنّ على عليّ المرتضى رضي الله عنهما حيث توسط له في زواجه من فاطمة رضي الله عنها وساعده فيه، كما كان هو أحد الشهود على نكاحه بطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يرويه أحد أعاظم القوم ويسمى بشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: سمعت علي بن أبى طالب يقول: أتاني أبو بكر وعمر، فقالا: لو أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له فاطمة، قال: فأتيته، فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك، ثم قال: ما جاء بك يا علي وما حاجتك؟ قال: فذكرت له قرابتي وقدمي في الإسلام ونصرتي له وجهادي، فقال يا علي! صدقت، فأنت أفضل مما تذكر، فقلت: يا رسول الله! فاطمة تزوجنيها.

[«الأمالي» للطوسي ج١ ص٣٨].

وأما المجلسي الذي لا يستطيع أن يذكر أصحاب النبي وخاصة الصديق والفاروق إلا ويسبق ذكرهم بالسباب القبيحة والشتائم الفضيحة والألقاب الخبيثة الرديئة مثل «الملاعين» و«مسودي الوجوه» و«الشياطين» – عياذًا بالله – كما سيأتي بيانها في محلها، فالمجلسي اللعان هذا يذكر هذه الواقعة ويزيدها بيانًا ووضوحًا حيث يقول: في يوم من الأيام كان أبو بكر وعمر وسعد بن معاذ جلوسًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتذاكروا ما بينهم بزواج فاطمة [كم كان أصحاب رسول الله الصادق الأمين عليه السلام البررة يتفكرون في أمور النبيْ صلى الله عليه وسلم، ويهمهم ما كان يهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه لحبهم النبي، ووفائهم به، ما أجمل المطاع وما أحسن الاتباع] عليها السلام.

فقال أبو بكر: أشراف قريش طلبوا زواجها عن النبي ولكن الرسول قال لهم بأن الأمر في ذلك إلى الله – ونظن أنها لعلي بن أبي طالب – وأما علي بن أبي طالب فلم يتقدم بطلبها إلى رسول الله لأجل فقره وعدم ماله، ثم قال أبو بكر لعمر وسعد: هيا بنا إلى علي بن أبي طالب لنشجعه ونكلفه بأن يطلب ذلك من النبي، وإن مانعه الفقر

نساعده في ذلك [وكم كانوا رحماء بينهم، متوادين، متحابين، متعاطفين رغم أنوف القوم وزعمهم؟] فأجاب سعد ما أحسن ما فكرت به، فذهبوا إلى بيت أمير المؤمنين عليه السلام ...... فلما وصلوا إليه سألهم ما الذي أتى بكم في هذا الوقت؟ قال أبو بكر: يا أبا الحسن! ليس هناك خصلة خير إلا وأنت سابق بها ...... فما الذي يمنعك أن تطلب من الرسول ابنته فاطمة، فلما سمع عليّ هذا الكلام من أبي بكر نزلت الدموع من عينيه وسكبت، وقال: قشرت جروحي ونبشت وهيجت الأماني والأحلام التي كتمتها [وليس عند القوم حياء حتى يختلقون القصص كهذه قصصًا خرافية، وعبارت سافلة منحطة، وينسبونها إلى الشخصيات المباركة المقدسة؟ أهم منتهون؟] منذ أمد، فمن الذي لا يريد الزواج منها؟، ولكن يمنعني من ذلك فقري [وما فقره؟ فروى الشيعة المغالون عنه كالقمي والمجلسي ما نصه: لما أراد رسول الله أن يزوج فاطمة من عليّ أسرّ إليها، فقالت: يا رسول الله! أنت أولى بما ترى غير أن نساء قريش تحدثني عنه أنه رجل دحداد البطن، طويل الذراعين، ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين، لمنكبيه مشاشًا كمشاش البعير، ضاحك السن، لا مال له؟ - والرسول لم ينكر هذه الأوصاف فيه - بل قال - حسب رواية القوم -: يا فاطمة! أما علمت أن الله أشرف على الدنيا فاختارني على رجال العالمين، ثم اطلع فاختارك على نساء العالمين، يا فاطمة! إنه لما أسري بي إلى السماء وجدت مكتوبًا على صخرة بيت المقدس «لا إله إلا الله محمد رسول الله أيدته بوزيره، ونصرته بوزيره» فقلت: ومن وزيري؟ فقال: علي بن أبي طالب» («تفسير القمي» ج٢ ص٣٣٦، أيضًا «جلاء العيون» ج١ ص١٨٥)] واستحي منه بأن أقول له وأنا في هذا الحال الخ [«جلاء العيون» للملا مجلسي ج١ ص١٦٩ ط كتابفروشي إسلامية طهران، ترجمة من الفارسية].

ثم وأكثر من ذلك أن الصديق أبا بكر هو الذي حرض عليًا على زواج فاطمة رضي الله عنها، وهو الذي ساعده المساعدة الفعلية لذلك، وهو الذي هيأ له أسباب الزواج وأعدها بأمر من رسول الله إلى الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم كما يروي الطوسي أن عليًا باع درعه وأتى بثمنه إلى الرسول.

«ثم قبضه رسول الله من الدراهم بكلتا يديه، فأعطاها أبا بكر وقال: ابتع لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت، أردفه بعمار بن ياسر وبعدة من أصحابه، فحضروا السوق، فكانوا يعرضون الشيء مما يصلح فلا يشترونه حتى يعرضوه على أبي بكر، فإن استصلحه اشتروه... حتى إذا استكمل الشراء حمل أبو بكر بعض المتاع، وحمل أصحاب رسول الله (ص) الذين كانوا معه الباقي» [«الأمالي» ج١ ص٣٩، أيضًا «مناقب» لابن شهر آشوب المازندراني ج٢ ص٢٠ ط الهند، أيضًا «جلاء العيون» فارسي ج١ ص١٨٦].

هذا ولا هذا فحسب بل الصديق ورفاقه هم كانوا شهودًا على زواجه بنص الرسول صلى الله عليه وسلم وطلب منه كما يذكر الخوارزمي [هو أبو المؤيد الموفق بن أحمد الخوارزمي الشيعي «فقيه محدث خطيب شاعر، له كتاب في مناقب أهل البيت عليهم السلام، توفي سنة ٥٦٨، وخوارزم اسم لناحية إحدى قرى الزمخشر» (الكنى والألقاب ج٢ ص١١، ١٢)] الشيعي والمجلسي والأربلي أن الصديق والفاروق وسعد بن معاذ لما أرسلوا عليًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم انتظروه في المسجد ليسمعوا منه ما يثلج صدورهم من إجابة الرسول وقبوله ذلك الأمر، فكان كما كانوا يتوقعون، فيقول علي: فخرجت من عند رسول الله (ص) وأنا لا أعقل فرحًا وسرورًا، فاستقبلني أبو بكر وعمر، وقالا لي: ما ورائك؟ فقلت: زوجني رسول الله (ص) ابنته فاطمة ...... ففرح بذلك فرحًا شديدًا ورجعا معي إلى المسجد فلما توسطناه حتى لحق بنا رسول الله، وإن وجهه يتهلل سرورًا وفرحًا، فقال: يا بلال! فأجابه فقال: لبيك يا رسول الله! قال: اجمع إلى المهاجرين والأنصار فجمعهم ثم رقي درجة من المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وقال: معاشر الناس إن جبرئيل أتاني آنفا وأخبرني عن ربي عز وجل أنه جمع ملائكته عند البيت المعمور، وأنه أشهدهم جميعًا أنه زوج أمته فاطمة ابنة رسول الله من عبده علي بن أبى طالب، وأمرني أن أزوجه في الأرض وأشهدكم على ذلك» [«المناقب» للخوارزمي ص٢٥١، ٢٥٢، أيضًا «كشف الغمة ج١ ص٣٥٨، أيضًا «بحار الأنوار» للمجلسي ج١٠ ص٣٨، ٣٩، أيضًا جلاء العيون» ج١ ص١٨٤].

ويكشف النقاب عن الشهود الأربلي في كتابه «كشف الغمة» حيث يروي: «عن أنس

أنه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فغشيه الوحى، فلما أفاق قال لي: يا أنس! أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: أمرني أن أزوج فاطمة من علي، فانطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا وطلحة والزبير وبعددهم من الأنصار، قال: فانطلقت فدعوتهم له، فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن حمد الله وأثنى عليه ثم إني أشهدكم أني قد زوجت فاطمة من عليّ على أربعمائة مثقال فضة».

[«كشف الغمة» ج١ ص٣٤٨، ٣٤٩ ط تبريز، «بحار الأنوار» ج١ ص٤٧، ٤٨].

هذا ولما ولد لهما الحسن كان أبو بكر الصديق، الرفيق الجد الحسن في الغار والصديق لوالده علي، والمساعد القائم بأعباء زواجه كان يحمله على عاتقه، ويداعبه ويلاعبه ويقول: بأبي شبيه بالنبي غير شبيه بعلي» [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١١٧].

وبنفس القول تمسكت فاطمة بنت الرسول رضي الله عنها .

[انظر لذلك «تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١١٧].

وكانت العلاقات وطيدة إلى حد أن زوجة أبى بكر أسماء بنت عميس هي التي كانت تمرّض فاطمة بنت النبي عليه السلام ورضي الله عنها في مرض موتها، وكانت معها حتى الأنفاس الأخيرة وشاركها في غسلها وترحيلها إلى مثواها «وكان (علي) يمرضها بنفسه، وتعينه على ذلك أسماء بنت عميس رحمها الله على استمرار بذلك.

[«الأمالي» للطوسي ج١ ص١٠٧].

و«وصتها بوصايا في كفنها ودفنها وتشييع جنازتها فعملت أسماء بها».

[«جلاء العيون» ص٢٣٥، ٢٤٢].

و«هي التي كانت عندها حتى النفس الأخير، وهى التي نعت عليًا بوفاتها».

[«جلاء العيون» ص٢٣٧].

و«كانت شريكة في غسلها» [«كشف الغمة» ج١ ص٥٠٤].

وكان الصديق دائم الإتصال بعلي من ناحية لتسأله عن أحوال بنت النبي صلى الله عليه وسلم خلاف ما يزعمه القوم.

«فمرضت (أي: فاطمة رضي الله عنها) وكان علي عليه السلام يصلي في المسجد الصلوات الخمس، فلما صلى قال له أبو بكر وعمر: كيف بنت رسول الله؟».

[«كتاب سليم بن قيس» ص٣٥٣].

ومن ناحية أخرى من زوجه أسماء حيث كانت هي المشرفة والممرضة الحقيقة لها.

و«لما قبضت فاطمة من يومها فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء، ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله، فأقبل أبو بكر وعمر يعزيان عليًا ويقولان: يا أبا الحسن! لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله» [«كتاب سليم بن قيس» ص٢٥٥].

* * *

المصاهرات بين الصديق وآل البيت

وكانت العلاقات وثيقة أكيدة بين بيت النبوة وبيت الصديق لا يتصور معها التباعد والاختلاف مهما نسج المسامرون الأساطير والأباطيل، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة العنكبوت الآية٤١].

فالصديقة عائشة بنت الصديق أبى بكر كانت زوجة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أحب الناس إليها مهما احترق الحساد ونقم المخالفون، فإنها حقيقة ثابتة، وهى طاهرة مطهرة - بشهادة القرآن مهما جحدها المبطلون وأنكرها المنكرون.

ثم أسماء بنت عميس التي جاء ذكرها آنفا كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب شقيق علي، فمات عنها وتزوجها الصديق وولدت له ولدًا سماه محمدًا الذي ولاه علي على مصر، ولما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبى طالب فولدت له ولدًا سماه يحيى. [انظر «مجالس المؤمنين» لشوشتري المجلس الرابع، «حق اليقين» للمجلسي، أيضًا «الإرشاد» وأربعين ومائة وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده والحسن بن علي عليهم السلام وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي للمفيد ص ١٨٦، و«جلاء العيون» للمجلسي].

وحفيدة الصديق كانت متزوجة من محمد الباقر - الإمام الخامس عند القوم وحفيد علي رضي الله عنه - كما يذكر الكليني في أصوله تحت عنوان مولد الجعفر: «ولد أبو عبد الله عليه السلام سنة ثلاث وثمانين ومضى في شوال من سنة ثمان وأربعين ومائة وله خمس وستون سنة، ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده والحسن بن علي عليهم السلام وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر» [«كتاب الحجة من الأصول في الكافي ج١ ص٤٧٢، ومثله في «الفرق» للنوبختي].

ويقول ابن عنبة [هو جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين الحسني صاحب كتاب «عمدة الطالب» قال عنه القمي: سيد جليل علامة نسابة، كان من علماء الإمامية، تتلمذ علي السيد أبي معية اثنتى عشر سنة فقهًا وحديثًا ونسبًا، توفى بكرمان سنة ٨٢٨» (الكنى والألقاب ج١ ص٣٥٠ و«أعيان الشيعة» ص٣٥ القسم الأول الجزء الثاني

ص١٣٥ تحت عنوان «النسابون من الشيعة»]: أمه (أي جعفر) أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان الصادق عليه السلام يقول: ولدني أبو بكر مرتين. [«عمدة الطالب» ص ١٩٥ ط. طهران ١٩٦١].

كما أن القاسم بن محمد بن أبي بكر حفيد أبي بكر، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حفيد علي كانا ابني خالة كما يذكر المفيد وهو يذكر علي بن الحسين بقوله: والإمام بعد الحسن بن علي عليه السلام ابنه أبو محمد علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام، وكان يكنى أيضا أبا الحسن. وأمه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى ويقال: إن اسمها كان شهر بانويه وكان أمير المؤمنين عليه السلام ولي حريث بن جابر الحنفي جانبًا من المشرق، فبعث إليه بنتي يزدجردبن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان منهما فأولدها زين العابدين عليه السلام ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم بن محمد بن أبى بكر فهما ابنا خالة [«الإرشاد» للمفيد ص٢٥٣ ومثله في «كشف الغمة» و«منتهى الآمال» للشيخ عباس القمي ج٢ ص٣].

وأما المجلسي فذكر ذلك في «جلاء العيون» ولكنه صحح الروايات التي جاء بها المفيد وابن بابويه بأن شهربانو لم تكن سبيت في عهد علي كما ذكره المفيد ولا في عهد عثمان كما ذكره ابن بابويه القمي، بل كانت من سبايا عمر كما رواه القطب الراوندي [هو سعيد بن هبة الله بن الحسن، من مواليد القرن السادس من الهجرة، ومات سنة ٥٧٣ بقم، وقبر هناك «العالم المتبحر، الفقيه، المحدث، المفسر، المحقق، الثقة الجليل، صاحب «الخرائج والجرائح» و«قصص الأنبياء» و«شرح النهج»، كان من أعاظم محدثي الشيعة» [الكنى والألقاب ج٣ ص٥٨]، ثم يقر بعد ذلك بأن قاسم بن محمد بن أبي بكر وزين العابدين بن الحسين بن علي هما ابنا خالة.

[«جلاء العيون» الفارسي ص٦٧٣، ٦٧٤].

وذكر أهل الأنساب والتاريخ قرابة أخرى وهى تزويج حفصة بنت عبد الرحمن بن الصديق من الحسين بن علي بن أبى طالب رضي الله عنه بعد عبد الله بن الزبير أو قبله.

ثم وإن محمد بن أبي بكر من أسماء بنت عميس كان ربيب عليّ وحبيبه، وولاه إمرة

مصر في عصره.

«وكان علي عليه السلام يقول: محمد ابني من ظهر أبي بكر».

[«الدرة النجفية» للدنبلي الشيعي شرح نهج البلاغة ص١١٣ ط إيران].

وكان من حب أهل البيت للصديق والتوادد ما بينهم أنهم سموا أبنائهم بأسماء أبي بكر رضي الله عنه، فأولهم علي بن أبي طالب حيث سمى أحد أبناءه بأبي بكر كما يذكر المفيد تحت عنوان «ذكر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام وعددهم وأسماءهم ومختصر من أخبارهم.

«١٢ - محمد الأصغر المكنى بأبي بكر ١٣ - عبيد الله، الشهيدان مع أخيهما الحسين عليه السلام بألطف أمهما ليلى بنت مسعود الدارمية [«الإرشاد» ص١٨٦].

وقال اليعقوبي: وكان له من الولد الذكور أربعة عشر ذكر الحسن والحسين ...... وعبيد الله وأبو بكر لا عقب لهما أمهما يعلى بنت مسعود الحنظلية من بني تيم.

[«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص٢١٣].

وذكر الأصفهاني في «مقاتل الطالبيين» تحت عنوان «ذكر خبر الحسين بن علي بن أبي طالب ومقتله ومن قتل معه من أهله» وكان منهم «أبو بكر بن علي بن أبي طالب وأمه يعلى بنت مسعود ..... ذكر أبو جعفر أن رجلاً من همدان قتله، وذكر المدائني أنه وجد في ساقيه مقتولاً، لا يدري من قتله». [«مقاتل الطالبين» لأبي الفرج الأصفهاني الشيعي ط دار المعرفة بيروت ص١٤٢، ومثله في «كشف الغمة» ج٢ ص٦٤، «جلاء العيون» للمجلسي ص٥٨٢].

وهل هذا إلا دليل حب ومؤاخاة وإعظام وتقدير من عليّ للصديق رضي الله عنهما.

والجدير بالذكر أنه ولد له هذا الولد بعد تولية الصديق الخلافة والإمامة، بل وبعد وفاته كما هو معروف بداهة.

وهل يوجد في الشيعة اليوم المتزعمين حب علي وأولاده رجل يسمى بهذا الاسم، وهل هم موالون له أم مخالفون؟

ونريد أن نلفت الأنظار أن عليًا لم يسم بهذا الاسم ابنه إلا متيمنًا بالصديق وإظهارًا له الولاء والوفاء وحتى بعد وفاته وإلا لا يوجد في بنى هاشم رجل قبل علي يسمي ابنه

بهذا الاسم حسب علمنا ومطالعتنا كتب القوم فبمن سمى ابنه آنذاك؟

ثم ولم يقتصر عليّ بهذا التيمن والتبرك وإظهار المحبة والصداقة للصديق، بل بعده بنوه أيضًا مشوا مشيه ونهجوا منهجه.

فهذا هو أكبر أنجاله وابن فاطمة وسبط الرسول الحسن بن علي - الإمام المعصوم الثاني عند القوم - أيضا يسمي أحد أبنائه بهذا الاسم كما ذكره اليعقوبي.

«وكان للحسن من الولد ثمانية ذكور وهم الحسن بن الحسن وأمه خولة ...... وأبو بكر وعبد الرحمن لأمهات أولاد شتى وطلحة وعبيد الله».

[«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص٢٢٨، منتهى الآمال ج١ ص٢٤٠].

ويذكر الأصفهاني «إن أبا بكر بن الحسن بن علي بن أبي طالب أيضًا كان ممن قتل في كربلاء مع الحسين قتله عقبة الغنوي» [«مقاتل الطالبين» ص٨٧].

والحسين بن علي أيضًا سمى أحد أبنائه باسم الصديق كما يذكر المؤرخ الشيعي المشهور بالمسعودي في «التنبيه والإشراف» عند ذكر المقتولين مع الحسين في كربلاء.

«وممن قتلوا في كربلاء من ولد الحسين ثلاثة، علي الأكبر وعبد الله الصبي وأبو بكر بنوا الحسين بن علي» [«التنبيه والإشراف» ص٢٦٣].

وقيل: «إن زين العابدين بن الحسن كان يكنى بأبي بكر أيضًا».

[«كشف الغمة» ج٢ ص٧٤].

وأيضًا حسن بن الحسن بن علي، أي حفيد علي بن أبي طالب سمى أحد أبنائه أبا بكر كما رواه الأصفهاني عن محمد بن علي حمزة العلوي أن ممن قتل مع إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب كان أبو بكر بن الحسن بن الحسن.

[«مقاتل الطالبيين» ص ١٨٨ ط دار المعرفة بيروت].

والإمام السابع عند الشيعة موسى بن جعفر الملقب بالكاظم أيضًا سمى أحد أبنائه بأبي بكر. [«كشف الغمة» ج ٢ ص ٢١٧].

وأما الأصفهاني فيقول: إن ابنه علي - الإمام الثامن عندهم - هو أيضًا كان يكنى بأبي بكر، ويروى عن عيسى بن مهران عن أبي الصلت الهروي أنه قال: سألني المأمون

يومًا عن مسألة، فقلت: قال فيها أبو بكرنا، قال عيسى بن مهران: قلت لأبي الصلت: من أبو بكركم؟ فقال: علي بن موسى الرضا كان يكنى بها وأمه أم ولد.

[«مقاتل الطالبين» ص٥٦١، ٥٦٢].

والجدير بالذكر أن موسى الكاظم هذا سمى أحد بناته أيضًا باسم بنت الصديق، الصديقة عائشة كما ذكر المفيد تحت عنوان «ذكر عدد أولاد موسى بن جعفر وطرف من أخبارهم».

وكان لأبي الحسن موسى عليه السلام سبعة وثلاثون ولدًا ذكرًا وأنثى منهم علي ابن موسى الرضا عليهما السلام ...... وفاطمة ...... وعائشة وأم سلمة [«الإرشاد» ص٣٠٢، ٣٠٣، «الفصول المهمة» ٢٤٢، «كشف الغمة» ج٢ ص٢٣٧].

كما سمى جده علي بن الحسين إحدى بناته، عائشة» [«كشف الغمة» ج٢ ص٩٠].

وأيضًا - الإمام العاشر المعصوم حسب زعمهم - علي بن محمد الهادي أبو الحسن سمى أحد بناته بعائشة، يقول المفيد: وتوفي أبو الحسن عليه السلام في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن في داره بسرّ من رأى، وخلف من الولد أبا محمد الحسن ابنه .... وابنته عائشة» [«كشف الغمة» ص٣٣٤، و«الفصول المهمة» ص٢٨٣].

وقبل أن ننهي نودّ أن نذكر بأن هناك في الهاشمية كثير من تسموا أنفسهم، أو سموا أبنائهم بأبي بكر نذكر منهم ابن الأخ لعلي بن أبي طالب وهو عبد الله بن جعفر الطيار بن أبي طالب فإنه سمى أحد أبنائه أيضًا باسم أبي بكر كما ذكره الأصفهاني في مقالته:

قتل أبو بكر بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يوم الحرة في الوقعة بين مسرف بن عقبة وبين أهل المدينة. [مقاتل الطالبيين ص ١٢٣].

وهذا من إحدى علائم الحب والود بين القوم خلاف ما يزعمه الشيعة اليوم من العداوة والبغضاء، والقتال الشديد والجدال الدائم بينهم.

* * *

قضية فدك

وقبل أن ننتقل إلى الفاروق وعلاقته مع أهل البيت لا بد لنا أن نقف برهة غير يسيرة على سؤال يطرح حول اختلاف هؤلاء الأشراف الكرام البررة، ألا وهو إن كان حبهم ووددادهم هكذا كما ذكر فماذا كانت قضية فدك؟ التي طالما نفخ إليها المنفخون المنافقون أعداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وكبروها، وفخموها لمقاصدهم الخبيثة، ومطامعهم السيئة، وأرادوا منها إثبات التفرقة والخلاف الشديد بين أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وخاصة بين بيت النبوة وبين المسلمين عامة، فإن أهل البيت كانوا في جانب وكان السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وبقية الأمة في جانب آخر.

حاشا وكلا أن يكون كذلك، والمسألة لم تكن كبيرة وذات أهمية وأبعاد مثلما جعلوها فقط للطعن واللعن، والقضية كلها كانت بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توفي وبويع أبو بكر بخلافة رسول الله وإمارة المؤمنين أرسلت إليه بنت رسول الله فاطمة تسأله ميراثها من رسول الله عليه الصلاة والسلام مما أفاء الله على نبيه من فدك [«فدك» قرية بخيبر، وقيل: بناحية الحجاز، فيها عين ونخل، أفاء الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (لسان العرب، ج١٠ ص٤٧٣)] فأجابها أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورث، ما تركنا فهو صدقة، إنما يأكل آل محمد من هذا المال يعني مال الله ..... وإني والله لا أغيّر شيئًا من صدقات النبي صلى الله عليه وسلم التي كانت عليها في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولأعملن فيها بما عمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي.

ولما ذكر هذا الصديق لفاطمة رضي الله عنها تراجعت عن ذلك ولم تتكلم فيها بعد حتى ماتت، بل وفى بعض الروايات الشيعية أنها رضيت على ذلك كما يرويه ابن الميثم [هو كمال الدين مثيم بن على ميثم البحراني من مواليد القرن السابع من الهجرة «العالم الرباني، والفيلسوف، الحبر المحقق، والحكيم المتأله المدقق، جامع المعقول والمنقول،

أستاذ الفضلاء الفحول، صاحب الشروح على نهج البلاغة، يروي عن المحقق الطوسي.. قيل: إن الخواجه نصير الدين الطوسي تلمذ على كمال الدين ميثم في الفقه، وتلمذ على الخواجه في الحكمة، توفي سنة ٦٧٩، وقبر في هلتا من قرى ماحوذ» [الكنى والألقاب ج١ ص٤١٩]، وهو الذي قال:

طلبت فنون العلم أبغي بها العلى ... فقصر بي عما سموت به القل
تبين لي أن المحاسن كلها ... فرع وأن المال فيها هو الأصل

«وله من المصنفات البديعة ما لم يسمع بها الزمان، ولم يظفر بها أحد من الأعيان» [روضات الجنات ج٧ ص٢١٨ وما بعد] الشيعي في شرح نهج البلاغة.

«إن أبا بكر قال لها: إن لك ما لأبيك، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من فدك قوتكم، ويقسم الباقي ويحمل منه في سبيل الله، ولك على الله أن أصنع بها كما كان يصنع، فرضيت بذلك وأخذت العهد عليه به».

[«شرح نهج البلاغة» لابن ميثم البحراني ج٥ ص١٠٧ ط طهران].

ومثل ذلك ذكر الدنبلي في شرحه «الدرة النجفية» [ص٣٣١، ٣٣٢ ط إيران].

ولكن الشيعة لم يعجبهم بأن ترضى فاطمة بهذا القضاء بتلك السهولة، فسودوا صفحات وأوراقًا كثيرة، وكتبوا بخصوص ذلك كتبًا عديدة ملئها الطعن والشتائم على أصحاب الرسول وتكفيرهم وتفسيقهم واتهامهم بالردة والخروج من الإسلام والظلم والجور على أهل البيت حيث أن أهل المعاملة والقضية لم يتكلموا، لا بقليل ولا بكثير كما نحن ذكرناه من الشيعة أنفسهم، بل وأكثر من ذلك نقل أئمة القوم أنفسهم بأن أبا بكر لم يكتف على الكلام فقط بل أعقبه بالعمل كما يروي ابن الميثم والدنبلي وابن أبي الحديد والشيعي المعاصر فيض الإسلام علي نقي.

«إن أبا بكر كان يأخذ غلتها (أي فدك) فيدفع إليهم (أهل البيت) منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، فكان عمر كذلك، ثم كان عثمان كذلك، ثم كان علي كذلك» [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٤، أيضًا «شرح نهج البلاغة» لابن ميثم البحراني ج٥ ص١٠٧، «الدرة النجفية» ص٣٣٢، «شرح النهج» فارسي لعلي تقي ج٥ ص٩٦٠ ط طهران].

ولكن القوم كيف يرضيهم هذا؟ فقال كبيرهم المجلسي [وقل من يوجد مثل المجلسي جريئًا في السباب والشتائم وهو لا يذكر صاحبًا من أصحاب النبي إلا ويلعنه ويفسقه ويكفره، وقد كتب في بحث فدك أن أبا بكر لما طلب الشهود من فاطمة على أن فدك لها قال له علي: أتطلب الشهود؟ هل الشهود كل شيء؟ قال: نعم، فقال له علي: إن شهد الشهود بأن فاطمة زنت ماذا تعمل؟ قال: أقيم عليها الحد كما أقيم على سائر الناس (عياذًا بالله) (حق اليقين للمجلسي ص١٩٣) فانظر جرأته وتسرعه كيف يتكلم، ولا يستحي؟]: إن من المصيبة العظمى والداهية الكبرى غصب أبى بكر وعمر فدك من أهل بيت الرسالة .... وإن القضية الهائلة أن أبا بكر لما غصب الخلافة عن أمير المؤمنين، وأخذ البيعة جبرًا من المهاجرين والأنصار(؟) وأحكم أمره طمع في فدك خوفًا منه بأنها لو وقعت في أيديهم يميل الناس إليهم بالمال، ويتركون هؤلاء الظالمين (يعني أبا بكر ورفاقه) فأراد إفلاسهم حتى لا يبقى لهم شيء، ولا يطمع الناس فيهم وتبطل خلافتهم الباطلة، ولأجل ذلك وضعوا تلك الرواية الخبيثة المفتراة: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة.

[«حق اليقين» فارسي للملا مجلسي ص١٩١ تحت «مطاعن أبي بكر»].

وقد سلك مسلكه كثيرون وكم هم؟ كي ينبشوا الضغائن التي لم يكن لها وجود في العالم، ولكن بلهاء القوم لم يعرفوا أن البيت الذي نسجوه كان بيت العنكبوت ولا يبقى أمام عاصفة الحق.

فالرواية التي ردوها هذا حسدًا ونقمة على الصديق لم يعلموا أن إمامهم الخامس المعصوم رواها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفى كتابهم أنفسهم، نعم! في كتابهم «الكافي» الذي يعدونه من أصح الكتب ويقولون فيه: إنه كاف للشيعة، يروي الكليني في هذا الكافي عن حماد بن عيسى عن القداح عن أبي عبيد الله عليه السلام قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة ..... وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم ليلة البدر، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذ منه أخذ

بحظ وافر» [«الأصول من الكافي» كتاب فضل العلم، باب ثواب العالم والمتعلم ج١ ص٣٤].

ورواية أخرى أن جعفر أبا عبد الله قال: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم».

[«الأصول من الكافي» باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء ج١ ص٣٢].

فماذا يقول المجلسي ومن شاكله في هذا؟ وفي الفارسية بيت من الشعر إن كانت هذه جريمة ففي مدينتكم ترتكب أيضًا.

وهناك روايتان غير هذه الرواية رواهما صدوق القوم تؤيد هذه الروايات وتؤكدها وهي:

«عن إبراهيم بن علي الرافعي، عن أبيه، عن جدته بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنيها الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شكواه الذي توفي فيه، فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئًا قال: أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي وأما الحسين فإن له جرأتي وجودي» [«كتاب الخصال» للقمي ص٧٧].

والرواية الثانية: «قالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله! هذان ابناك فانحلهما، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما الحسن فنحلته هيبتي وسؤددي وأما الحسين فنحلته سخائي وشجاعتي» [«كتاب الخصال» للقمي ص٧٧].

ثم وأراد المجلسي وغيره، وهم كثيرون من القوم أن يثبتوا أن أبا بكر ورفاقه لم يعملوا هذا إلا لأن يفلسوا عليًا وأهل البيت كيلا يجلب الناس إليهم بالمال والمنال، فيا عجبًا على القوم وعقولهم هل هم يظنون عليًا وأهل بيته أمثال طلاب الحكم والرئاسة في هذه العصور المتأخرة بأنهم يطلبونها بالمال والرشى، وإن كانت القضية هكذا فالمال كان متوفرًا عندهم لأن الكليني يذكر ويروي عن أبي الحسن - الإمام العاشر عند القوم - أن الحيطان السبعة كانت وقفت على فاطمة عليها السلام وهي (١) الدلال (٢) والعوف (٣) والحسنى (٤) والصافية (٥) وما لام إبراهيم (٦) والمثيب (٧) والبرقة» [كتاب الوصايا «الفروع من الكافي» ج٧ ص٤٧، ٤٨].

فهل من يملك العقارات السبعة ينقصه من المال شيء؟

ثم وهل يظنون النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يجعل أموال الدولة أمواله وملكه؟ وهذا ما لا يرضاه العقل، وحتى هذا العصر، عصر السلب والنهب، وعصر اللامبالاة وعدم التمسك بالدين، ففي مثل هذا العصر إن الملوك والحكام لو استولوا على بقعة من بقاع الأرض، أو فتحوها لا يجعلونها ملكًا لهم دون غيرهم، بل يجعلونها ملكًا للدولة يتصرفون فيها في مصالح الرعية وشئون العامة والخاصة، فهل كان الرسول فداه أبواي وروحي صلى الله عليه وسلم في نظر القوم ممن يؤثرون أنفسهم على الناس؟

سبحان الله ما هذا إلا إفك مفترى، والرسول العظيم الرؤوف الرحيم بريء ورفيع من هذا.

وهناك شيء آخر وهو إن كانت أرض فدك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تكن السيدة فاطمة رضي الله عنها وريثة وحيدة لها، بل كانت ابنتا الصديق والفاروق وارثتين أيضًا فحرم الصديق والفاروق ابنتيهما كما حرما فاطمة، ثم وعباس عم النبي كان حيًا وهو من ورثته بلا شك.

وثالثًا: إن المعترضين من الشيعة لا يعرفون بأن في مذهبهم لا ترث المرأة من العقار والأرض شيئًا، فلقد بوّب محدثوهم أبوابًا مستقلة في هذا الخصوص، فانظر إلى الكليني، فإنه بوّب بابًا مستقلاً بعنوان «إن النساء لا يرثن من العقار شيئًا» ثم روى تحته روايات عديدة.

«عن أبي جعفر - الإمام الرابع المعصوم عند القوم - قال: النساء لا يرثن من الأرض ولا من العقار شيئًا» [«الفروع من الكافي» كتاب المواريث ج٧ ص١٣٧].

وروى الصدوق ابن بابويه القمي في صحيحه «من لا يحضره الفقيه» عن أبي عبدالله جعفر - الإمام الخامس عندهم - أن ميسرًا قال: سألته (أي جعفر) عن النساء ما لهن من الميراث؟ فقال: فأما الأرض والعقارات فلا ميراث لهن فيه».

[«الفروع من الكافي» كتاب الفرائض والميراث ج٤ ص٣٤٧].

ومثل هذه فإنها لكثيرة، وقد ذكروا على عدم الميراث في العقارات والأراضي اتفاق علمائهم [انظر لذلك كتب القوم في الفقه]. فما دامت المرأة لا ترث العقار والأرض فكيف كان لفاطمة أن تسأله فدك - حسب قولهم - وهي عقار لا ريب فيها، لا يختلف فيها اثنان، ولا يتناطح فيها كبشان.

وأما إغضاب الصديق فاطمة والقول بأنها رجعت ولم تتكلمه حتى ماتت.

نعم! إنها رجعت عن القول بوراثة فدك، ولم تتكلمه في هذا الموضوع حتى آخر حياتها.

وأما غصب حقوقها فها هو المجلسي وهو على تعنّفه وتعنّته يضطر إلى أن يقول:

إن أبا بكر لما رأى غضب فاطمة قال لها: أنا لا أنكر فضلك وقرابتك من رسول الله عليه السلام، ولم أمنعك من فدك إلا امتثالاً بأمر رسول الله، وأشهد الله على أني سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، وما تركنا إلا الكتاب والحكمة والعلم، وقد فعلت هذا باتفاق المسلمين ولست بمتفرد في هذا، وأما المال فإن تريدينها فخذي من مالي ما شئت لأنك سيدة أبيك وشجرة طيبة لأبنائك، ولا يستطيع أحد أن ينكر فضلك [«حق اليقين» ص٢٠١، ٢٠٢ - ترجمة من الفارسية].

فهل بعد هذا يمكن لأحد أن يقول: إن أبا بكر أغضبها، وغصب حقها، وأراد إيذائها، وأقلقها، وأفلسها لأغراضه وأهدافه؟

اللهم إلا من عمي قلبه، وتحجر عقله، وأفلس ذهنه، واختلت حواسه!

فالعمارة التي أرادوا بنائها على هذا الأساس الواهي لإقامة المآتم ومجالس اللعن والطعن على غصب حقوق أهل البيت، وإثبات المنافرة والعداوة بين خلفاء النبي وأصحابه وبين أهل بيته كانت مهدمة يوم أرادوا بنائها، والقصة التي أرادوا أن ينسجوها من الوهم والخيال راحت على أدراج الرياح وكانت هباء منثورًا، وقبل ذلك أقام القيامة على السبئيين سيد أهل البيت وزوج فاطمة، عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم تولى الأمر كما ذكره السيد مرتضى الملقب بعلم الهدى إمام الشيعة:

«إن الأمر لما وصل إلى علي بن أبي طالب كلّم في رد فدك، فقال: إني لأستحيي من

الله أن أرد شيئًا منع منه أبو بكر وأمضاه عمر».

[«الشافي» للمرتضى ص٢٣١، أيضًا «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٤].

ولأجل ذلك لما سُئل أبو جعفر محمد الباقر عن ذلك وقد سأله كثير النوال: «جعلني الله فداك أرأيت أبا بكر وعمر هل ظلماكم من حقكم شيئًا أو قال: ذهبا من حقكم بشيء؟ فقال: لا والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ما ظلمانا من حقنا مثقال حبة من خردل، قلت: جعلت فداك أفأتولاهما؟

قال: نعم ويحك تولهما في الدنيا والآخرة، وما أصابك ففي عنقي».

[«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٤ ص٨٢].

وأخو الباقر زيد بن علي بن الحسين قال أيضًا في فدك مثل ما قاله جده الأول علي ابن أبي طالب وأخوه محمد الباقر لما سأله البحتري بن حسان وهو يقول: قلت لزيد بن علي عليه السلام وأنا أريد أن أهجن أمر أبي بكر: إن أبا بكر انتزع فدك من فاطمة عليها السلام، فقال: إن أبا بكر كان رجلاً رحيمًا، وكان يكره أن يغير شيئًا فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتته فاطمة فقالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاني فدك، فقال لها: هل لك على هذا بينة، فجاءت بعلي عليه السلام فشهد لها، ثم جاءت أم أيمن فقالت: ألستما تشهدان أني من أهل الجنة قالا: بلى، قال أبو زيد: يعني أنها قالت لأبي بكر وعمر: قالت: فأنا أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها فدك فقال أبو بكر: فرجل آخر أو امرأة أخرى لتستحقي بها القضية، ثم قال زيد: أيم الله! لو رجع الأمر إليّ لقضيت فيه بقضاء أبي بكر» [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٤ ص٨٢].

فهل بعد هذا يحتاج الأمر إلى الإيضاح أكثر من ذلك؟

وقبل أن نأتي إلى آخر الكلام نريد أن نثبت ها هنا روايتين رواهما الكليني في هذا الخصوص، فأما الأولى فهي التي رواها عن أبي عبد الله جعفر أنه قال: «الأنفال ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، أو قوم صالحوا، أو قوم أعطوا بأيديهم، وكل أرض خربة وبطون الأودية فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو للإمام من بعده يضعه حيث يشاء» [«الأصول من الكافي» كتاب الحجة، باب الفيء والأنفال ج١ ص٥٣٩].

وهذه صريحة في معناها بأن الإمام بعد النبي أحق الناس بالتصرف فيها.

والرواية الثانية التي نذكرها هي طريفة ومروية أيضًا في «الأصول من الكافي»: «أن أبا الحسن موسى – الإمام السابع للقوم – ورد على المهدي، ورآه يردّ المظالم فقال: يا أمير المؤمنين! ما بال مظلمتنا لا ترد؟

فقال له: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: فدك، فقال له المهدي: يا أبا الحسن! حدّها لي، فقال: حد منها جبل أحد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحد منها دومة الجندل» [«الأصول من الكافي» باب الفيء والأنفال ج١ ص٥٤٣].

يعني نصف العالم كله، انظر إلى القوم وأكاذيبهم، فأين قرية من خيبر من نصف الدنيا؟ فيا عجبًا للقوم ومبالغتهم، كيف يعظمون الحقير، وكيف يكبرون الصغير؟ وفي هذه دليل لمبالغات القوم وترهاتهم.

وعلى ذلك نتم هذا البحث في فدك وفضائل أمير المؤمنين وخليفة رسول الله الصادق الأمين وأفضليته وأحقيته بالخلافة والإمامة بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وحبه لأهل بيت النبي في ضوء أقوال أهل البيت وأفعالهم، ومن كتب القوم أنفسهم، وثم ننتقل إلى الرجل الثاني الخليفة الراشد الفاروق، الفارق بين الحق والباطل، رضي الله عنه وأرضاه.

* * *

موقف أهل البيت من الفاروق

وأما عمر بن الخطاب، فارس الإسلام وأمير المؤمنين، عبقري الملة، وقطب رحى المسلمين، وباني مجدهم، ومؤسس شوكتهم، وفاتح القيصرية، وهازم الكسروية، ورافع راية الله، ومعلي كلمته، موصل الدين من قلب الجزيرة إلى أقصى العالم، وناشر العدل، ومنفذ الشريعة الغراء على كل قريب وبعيد، ومساو بين كل جبار عنيد ومحتقر حقير، غير خائف في الحق لومة لائم، ولا آبه من عذل عاذل، ماحي الشرك والبدعة والكفر والضلال، حامي الحق والشريعة، الفارق بين الحق والباطل، العادل بين الرعية خاصتهم وعامتهم أميرهم ومأمورهم، المعز لدين الله والحق، والمذل للطاغوت والكفر والأوثان، الأمين الراشد، المرشد المصلح رضي الله تعالى عنه كان محبوبًا إلى أهل بيت النبي كما كان حبيبًا إلى سيد ولد آدم محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال فيه صلوات الله وسلامه عليه وهو يمشي على الأرض رضي الله عنه: «**دخلت الجنة ..... ورأيت قصرًا بفنائه جارية، فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب**» [متفق عليه].

وقال عليه السلام، والذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى: «**بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو، فنزعت منها ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قحافة (الصديق)، فنزع منها ذنوبًا** [الذنوب: الدلو وفيها ماء] **أو ذنوبين وفي نزعه ضعف، والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غربًا** [دلو عظيمة] **فأخذها عمر بن الخطاب فلم أر عبقريًا ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن** - أي حتى أرووا إبلهم فأبركوها، وضربوا لها عطنًا، وهو مبرك الإبل حول الماء [من تعليقات الشيخ الألباني على مشكاة المصابيح)] - وفي رواية - **حتى روى الناس وضربوا بعطن**» [متفق عليه].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» [رواه الترمذي].

فهذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم، ولقد ذكرنا منه أحاديث ثلاثة من إمام الكونين ورسول الثقلين فداه أبواي وروحي صلى الله عليه وسلم من كتب السنة المعتبرة خلاف عهدنا ودأبنا في هذا الكتاب بأننا لا ننقل شيئًا إلا

من كتب القوم أنفسهم لأننا سوف نروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - سيد أهل البيت، والإمام المعصوم الأول عند القوم - أنه يؤيد هذه الأحاديث الثلاثة بأقواله الواضحة، وتصريحاته المكشوفة، والمروية المذكورة المورودة في بطون كتب القوم وأوراقها وصفحاتها.

فلنرى ماذا يقول أهل البيت وسادتهم في هذا المصلح المحسن للأمة الإسلامية البيضاء.

فيقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يذكر الفاروق وولايته مصدقًا لرؤيا سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم الذي رآه وبشر به عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

«ووليهم وال، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه» [«نهج البلاغة» بتحقيق صبحي الصالح تحت عنوان «غريب كلامه المحتاج إلى التفسير» ص٥٠٧ ط دار الكتاب بيروت، أيضًا «نهج البلاغة بتحقيق الشيخ محمد عبده ج٤ ص١٠٧ ط دار المعرفة بيروت].

وقال الميثم البحراني الشيعي، شارح نهج البلاغة، وكذلك الدنبلي شرحًا لهذا الكلام «أن الوالي عمر بن الخطاب، وضربه بجرانه كناية بالوصف المستعار عن استقراره وتمكنه كتمكن البعير البارك من الأرض» [«شرح نهج البلاغة» لابن الميثم ج٥ ص٤٦٣، أيضًا «الدرة النجفية» ص٣٩٤].

ويقول ابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي تحت هذه الخطبة، ويذكرها من أولها «وهذا الوالي هو عمر بن الخطاب، وهذا الكلام من خطبة خطبها في أيام خلافته طويلة يذكر فيها قربه من النبي صلى الله عليه وسلم واختصاصه له، وإفضائه بأسراره إليه حتى قال فيها: فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم فقارب وسدد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه، ثم وليهم بعده وال، فأقام واستقام حتى ضرب الدين بجرانه.

[«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٤ ص٥١٩].

فانظر إلى عليّ وكيف يطبق هذه الأوصاف على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما تصديقًا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حرفًا بحرف، ويجعل الفاروق مصداقًا لبشارته عليه السلام، وكيف يقر ويعترف بأن الدين قد استقر في عهده المبارك، والإسلام قد

تمكن في الأرض في أيام خلافته الميمونة، فهل لمتمسك أن يتمسك من الشيعة بقول علي ابن أبي طالب - الإمام المعصوم عندهم الذي لا يخطئ؟

ثم والخطبة التي مدح فيها عمر، وجعله مورد ومصداق بشرى الرسول هي خطبة ألقاها في أيام خلافته حيث لم يكن هناك ضرورة للتقية الشيعية التي ألصقوها تهمة بخيار الخلائق رضوان الله ورحمته عليهم.

وكم هناك من خطب لعليّ، المنقولة في نهج البلاغة، التي تدل على نفس المعنى بأن الفاروق كان سببًا لعز الدين، ورفعة الإسلام، وعظمة المسلمين، وتوسعة البلاد الإسلامية، وأنه أقام الناس على المحجة البيضاء، واستأصل الفتنة، وقوم العوج وأزهق الباطل، وأحيا السنة طائعًا لله خائفًا منه، فانظر إلى ابن عم رسول الله ووالد سبطيه وهو يبالغ في مدح الفاروق، ويقول:

لله بلاد فلان، فقد قوم الأود، وداوى العمد وخلف الفتنة، وأقام السنة، ذهب نقي الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها وسبق شرها، أدى إلى الله طاعته، واتقاه بحقه، رحل وتركهم في طرق متشعبة لا يهتدي بها الضال، ولا المستيقن المهتدي.

[«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص٣٥٠، «نهج البلاغة» تحقيق محمد عبده ج٢ ص٣٢٢].

ويقول ابن أبي الحديد: العرب تقول: لله بلاد فلان أي در فلان ..... وفلان المكنى عنه عمر بن الخطاب، وقد وجدت النسخة التي بخط الرضى أبي الحسن جامع نهج البلاغة وتحت فلان عمر ..... وسألت عنه النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد العلوي فقال لي: هو عمر، فقلت له: أثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم.

[«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٣ ص٩٢ جزء١٢].

ومثله ذكر ابن الميثم [انظر لذلك «شرح نهج لابن الميثم» ج٤ ص٩٦، ٩٧، والدنبلي وعلي نقي في «الدرة النجفية» ص٢٠٧، و«شرح النهج الفارسي» ج٤ ص٧١٢].

هذا فلينظر كيف يعلن علي رضى الله عنه على ملأ الشهود عن الفاروق رضي الله عنه بصوته الرفيع أنه قوم العوج، وعالج المرض، وعامل بالطريقة النبوية، وسبق الفتنة وتركها خلفا، لم يدركها هو، ولا الفتنة أدركته، وانتقل إلى ربه وليس عليه ما يلام عليه،

أصاب خير الولاية والخلافة، ولحق الرفيق الأعلى، ولم يلوث في القتل والقتال الذي حدث بين المسلمين طائعًا لله، غير عاص، واتقى الله في أداء حقه، ولم يقصر فيه ولم يظلم.

فهذا هو الذي يليق أن يضرب الدين في عصره العطن.

وكان عليّ رضي الله عنه وهو قائد أهل البيت يعد الفاروق ملجأ للإسلام، ومأوى للمسلمين ومرجعهم، فانظر كيف يصفه بهذه الأوصاف ولقد استشاره في الخروج إلى غزو الروم فقال له:

«إنك متى تسر إلى هذا العدو بنفسك، فتلقهم فتنكب، لا تكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم. ليس بعدك مرجع يرجعون إليه، فابعث إليهم رجلاً محربًا، واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهر الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى، كنت ردأ للناس ومثابة للمسلمين» [«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص١٩٣].

ويكتب ابن أبي الحديد تحته شرحًا لهذه الخطبة: «فتنكب مجزوم لأنه عطف على تسر وكهفة أي كهف يلجأ إليه، ويروي كانفة أي جهة عاصمة ......، وحفزت الرجل أحفزه أي دفعته وسقته سوقًا شديدًا وردأ أي عونًا، ومثابة أي أمنا، ومنه قوله تعالى: ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾، أشار عليه السلام أن لا يشخص بنفسه حذرًا أن يصاب فيذهب المسلمون كلهم لذهاب الرأس، بل يبعث أميرًا من جانبه على الناس ويقيم هو في المدينة، فإن هزموا كان مرجعهم إليه» [«شرح نهج البلاغة» ج٢ جزء٨ ص٣٦٩، ٣٧٠].

والقارئ حينما يقرأ هذه الخطبة يعرف الحب المتدفق من خلال الكلمات للفاروق والحرص على شخصه وحياته، والرجاء والتمني لبقائه في الحكم والخلافة ذخرًا للإسلام والمسلمين رغم أنوف المبغضين والطاعنين فيه، ثم الجدير بالذكر أن الفاروق رضي الله عنه كان مصممًا للمسير إلى المعركة بنفسه والمرتضى علي رضي الله عنه كان يعرف ذلك، ومع ذلك أراد منعه قدر المستطاع لما كان يراه سببًا لعز الإسلام ومجده وشموخه، وأن لا يمسه سوء حتى لا تنقلب على الإسلام ودولته قالة ولا تدور عليه الدائرة، وأكثر من ذلك أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان يريد أن ينيب عنه في العاصمة الإسلامية علي بن أبي طالب رضي الله عنهما [يأتي ذكره في محله مفصلاً] وكانت له فرصة ذهبية

لأخذه زمام الأمور واسترداد الحقوق الموهمة التي يظنها القوم بأنها سلبت، وقد ملئوا من ذكرها الكتب والصحف ولطالما بكوا عليها بكاء مرًا وبكاء إخوة يوسف حيث القضية بالعكس تمامًا، لأن الذي ينيبون عنه، ويصيرون وكلاءه ومحاميه ومدافعيه، بل ومحاربيه ومقاتليه يظهر الأمر منعكسًا تمامًا، وكان عليّ طوال مدة خلافته هكذا معه لا يريد أن يلقي نفسه في المخاطر فصار كالرقيب عليه، محافظًا على حياته، ساهرًا على مصالحه، راجيًا له البقاء والدوام، ناصحًا مناصحًا لله وفي الله وصلاح الأمة وفلاحها، ولذلك لما استشاره في الشخوص لقتال الفرس بنفسه منعه من ذلك وقال له:

إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا بقلة. وهو دين الله الذي أظهره، وجنده الذي أعدّه وأمدّه، حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز وعده، وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمه: فإن انقطع النظام تفرق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدًا. والعرب اليوم، وإن كانوا قليلاً، فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع! فكن قطبًا واستدر الرحا بالعرب، وأصلهم دونك نار الحرب، فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مما بين يديك.

إن الأعاجم إن ينظروا إليك غدًا يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا اقتطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك، وطمعهم فيك. فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإن الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم، فإنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وإنما كنا نقاتل بالنصر والمعونة» [«نهج البلاغة» بتحقيق صبحي ص٢٠٣، ٢٠٤ تحت عنوان «ومن كلام له (أي علي) عليه السلام وقد استشاره عمر في الشخوص لقتال الفرس بنفسه»].

فهل بعد ذلك شك لشاك بأن عليًا رضي الله عنه كان يعدّ الفاروق مصداقًا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أخبر عنه، وبشر به المسلمين بأن الإسلام يبلغ مداه في عصره وعهده، ولذلك يقول علي رضي الله عنه: ونحن على موعود من الله، والله منجز

وعده، وناصر جنده إلخ.

فإنه بذلك يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «**ثم استحالت غربًا فأخذها عمر بن الخطاب، فلم أر عبقريًا ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن**».

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأكثر من ذلك يلفت أنظار الناس بكلامه هذا إلى وعد الله عز وجل كما ورد في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾» [سورة التوبة الآية٥٥].

فالمقصود من انتباهه وتوجيهه بقوله: ونحن على موعود من الله: بأن الله وعد المؤمنين والعاملين الصالحات التمكن في الأرض والاستخلاف، فنحن المؤمنين وأنت أيها الفاروق أميرنا، والله ينجز وعده في عهدك وخلافتك، وينصر جنده الذين يقاتلون تحت رايتك وقيادتك الحكيمة وتوجيهاتك الرشيدة لأن دين الله لا بد له أن يظهر ويغلب – حتى يبلغ بجرانه، لأنك أنت القيم بأمره، ومدبر لقضاياه، وبك شأنه ومكانه، فإن أنت فقدت ضاع الأمر، وانتشر الجمع، وضعفت القوة، وانكسرت الشوكة، وافترق الناس حتى لن يرجى اجتماعهم واتحادهم بعد ذلك أبدًا [فكان كما قال، فتحت أبواب الفتن بعد شهادته ولم تغلق بعده حتى اليوم، وقد ورد في ذلك المعنى حديثًا أيضًا]، فإذا انقطع النظام تفرق الجزر وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبدًا.

وأيضًا أشار بذلك إلى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «**اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب** – رواه المجلسي في «بحار الأنوار» عن محمد الباقر» [«بحار الأنوار» ج٤ كتاب السماء والعالم] فإن دعاء الرسول لا بد له أن يقبل.

ونبّه سيد أهل البيت الناس مع من فيهم الذين يدعون أنهم شيعته بأن الفاروق ليس كواحد من الناس، بل إنه قطب، وعليه يدور رحى الإسلام والعرب المسلمين، فلو لا القطب ليس للرحى بأن تدور، وأنى لها ذلك؟ ولذلك يلح عليه بقوله: فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتفضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها: لأنهم

يعرفون أن الفاروق هو الأصل، وإن استؤصل لا يبقى للفرع أثر، وإنه هو القطب، وإن كسر تنكسر الرحى ولا تدور، وأيضا إنك أنت الحامي حمى القوم، وحافظ عوراتهم، فلا نتركك بأن تبرح عنا وتدخل نفسك في غمار الموت، لأننا لا نستغني عنك، ونستغني بك قومًا آخرين.

فما أحسن ما عبّر بهم علي بن أبي طالب ما يختلج في صدره، ويكنه في ضميره، ويعتقد به في معتقداته تجاه الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ورضيا عنه.

هذا وكان علي رضي الله عنه يعتقد أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، وكان يرى بأنه محدث بأخبار الرسول، ولذلك لم يكن يخالف سيرته وعمله حتى وفي الأمور الصغيرة والتافهة، وقد نقل الدينوري [هو أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داؤد من أهل الدينور، مدينة من أعمال الجبل من همدان. «ثقة فيما يرويه، معروف بالصدق كما وصفه كذلك ابن النديم، توفي سنة ٢٨١ أو ٢٨٢ أو سنة ٢٩٠، وإن أكثر أخذه من يعقوب بن إسحاق الليث النحوي لتشيعه، وهو من أبناء الفرس يستظهر إماميته» («الذريعة إلى تصانيف الشيعة» لآقابزرك الطهراني ج١ ص٣٣٨ ط طهران)] الشيعي أنه لما قدم الكوفة «قيل له: يا أمير المؤمنين! أتنزل القصر؟ قال: لا حاجة لي في نزوله، لأن عمر بن الخطاب كان يبغضه، ولكني نازل الرحبة، ثم أقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى ركعتين، ثم نزل الرحبة» [«الأخبار الطوال» لأحمد بن داؤد الدينوري ص١٥٢].

وكذلك لما تكلم في رد فدك أبى أن يعمل خلاف ما فعله عمر، فهذا هو السيد مرتضى يقول: «فلما وصل الأمر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كلم في رد فدك، فقال: إني لأستحي من الله أن أردّ شيئًا منع منه أبو بكر، وأمضاه عمر» [«كتاب الشافي في الإمامة» ص٢١٣، أيضًا «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد].

ونتقل هنا روايات ثلاثة تأييدًا لهاتين الروايتين نقلناها من كتب القوم:

الأولى: من حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أنه قال: لا أعلم عليًا خالف عمر، ولا غيّر شيئًا مما صنع حين قدم الكوفة» [«رياض النضرة» لمحب الطبري ج٢ ص٨٥].

والرواية الثانية: «أن أهل نجران جاءوا إلى علي يشتكون ما فعل بهم عمر، فقال في

جوابهم: إن عمر كان رشيد الأمر، فلا أغير شيئًا صنعه عمر» [«البيهقي» ج١٠ ص١٣٠، «الكامل» لابن أثير ج٢ ص٢٠١ ط مصر، «التاريخ الكبير» للإمام البخاري ج٤ ص١٤٠ ط الهند، «كتاب الخراج» لابن آدم ص٢٣ ط مصر، «كتاب الأموال» ص٩٨، «فتوح البلدان» ص٧٤].

والرواية الثالثة: أن عليًا قال حين قدم الكوفة: ما كنت لأحل عقدة شدها عمر».

[«كتاب الخراج» لابن آدم ص٢٣، أيضًا «فتوح البلدان» للبلاذري ص٧٤ ط مصر].

وما كان كل هذا إلا لأنه يراه رجلاً ملهمًا حسب إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، ورجلاً مسددًا يدور معه الحق أينما دار.

وأما كون عمر رجلاً من أهل الجنة كما ورد في ذلك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رويناه، فلقد شهد بذلك علي بن أبي طالب وابن عمه وأحد قواده من المعتمدين وأمرائه الموثوقين عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد أورد هذه الرواية ابن أبي الحديد أن الفاروق لما طعن، وطعنه أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي دخل عليه ابنا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فيقول ابن عباس: فسمعنا صوت أم كلثوم (بنت علي رضي الله عنه) واعمراه، وكان معها نسوة يبكين فارتج البيت بكاء، فقال عمر: ويل أم عمر إن الله لم يغفر لهم، فقلت: والله! إني لأرجو أن لا تراها إلا مقدار ما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ إن كنت ما علمنا لأمير المؤمنين وسيد المسلمين تقضي بالكتاب وتقسم بالسوية، فأعجبه قولي، فاستوى جالسًا فقال: أتشهد لي بهذايا ابن عباس؟ فكعكعت أي جبنت، فضرب عليّ عليه السلام بين كتفي وقال: اشهد، وفى رواية لم تجزع يا أمير المؤمنين؟ فوالله لقد كان إسلامك عزًا، وإمارتك فخرًا، ولقد ملأت الأرض عدلاً، فقال: أتشهد لي بذلك يا ابن عباس! قال: فكأنه كره الشهادة فتوقف، فقال له علي عليه السلام: قل: نعم، وأنا معك، فقال: نعم [«ابن أبي الحديد» ج٣ ص١٤٦، ومثل هذا في «كتاب الآثار» ص٢٠٧، «سيرة عمر» لابن الجوزي ص١٩٣ ط مصر].

وأكثر من هذا أن عليًا – وهو الإمام المعصوم الأول عند القوم – كان يؤمن بأنه

من أهل الجنة لما سمعه من لسان خيرة خلق الله محمد المصطفى الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم، ولأجل ذلك كان يتمنى بأن يلقى الله بالأعمال التي عملها الفاروق عمر رضي الله عنه في حياته، كما رواه كل من السيد مرتضى وأبو جعفر الطوسي وابن بابويه وابن أبي الحديد.

لما غسل عمر وكفن دخل علي عليه السلام فقال: صلى الله عليه وآله وسلم ما على الأرض أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى (أي المكفون) بين أظهركم [«كتاب الشافي» لعلم الهدى ص١٧١، و«تلخيص الشافي» للطوسي ج٢ ص٤٢٨ ط إيران، و«معاني الأخبار» للصدوق ص١١٧ ط إيران].

ووردت هذه الرواية في كتب السنة بتمامها في المستدرك للحاكم [ج٣ ص٩٣]، مع «التلخيص» للذهبي «ومسند أحمد» مسندات علي «وطبقات ابن سعد» [أحوال عمر ج٣ ص٢٦٩، ٢٧٠ ط ليدن] ومثله ورد في البخاري ومسلم.

وأما ابن أبي الحديد فيذكر: «طعن أمير المؤمنين فانصرف الناس وهو في دمه مسجى لم يصل الفجر بعد، فقيل: يا أمير المؤمنين! الصلاة، فرفع رأسه وقال: لاها الله إذن، لا حظ لامرئ في الإسلام ضيع صلاته، ثم وثب ليقوم فانبعث جرحه دمًا فقال: هاتوا لي عمامة، فعصب جرحه، ثم صلى وذكر، ثم التفت إلى ابنه عبد الله وقال: ضع خدي إلى الأرض يا عبد الله! قال عبد الله: فلم أعج بها وظننت أنها إختلاس من عقله، فقالها مرة أخرى: ضع خدّي إلى الأرض يا بني، فلم أفعل، فقال الثالثة: ضع خدّي إلى الأرض لا أم لك، فعرفت أنه مجتمع العقل، ولم يمنعه أن يضعه هو إلا ما به من الغلبة، فوضعت خدّه إلى الأرض حتى نظرت إلى أطراف شعر لحيته خا رجة من أضعاف التراب وبكى حتى نظرت إلى الطين قد لصق بعينه، فأصغيت أذني لأسمع ما يقول فسمعته يقول: يا ويل عمر وويل أم عمر إن لم يتجاوز الله عنه، وقد جاء في رواية أن عليًا عليه السلام جاء حتى وقف عليه فقال: ما أحد أحب إلي أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجى» [«شرح النهج» لابن أبي الحديد ج٣ ص١٤٧].

فهل بعد ذلك مجال لقائل أن يقول بأن عليًا وهو سيد أهل البيت لم يكن يعدّ عمر رجلاً من أهل الجنة؟ فمن من الناس يرجى أن يكون عمله وصحيفته كصحيفته وعمله؟

فهل هناك أكثر من ذلك؟ نعم! هناك أكثر وأكثر، فلقد شهد علي رضي الله عنه : «إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر» [«كتاب الشافي» ج٢ ص٤٢٨].

«وقال فيه وفي أبي بكر في رسالته: إنهما إماما الهدى، وشيخا الإسلام، والمقتدى بهما بعد رسول الله، ومن اقتدى بهما عصم» [«تلخيص الشافي» للطوسي ج٢ ص٤٢٨].

«وأيضا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن أبا بكر مني بمنزلة السمع، وإن عمر مني بمنزلة البصر» [«عيون أخبار الرضا» لابن بابويه القمي ج١ ص٣١٣، أيضًا «معاني الأخبار» للقمي ص١١٠، أيضًا «تفسير الحسن العسكري»].

والجدير بالذكر أن هذه الرواية رواها عليّ عن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد رواها عن علي ابنه الحسن رضي الله عنهما .

* * *

مدح أهل البيت الفاروق

هذا ولقد مدحه ابن عباس رضي الله عنه وهو أحد أعلام أهل بيت النبوة وسادتهم وابن عم النبي عليه السلام بقوله: «رحم الله أبا حفص كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومنتهى الإحسان، ومحل الإيمان، وكهف الضعفاء، ومعقل الحنفاء، وقام بحق الله صابرًا محتسبًا حتى أوضح الدين، وفتح البلاد، وآمن العباد».

[«مروج الذهب» للمسعودي الشيعي ج٣ ص٥١، «ناسخ التواريخ» ج٢ ص١٤٤ ط إيران].

هذا وقد بالغ في مدحه سائر أهل البيت كما مر في ذكر الصديق رضي الله عنه عن زين العابدين علي بن الحسين بن علي، وعن ابنه محمد الباقر، وزيد الشهيد، وعن ابن الباقر جعفر، الملقب بالصادق، وأنه كان يأتي إلى قبرهما ويسلم عليهما، وكان يتولاهما، كل شيء من ذلك في ضمن ذكر الصديق أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنهما.

وقبل أن ننتقل إلى شيء آخر نريد أن نضيف إلى ما ذكرنا رواية أخرى أوردها الكليني في كتاب «الروضة من الكافي».

«إن جعفر بن محمد - الإمام السادس المعصوم لدى الشيعة - لم يكن يتولاهما فحسب، بل كان يأمر أتباعه بولايتهما أيضًا، فيقول صاحبه المشهور لدى القوم أبو بصير: كنت جالسًا عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخلت علينا أم خالد التي كان قطعها يوسف بن عمر تستأذن عليه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: أيسرّك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها. قال: وأجلسني على الطنفسة، قال: ثم دخلت فتكلمت فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما (أي أبي بكر وعمر) فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما؟ قال: نعم».

[«الروضة من الكافي» ج٨ ص١٠١ ط إيران تحت عنوان «حديث أبي بصير مع المرأة»].

فهذا هو الإمام السادس للقوم الذي جعلوا مذهبهم على اسمه، وشريعتهم على رسمه، حيث سموا أنفسهم جعفريين، ومذهبهم الجعفري، لا يتولى أبا بكر وعمر نفسه بل يأمر أتباعه أيضًا بتوليهما، فرحمة الله عليهم جميعًا، ورحمة ربنا على من يتمثل

بأمره وأمر آبائه في ولاية أبى بكر الصديق وعمر الفاروق وغيرهما وأصحاب النبي صلوات الله وسلامه ورضوانه عليهم أجمعين.

* * *

تزويج المرتضى أم كلثوم من الفاروق

وعلى هذا زوج علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابنته التي ولدتها فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم من الفاروق رضي الله عنه حينما سأله زواجها منه رضي بما يطلب، وثقة فيه، واعتمادًا به، وإقرارًا بفضائله ومناقبه، واعترافًا بمحاسنه وجمال سيرته، وإظهارًا بأن بينهم من العلاقات الوطيدة الطيبة والصلات المحكمة المباركة ما يحرق قلوب الحساد من اليهود وأعداء الأمة المجيدة، ويرغم أنوفهم، ولقد أقر بهذا الزواج كافة أهل التاريخ والأنساب وجميع محدثي الشيعة وفقهائهم ومكابريهم ومجادليهم وأئمتهم المعصومين حسب زعمهم، ولقد أوردنا روايات بخصوص ذلك في كتابنا «الشيعة والسنة».

وإتمامًا للفائدة وإكمالا للبحث نورد ها هنا بعض الروايات الأخرى التي لم نوردها هناك، فيقول المؤرخ الشيعي أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه تحت ذكر حوادث سنة ١٧ من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

«وفي هذه السنة خطب عمر إلى علي بن أبي طالب أم كلثوم بنت علي، وأمها فاطمة بنت رسول الله، فقال علي: إنها صغيرة! فقال: إني لم أرد حيث ذهبت، لكني سمعت رسول الله يقول: كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي وصهري، فأردت أن يكون لي سبب وصهر برسول الله، فتزوجها وأمهرها عشرة آلاف دينار».

[تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٤٩، ١٥٠].

وأيضًا ذكر ذلك الطبري في تاريخه «تاريخ الأمم والملوك» [ج٥ ص١٦ ط مصر القديم] وابن كثير في «البداية والنهاية» [ج٧ ص١٣٩] وابن الأثير في «الكامل» [ج٣ ص٢٩ ط دار الكتاب بيروت] وطبقات ابن سعد [ص٣٤٠ ط ليدن] وأبو الفداء في تاريخه وغيرهم وهم كثيرون.

وأقر بذلك الزواج أصحاب الصحاح الأربعة الشيعية أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في كافيه بأن عليًا زوج ابنته أم كلثوم من الفاروق رضي الله عنهما . [انظر لذلك «الفروع من

الكافي» كتاب النكاح، باب تزويج أم كلثوم ج٥ ص٣٤٦ روايتان في هذا الباب، ووردت روايات كثيرة في كتب السنة عن زواج الفاروق أم كلثوم ب، انظر لذلك المستدرك للحاكم باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها ج٣ ص١٣٠ ط. الهند، وذكر البخاري هذا الزواج في صحيحه في «كتاب الجهاد» (باب حمل النساء القرب)، والنسائي في سننه «كتاب الجنائز» (باب اجتماع جنائز الرجال والنساء) في سننه «كتاب الجنائز» (بابا إذا حضر جنائز الرجال والنساء من يقدم)].

وروى أيضًا عن سليمان بن خالد أنه قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام - جعفر الصادق - عن امرأة توفي زوجها أين تعتد؟ في بيت زوجها أو حيث شاءت؟ قال: بلى حيث شاءت، ثم قال: «إن عليًا لما مات عمر أتى أم كلثوم فأخذ بيدها فانطلق بها إلى بيته [«الكافي في الفروع» كتاب الطلاق، باب المتوفى عنها زوجها ج٦ ص١١٥، ١١٦، وفي نفس الباب رواية أخرى عن ذلك، وأورد هذه الرواية شيخ الطائفة الطوسي في صحيحه «الاستبصار»، أبواب العدة، باب المتوفى عنها زوجها ج٣ ص٣٥٣، ورواية ثانية عن معاوية بن عمار، وأوردهما في «تهذيب الأحكام» باب في عدة النساء ج٨ ص١٦١].

وهنالك رواية أخرى رواه الطوسي عن جعفر - الإمام السادس عندهم - عن أبيه الباقر أنه قال:

ماتت أم كلثوم بنت علي وابنها زيد بن عمر بن الخطاب في ساعة واحدة لا يدرى أيهما هلك قبل، فلم يورث أحدهما من الآخرة وصلي عليهما جميعًا.

[«تهذيب الأحكام» كتاب الميراث، باب ميراث الغرقى والمهدوم، ج٩ ص٢٦٢].

وذكر هذا الزواج من محدثي الشيعة وفقهائها السيد مرتضى علم الهدى في كتابه [«الشافي» ص١١٦ وفى كتابه «تنزيه الأنبياء» ص١٤١ ط إيران، وابن شهر آشوب هو رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي بن شهر آشوب السروي المازندراني «فخر الشيعة ومروج الشريعة، يحيي آثار المناقب والفضائل، والبحر المتلاطم الزخار، شيخ مشائخ الإمامية وصاحب كتاب «المناقب» وغيره، وكان إمام عصره، ووحيد دهره.. وهو عند الشيعة كالخطيب البغدادي لأهل السنة، مات سنة ٥٨٨ بحلب» (الكنى والألقاب ج١ ص٣٢١) في كتابه «مناقب آل أبي طالب» ج٣ ص١٦٢ ط بمبئى الهند والأربلي في «كشف الغمة في معرفة الأئمة» ص١٠ ط إيران القديم وابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج٣ ص١٢٤

ومقدس الأردبيلي في «حديقة الشيعة» ص٢٧٧ ط طهران والقاضي نور الله الشوشتري الذى يسمونه بالشهيد الثالث في كتابه «مجالس المؤمنين» ص٧٦ ط إيران القديم، أيضًا ص٨٢].

ويقول وهو يذكر المقداد بن الأسود: إن النبي أعطى بنته لعثمان، وإن الولي زوج بنته من عمر» [«مجالس المؤمنين» ص٨٥].

وأيضًا ذكر هذا الزواج في كتابه «مصائب النواصب» [ص١٧٠ ط طهران]، وأيضًا السيد نعمت الله الجزائري في كتابه «الأنوار النعمانية» والملا باقر المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» [باب أحوال أولاده وأزواجه ص٦٢١ ط طهران]، والمؤرخ الشيعي المرزه عباس علي القلي في تاريخه [«تاريخ طراز مذهب مظفري» فارسي، باب حكاية تزويج أم كلثوم من عمر بن الخطاب]، ومحمد جواد الشري في كتابه [«أمير المؤمنين» ص٢١٧ تحت عنوان «علي في عهد عمر» ط بيروت]، والعباسي القمي في «منتهى الآمال» [ج١ ص١٨٦ فصل٦ تحت عنوان «ذكر أولاد أمير المؤمنين» ط إيران القديم] وغيرهم الذين بلغ عددهم حد التواتر، ولا ينكر ذلك إلا مكابر جاهل أو مجادل متنكر.

ولقد استدل بهذا الزواج فقهاء الشيعة على أنه يجوز نكاح الهاشمية من غير الهاشمي، فكتب الحلّي في شرائع الإسلام «ويجوز نكاح الحرة العبد، والعربية العجمي، والهاشمية غير الهاشمي» [«شرائع الإسلام» في الفقه الجعفري للحلي، كتاب النكاح، المتوفى ٦٧٢].

وكتب تحت هذا شارح الشرائع زين الدين العاملي الملقب بالشهيد الثاني «وزوج النبي ابنته عثمان، وزوج ابنته زينب بأبي العاص بن الربيع، وليسا من بني هاشم، وكذلك زوّج علي ابنته أم كلثوم من عمر، وتزوج عبد الله بن عمرو بن عثمان فاطمة بنت الحسين، وتزوج مصعب بن الزبير أختها سكينة، وكلهم من غير بني هاشم».

[«مسالك الأفهام» شرح شرائع الإسلام، باب لواحق العقد ج١].

ونريد أن نختم الكلام في هذا الموضوع برواية ابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي.

«إن عمر بن الخطاب وجه إلى ملك الروم بريدًا، فاشترت أم كلثوم امرأة عمر طيبًا بدنانير، وجعلته في قارورتين وأهدتهما إلى امرأة ملك الروم، فرجع البريد إليها ومعه ملء القارورتين جواهر، فدخل عليها عمر وقد صبت الجواهر في حجرها، فقال: من أين لك هذا؟ فأخبرته فقبض عليه وقال: هذا للمسلمين، قالت: كيف وهو عوض

هديتي؟ قال: بيني وبينك، أبوك، فقال علي عليه السلام: لك منه بقيمة دينارك والباقي للمسلمين جملة لأن بريد المسلمين حمله».

[«شرح نهج البلاغة» ج٤ ص٥٧٥ ط بيروت ١٣٧٥هـ].

ولقد ذكر هذا الزواج علماء الأنساب والتراجم أيضًا مثل البلاذري في «أنساب الأشراف» [ج١ ص٤٢٨ ط مصر]، وابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» [ص٣٧، ٣٨ ط مصر]، والبغدادي في كتابه «المحبر» [تحت عنوان أصهار علي ص٥٦ و٤٣٧ ط دكن]، والدينوري في «المعارف» [تحت عنوان بنات علي ص٩٢ ط مصر وأيضًا ص٧٩، ٨٠ تحت عنوان أولاد عمر بن الخطاب]، وغيرهم.

* * *

إكرام الفاروق أهل البيت واحترامه إياهم

ولم تكن هذه العلاقات من طرف واحد بل كل الأطراف كانوا معتنين بهذه العلاقات فكان الفاروق يجل أهل بيت النبي أكثر مما كان يُجل أهل بيته هو، وكان يحترمهم ويقدمهم في الحقوق والعطاء على نفسه وأهل بيته، ولقد ذكر المؤرخون قاطبة أن الفاروق لما عيّن الوظائف المالية والعطاءات من بيت المال قدّم على الجميع بني هاشم لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولاحترامه أهل بيته عليه الصلاة والسلام.

فها هو اليعقوبي يذكر ذلك بقوله:

ودوَّن عمر الدواوين، وفرض العطاء سنة ٢٠، وقال: قد كثرت الأموال فأشير عليه أن يجعل ديوانًا، فدعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، و جبير بن مطعم بن نوفل بن عبد مناف [وكلهم أقرباء علي أخوه وأبناء عمه، هكذا كان الفاروق، فالعدل - العدل]، وقال اكتبوا الناس على منازلهم وابدءوا ببني عبد مناف، فكتب أول الناس علي بن أبي طالب في خمسة آلاف، والحسن بن علي في ثلاثة آلاف، والحسين بن علي في ثلاثة آلاف [اللهم إلا أهل السنة، فإنهم ذكروا في كتبهم أن الفاروق «فرض لأبناء البدريين ألفين ألفين إلا حسنًا وحسينًا فإنه ألحقهما بفريضة أبيهما لقرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففرضت لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم، وفرض للعباس خمسة آلاف درهم لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم » (طبقات ابن سعد ج٣ ص٢١٣، ٢١٤، وكتاب الخراج لأبي يوسف ص٤٣، ٤٤ ط مصر، وفتوح البلدان ص٤٥٤، ٤٥٥، وكتاب الأموال لأبي عبيد بن سلام) ولقد روى البلاذري، ويحيى بن آدم، والطرابلسي وغيرهم عن جعفر بن محمد الباقر عن محمد الباقر وعن عبد الله بن الحسن وعن علي بن أبي طالب «إن عمر أقطع عليًا ينبع فأضاف إليها غيرها» (فتوح البلدان للبلاذري ص٢٠، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم ص٧٨ ط مصر القديم والإسعاف في أحكام الأوقاف للطرابلسي ص٨ ط مصر)] ..... ولنفسه أربعة آلاف [ومع هذا لا يستحي من الله من يقول: إن عمر غصب حقوق أهل البيت، وهذا هو اليعقوبي يلطم على

وجوههم لطمات من الحق الذي وفقه الله أن يقره ويعترف به، وعمر يومئذ أمير المؤمنين، وعلي دونه] ..... وكان أول مال أعطاه مالاً قدم به أبو هريرة من البحرين [نعم! أبو هريرة الذي يبغضه القوم أشد البغض، ليس إلا لأنه روى أحاديث سمعها من لسان رسول الله في مناقب أصحابه البررة، وخاصة الصديق والفاروق، نعم! ذلك أبو هريرة الذي جاء بالمال، فأخذ كلهم من مال الله الذي أتى به هو] مبلغه سبعمائة ألف درهم، قال (يعنى الفاروق): اكتبوا الناس على منازلهم، واكتبوا بني عبد مناف، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم أتبعوهم عمر بن الخطاب وقومه، فلما نظر عمر قال: وددت والله أني هكذا في القرابة برسول الله، ولكن ابدءوا برسول الله ثم الأقرب فالأقرب منه حتى تضعوا عمر بحيث وضعه الله [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١٥٣ ط بيروت].

وأما ابن أبي الحديد فقال: «لا بل ابدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم، و بأهله، ثم الأقرب فالأقرب، فبدأ ببني هاشم، ثم ببني عبد المطلب ثم بعبد شمس ونوفل، ثم بسائر بطون قريش، فقسم عمر مروطًا بين نساء المدينة، فبقي منها مرط حسن، فقال بعض من عنده: أعط هذا يا أمير المؤمنين! ابنة رسول الله التي عندك يعنون أم كلثوم بنت علي عليه السلام، فقال: أم سليط أهديه فإنها ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانت تزفر لنا يوم أحد قربًا» [«نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٣ ص١١٣، ١١٤].

هذا ولقد ثبت أن الفاروق كان يقدر ويكرم أهل البيت، ويكن لهم من الاحترام ما لم يكن للآخرين، وحتى وأهل بيته وخاصته.

«وذكر أن ابنة يزدجرد كسرى إيران أكبر ملوك العالم آنذاك لما سبيت مع أسارى إيران أرسلت مع من أرسل إلى أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر الفاروق الأعظم رضي الله عنه، وتطلع الناس إليها وظنوا أنها تعطي وتنفل إلى ابن أمير المؤمنين والمجاهد الباسل الذي قاتل تحت لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوات عديدة، لأنه هو الذي كان لها كفو، ولكن الفاروق لم يخصها لنفسه ولابنه ولا لأحد من أهل بيته، بل رجح أهل بيت النبوة فأعطاها لحسين بن علي رضي الله عنهما، وهى التي ولدت علي بن الحسين رضي الله عنه الذي بقي وحيدًا من أبناء الحسين في كربلاء حيًا

وأنجب وتسلسل منه نسله» [فليحذر الذين يدعون أنهم من نسل الحسين، ثم يسبون الفاروق، ويعدونه ظالمًا حق آل محمد، وغاصبًا لخلافتهم، لولاه لما كان لهم وجود، وإن كان غاصبًا فكيف رضي الحسين بأخذ الجارية منه التي سبيت في معركة من معاركه التي أقيمت تحت لوائه وحسب توجيهاته؟ فليتدبر، وهل من مفكر؟].

ولقد ذكر ذلك نسابة شيعي مشهور ابن عنبة: «إن اسمها شهربانو قيل: نهبت في فسخ المدائن فنفلها عمر بن الخطاب من الحسين عليه السلام» [«عمدة الطالب في أنساب أبي طالب» الفصل الثاني تحت عنوان عقب الحسين ص١٩٢].

كما ذكر ذلك محدث الشيعة المعروف في صحيحه «الكافي في الأصول» عن محمد الباقر أنه قال:

«لما قدمت بنت يزدجرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق المسجد بضوئها لما دخلته، فلما نظر إليها عمر غطت وجهها وقالت: أف بيروج باداهرمز، فقال عمر: أتشتمنى هذه وهمّ بها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيرها رجلاً من المسلمين وأحسبها بفيئه، فخيرها فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الحسين عليه السلام، فقال لها أمير المؤمنين: ما اسمك؟ فقالت: جهان شاه، فقال لها أمير المؤمنين: بل شهربانويه، ثم قال للحسين: يا أبا عبد الله! لتلدن لك منها خير أهل الأرض، فولدت علي بن الحسين عليه السلام، وكان يقال لعلي بن الحسين عليه السلام: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم ومن العجم فارس. ورويي أن أبا الأسود الدائلي قال فيه:

وإن غلامًا بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٤٦٧، ناسخ التواريخ ج١٠ ص٣، ٤].

وقبل ذلك ساعد أباه عليًا في زواجه من فاطمة رضي الله عنها كما مر سابقًا.

«وإن الفاروق كان يبدأ الخمس والفيء بأهل بيت النبوة كما كان الرسول عليه السلام يعمل به، وبعده أبو بكر، ولقد ذكرنا هذا سابقًا عند ذكر الصديق وفدك «وكان أبو بكر يأخذ غلتها ويدفع إليهم منها ما يكفيهم، ويقسم الباقي، وكان عمر كذلك،

وكان عثمان كذلك، ثم كان عليّ (على شاكلتهم وطريقتهم) كذلك» [«شرح نهج البلاغة» لابن ميثم ج٥ ص١٠٧، أيضًا «الدرة النجفية» ص٣٣٢، وابن أبي الحديد أيضًا].

«ومن إكرامه وتقديره لأهل البيت ما ذكره ابن أبي الحديد عن يحيى بن سعيد أنه قال: أمر عمر الحسين بن علي عليه السلام أن يأتيه في بعض الحاجة فلقي الحسين عليه السلام عبد الله بن عمر فسأله من أين جاء؟ قال: استأذنت على أبي فلم يأذن لي فرجع الحسين ولقيه عمر من الغد، فقال: ما منعك أن تأتيني؟ قال: قد أتيتك، ولكن أخبرني ابنك عبد الله أنه لم يؤذن له عليك فرجعت، فقال عمر: وأنت عندي مثله؟ وهل أنبت الشعر على الرأس غيركم» [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٣ ص١١٠].

هذا وكان يقول في عامة بني هاشم ما رواه علي بن الحسن عن أبيه حسين بن علي أنه قال: قال عمر بن الخطاب: «عيادة بني هاشم سنة، وزيارتهم نافلة».

[«الآمالي» للطوسي ج٢ ص٣٤٥ ط نجف].

ونقل الطوسي هذا والصدوق أيضًا أن عمر لم يكن يستمع إلى أحد بطعن في علي بن أبي طالب ولم يكن يتحمله، ومرة «وقع رجل في عليّ عليه السلام بمحضر من عمر، فقال: تعرف صاحب هذا القبر؟ ..... لا تذكر عليًا إلا بخير، فإنك إن آذيته آذيت هذا في قبره» [«الآمالي» للطوسي ج٢ ص٤٦، أيضًا «الآمالي» للصدوق ص٣٢٤، ومثله ورد في مناقب لابن شهر آشوب ج٢ ص١٥٤ ط الهند].

* * *

حب آل البيت ومبايعتهم إياه

وكان أهل بيت النبوة يتبادلون معه هذا الحب والتقدير والاحترام، ولم يستمعوا ولم يصغوا إلى من يتكلم فيه، أو يطعنه بطعنة، أو يعرّضه بتعريض، بل تبرؤا ممن فعل به هذا، وأنكروا عليه كما سيأتي مفصلاً إن شاء الله تعالى.

وأكثر من ذلك كافئوه على احترامه لهم وتقديره بهم حتى أعطوه ثمرة من ثمار النبوة، وزوّجها منه، وأطاعوه، وأخلصوا له الوفاء والطاعة، وناصحوه، وشاوروه بأحسن ما رأوه، واستوزرهم وتوزروه، وأنابهم فقبلوا نيابته، وجاهدوا تحت رايته، ولم يتأخروا في تقديم النصيحة له وما يطلب منهم وفق الكتاب والسنة، وبذلوا له كل غال وثمين.

فها هو علي بن أبي طالب يقر بذلك في رسالته التي أرسلها إلى أصحابه بمصر بعد مقتل محمد بن أبي بكر عامله على مصر، فيقول بعد ذكر الأحداث التي وقعت عقب وفاة الرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه:

«فتولى أبو بكر تلك الأمور ...... فلما احتضر بعث إلى عمر، فولاّه فسمعنا وأطعنا وناصحنا، وهذا رغم أنف كل من يأبى وينكر، ورغم أنف المتستر بنقاب س- خ، والملتجئ إلى الكذب، القائل في كتابه ردًا علينا - وفي رده يثبت ما قلناه ويقر ما أثبتناه - وهو يظن بأنه يكذبنا ويكذب الحقائق الدامغة التي لا مفر عنها، فيقول بعد ما ينقل فضائل أبي بكر وعمر التي أوردناها يقول: لو كنت حاضرًا تحت منبر علي حينما بكى، وخطب هذه الخطبة المفصلة في الثناء عليهما لقلت له: ما جرّأنا على مخالفتهما وانتقاصهما إلا أنت يا علي! لامتناعك أنت وأهل بيت رسول الله والخلّص من أصحاب رسول الله عن البيعة لهما مما اضطررتم عمر أن يحمل الحطب، ويأتي لدارك يريد حرقها بمن فيها. وفيها ابنة رسول الله ويقال له: إن فيها ابنة رسول الله. ويقول: وإن.. حتى أخرجاك قهرًا. ولم تبايع أنت إلا بعد ستة أشهر وبعد موت زوجتك غاضبة عليهما على فعلتهما معك ومعها، حتى أوصتك أن تدفنها ليلاً - وقد فعلت - احتجاجًا على فعلهما معكما؟

فإذا كنت تعلم - يا علي - أن هذه منزلتها عند رسول الله فلماذا فعلت - أنت وأصحابك وزوجك - هذا الفعل وجرأتمونا على نقدهما على ارتكابها ذلك الفعل؟.

ثم ولم تكتف - يا علي - حتى تدعي في خطابك مع معاوية بن أبي سفيان الذي عيرك هذه الحادثة وذكر أنهم أخرجاك كالجمل المخشوش، فقلت له مفتخرًا:

وأوجب لي رسول الله فيكم ولايته غداة غدير خم

ثم وكيف تدعي يا علي (أن رسول الله لا يرى كرأيهما رأيًا، ولا يحب كحبهما حبًا) وإنا نقرأ في التاريخ عدة قضايا رغب فيها عمر وخالفه رسول الله. فقد رأى عمر بعد وقعة بدر، أن يقدم رسول الله عمه العباس ويضرب عنقه، وتقدم أنت أخاك عقيلاً وتضرب عنقه، وخالفه رسول الله لأنه أخذ الدية وأطلقهما. وهكذا رأى عمر يوم فتح مكة أن يأمره رسول الله بضرب عنق أبي سفيان فامتنع رسول الله وأطلق سراحه وجعل بيته مأمنًا للخائفين.

وأخيرًا وليس آخرًا. قول رسول الله عند موته: آتوني بكتف وقرطاس لأكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده. فخالف عمر في ذلك وقال: عندنا كتاب الله ما فرط فيه من شيء مما أوجد رسول الله وأغضبه فطرده. وقال: قوموا فقاموا.

إلى كثير من أمثال هذه المخالفات فلماذا لا تقول الصحيح يا علي؟

ثم هبك - يا علي - علمت أنه في حياته لم يتجاوزوا أمره ورأيه، ولكن كيف علمت ذلك بعد وفاة رسول الله. وهل أعلمك رسول الله بذلك. وحينما وقعت بينهما - بين أبو بكر وعمر - مشادة في قضية خالد بن الوليد، كان رأي رسول الله مع من منهما.

ولا شك أن عليًا سيقول: لعن الله الكاذب المفتري [كتاب الشيعة والسنة في الميزان لصاحب قناع س - خ ص٨٨، ٨٩، ٩٠ ط بيروت].

نعم وأنا أيضًا أقول: لعن الله الكاذب المفتري سواء كان صاحب برقع س-خ أو الصافي.

فشركما لخيركما الفداء

ولقد كذّبه علي بن أبي طالب حيث يقول: أيها السائل الكاذب المفتري الجريء على الجلوس تحت منبري لا أراك إلا من سلالة ابن مُلجم حيث تسب وتشتم صهري زوج بنتي من فاطمة الزهراء بنت الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وتنسب إليّ ما لم أقله وما لم أفعله، وتكذب الفاروق وتكذبني، ثم تدعي حبي وولائي، وتقول بأنني أنا جرأتك عليهما، لست إلا من سلالة ابن سبأ الذي تنكر وجوده خوفًا ووجلاً من أفعاله وأعماله وأقواله التي تطابق أقوالك وآرائك حتى لا تفضح، ولا يطلع الناس على سريرتك وفضائحك، وأنت تعلم أنني أنا الذي قتلته وحرقته لما أراد فتنة في الدين. وفسادًا في الشريعة واضطرابًا في المسلمين، وقد ذكره أسلافك وقومك، فتأتي أنت في القرن الرابع عشر وتنكر وتتنكر، وقبلك كلهم اعترفوا بوجوده وأعماله القبيحة الشنيعة فلعنة الله على الكاذب والمنكر والمفتري.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

فمن الكاذب والمفتري، أنت أو صاحبك؟

وأما سيد أهل البيت فمعاذ الله أن يناله سوء سريرتك وسلاطة لسانك، ثم وكم من خطب علي تنكرها؟، وأي عدد من العبارات تنكر عليها، وها قد ذكرنا خطبة علي وتدعي موالاته من كتابك أنت، نعم أنت وقومك، فأنتم جعتموه، وأنتم علقتم عليه وحققتموه، وأنتم طبعتموه أنتم، ثم وأنتم قدمتموه إلى العالم بقولكم: ولأجل ذلك صار كتابه (أي الغارات) هذا، وسائر كتبه مرتعًا للشيعة، ومشرعًا لهم، فقلما تجد كتابًا معروفًا للشيعة يخلو من ذكره وروايته فالأولى أن نشير إلى جماعة ممن يروي عنه أو عن كتبه بلا واسطة أو معها [مقدمة «الغارات» للثقفي ص ع].

ومعنى هذا أن هذا الكتاب من أهم مراجع الشيعة، ومنها سرقوا كثيرًا، فبفضل الله ومنّه فقد أثبتنا مرغمين أنوف المنكرين بأن عليًا بايع الصديق والفاروق، وأخلص لهما الوفاء، ويقر بذلك نفسه وهذا بعد وفاتهما، فماذا يقول المنصفون؟ ألا يقولون:

لعن الله الكاذب والمفتري.

عبد الله بن سبأ

وأما إنكار عبد الله بن سبأ اليهودي فليس إلا إنكار للحقيقة الساطعة كالشمس الطالعة في منتصف نهارها، ولم يوجد في المتقدمين أحد من أنكر وجوده، وما أدري أيهم أكثر علمًا وإلمامًا بالحقائق؟ المتقدمون أو المتأخرون، الخائفين المذعورين من والد ولدهم، ومؤسس أوجدهم، فنحن ندعو القوم ونتحداهم أن يثبتوا واحدًا من المتقدمين منهم، لا منّا، من ينكر وجوده، ويعده من الخيال والوهم فهؤلاء وكم هم؟ ومنهم صاحبنا الذي أعجبه أن يرد علينا فيا ليت استطاع الرد، ولكم اشتقت حينما سمعت بأن واحدًا اجترأ على الرد حتى أراه وأعرفه بماذا ردّ عليّ؟ إن كان صادقًا فأعترف بخطأي، وأقر بقصوري وغلطتي، ولكم تمنيت أن شيئًا مما نقلت رد عليه بأن النقل من كتب القوم غير صحيح، أو المصدر غير موثوق، أو عبارة منسوبة غير صحيحة إلى من نسبت إليه، أو استنتجت فأخطأت الاستنتاج والاستدلال؟ وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، وأين أنا وقد اعترف بإمكان صدوره علي بن أبي طالب المتهم بالعصمة كذبًا وافتراء، وها هو يقول: لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست آمن أن أخطىء [«الكافي في الأصول» نقلاً عن «أعيان الشيعة» ج١ ص١٣٦، إن كان احتمال الخطأ منافيًا للخلافة والإمامة فإنه حاصل لأئمتكم أنتم، فباعترافهم هم أنفسهم، وفي أقدس كتاب عندكم، فما معنى إذًا؟].

فتمنيت هذا، ولكن ولله الحمد والمنة بأن كل هذه المهاترات، والسباب والشتائم والتعريضات، والتنابز بالألقاب، والكذبات المتكررة لم تجعلني إلا ثقة واعتمادًا بأنه وفقني سبحانه وتعالى بالدفاع عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ورفاقه الكرام البررة، واكتشاف القوم ونواياهم وخباياهم بالواقع والحقيقة، ومن كتبهم أنفسهم، وما استطاعوا، ولن يستطيعوا أن يكذبوا شيئًا مما ذكرت اللهم إلا أن ينكروا كتبهم، ويكذبوا محدثيهم، وفقهائهم، وأئمتهم.

والجدير بالذكر أننا لم نذكر عبد الله بن سبأ نجل اليهودي عند ما ذكرناه في كتابنا

«الشيعة والسنة» نقلاً عن ابن حجر العسقلاني، ولا الذهبي، ولا ابن حبان، ولا ابن ماكولا، ولا البخاري، ولا، ولا، بل ذكرناه من الكشي إمامهم في الرجال، والنوبختي إمامهم في الفرق، ومؤرخ شيعي في الروضة الصفا: وكل من الكتب الثلاثة من كتبهم هم، ألفها كبارهم، ثم، من تحقيقهم أنفسهم حتى لا يتوهم بأنه أدرج فيها من المحقق والمعلق، ثم وكيف يحق له أن يقول مسفهًا العقلاء، ومبلدًا العلماء العارفين: ولكن من هو ابن سبأ هذا؟ ومن أن جاءته هذه القدرة العجيبة؟ التي جعلتنا نشاهده مرة في مصر ومرة في العراق، مرة في البصرة ومرة في الكوفة وهو حاضر في كل وقعة، مطلع على كل حادثة، ومن أين جاءته هذه الاستطاعة التي مكنته من أن يفعل ما يشاء متى شاء، ولماذا أهمل ذكره المؤرخون الأولون، ولماذا لم يتشك منه الخليفة عثمان الذي تشكى من أبي ذر وعمار وعبد الرحمن. وفعل بهم ما فعل وهم أصحاب رسول الله والمقدرون بين المسلمين، فلماذا لم يفعل بهذا اليهودي الطارئ ما فعل بهم بل ولماذا لم يذكره في أحاديثه وشكاياته؟

إن هذا اليهودي ابن السوداء العربي السبئي الذي جمع المتناقضات، والذي لا وجود له إلا في مخيلة من أراد الاعتذار عن عثمان بن عفان لهو شيء عجيب والأعجب منه الإصرار على وجوده الخارجي مع قيام الأدلة على تكذيبه.

[«كتاب الشيعة والسنة في الميزان» ص٣١، ٣٢ ط بيروت].

فمن تسأل يا من لا يسفه إلا رأيه ولا يحجر إلا عقله؟ ممن تسأل، منا أو من كشيك ونوبختيك؟

فيا لضياع الحق خذلانه وظهور الباطل ونصرته والغضب له! ويا للكذب والإصرار به والخداع والتمادي فبه! أيضن الظانون بأنهم يستطيعون بمثل هذه الكلمات النابية الرنانة أن يرعبوا الآخرين ويبهروا الكاشفين أسرارهم، المظهرين فضائحهم وقبائحهم، ثم أعد النظرة إلى كلماته كم التمادي في الباطل والإصرار في الكذب؟ فيا لمهزلة العقل! والتطاول في التزييف والتضليل، ليقرأ المخدوع والجاهل أو غير العارف بأصل القصة والقضية فينخدع، كم هؤلاء مساكين، مهتمين بأشياء لا أصل لها ولا

جذر ولا بذر ولكن من للقوم أن ينجيهم من بطش الحق وقبضة العارفين؟

ثم ويقول في محل آخر:

«ونحن الشيعة غربلنا التاريخ في قضية ابن سبأ فعرفنا أن هذه الشخصية من خلق الرابع الهجري» [ملخ ما قاله ص٨٣، ٨٤].

فنحن نقول: وكيف غربك التاريخ؟ مقلبًا الحقائق، ومغمضًا عينيك التي قلما ترى الحقيقة والصدق، مغلقًا قلبك وخاتمًا عليه.

وإن لم تكن هكذا ما تلفظت بهذا القول، وما كتبت هذه الكتابة وأنت تعرف أنك لا تجد أحدًا ينصرك في هذا من قومك وقبيلتك قبل القرن الرابع عشر من الهجرة، نعم! وإلا فأتوا برهانكم إن كنتم صادقين.

وأنت لم تقلد في هذا القول إلا رجالاً مثلك، لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، وهذا مع دعواك في مبحث التحريف «أما غيرنا وهنا البلية فلم يقل بعدم التحريف إلا تقليدًا لمن جمع القرآن، وهذا التقليد هو الذي يسمى بالتقليد الأعمى، والذي نرفضه في الأصول والفروع، والذي ذمه الله سبحانه وتعالى حينها ذم اليهود والنصارى باتباعهم الرهبان والأحبار، وأخذهم بأقوالهم من غير تمحيص. فعبر عنهم الله بالعبادة والتعبد. وهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم أحلوا لهم حلالاً، وحرموا عليهم حرامًا، فأخذوا بها أمروهم من دون مجوز شرعي بل تقليدًا فعبدوهم وهم لا يشعرون» [ص٤٩، ٥٠].

فانظر التناقض والتعارض والتخالف، وهذا كله من لوازم الكذاب الأفاك المفتري، تنكر شيئًا ثم تأتيه؟

* * *

عار عليك إذا فعلت عظيم

تنكر على السنة بأنهم قالوا بعدم التحريف في كتاب الله تقليدًا لمن جمع القرآن أي الصديق والفاروق وذي النورين، وتقلد أنت سيد حيدر، ومحمد جواد مغنية، والوردي، والشيبي، وطه حسين أو بعض المستشرقين، وكلهم أولاد هذا القرن، ولم يستندوا إلى دليل وبرهان في إنكاره، ولو استندوا ما اضطررت إلى أن تقول: إن هذه الشخصية من خلق القرن الرابع الهجري: لأن كلمة القرن الرابع نفسها تكذبك وتسفه رأيك، وتبله قولك، ولو فكرت قليلاً لما أطلقتها لأن المصدر الذي نقلنا منه حكايات ونشاطات عبد الله بن سبأ نجل اليهود هو المصدر الموثوق المعتمد الشيعي المشهور، قد ألف وأوجد في الوجود قبله بقرن أي القرن الثالث من الهجرة، ألا وهو كتاب «فرق الشيعة» للنوبختي لأبي محمد الحسن بن موسى النوبختي المكتوب تحته بخط أسود مثل سواد قلوب الجاحدين المنكرين المكابرين - من علماء القرن الثالث للهجرة -.

وما أدري كيف استطاع الأستاذ أسد حيدر وقد أراد في إنكار شخصية عبد الله بن سبأ أن يستند إلى دليل غير الكلام الفارغ والأقول اللاطائلة، المبنية على الوهم والخيال مثل تفوه الوردي والشيبي ومغنية وطه حسين وغيرهم، فقال: قلما يصدر كتاب يتناول البحث عن تاريخ الإسلام [بل تاريخ الشيعة بتعبير صحيح] إلا وعبد الله بن سبأ يحتل مكانًا في البحث [وهذا هو الذي يقلق مضاجعهم، ويجعلهم إلى إنكار وجوده] ويشغل صحائف الكتب - إلى أن قال - لقد حان الوقت لأن نلتفت إلى الوراء فنكشف حقيقة نشأة هذه الأسطورة - فلم لم يكشف أحد من القدامى يا أستاذ! أو تركوك أنت وأهل عصرك تتعب ويتعبون؟ ونقف على عوامل تلك الأباطيل التي طالما ظلت أيد سوداء ممتدة فوقها في سكون وصمت [«الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» ج٦ ص٤٥٦ ط بيروت].

فلنحن ننظر كيف يكشف، وبماذا يكشف؟ ولكنه يريد أن يمهد المسألة أكثر مما مهد فيقول:

يخطئ من يقول: بأن بحث قضية ابن سبأ من الأمور التي لا مندوحة في بحثها الآن

وإثارتها في هذا العصر، فالزمن قد تغير، وهذه من دفائن الماضي، وليس من الصحيح نبش تلك الدفائن ونشر صحائف مطوية، أكل الدهر عليها وشرب.

وإننا نقول: إن هذه القضية ليست كما يتوهمه المتوهمون بأنها من الصحائف المطوية، والآثار المنسية، بل هي في كل وقت غضة جديدة لا تغيرها الأيام مهما طال زمانها، فهي تنشر في كل وقت وتجعل من الأسس التي يستند إليها أكثر كتاب عصرنا الحاضر كوسيلة للطعن على الشيعة [«الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» ص٤٥٧].

نعم! إن هذه القضية ليست كما يتوهم المتوهمون بأنها من الصحائف مطوية، بل هي غضة جديدة في كل وقت من الأوقات عند ما يبحث تاريخ الشيعة، وجذور معتقداتهم، والأسس التي قام عليها مذهبهم، لأنها حقيقة ثابتة لا تغيرها الأيام مهما كثرت الأكاذيب، وعلت أصوات الإنكار الغير المستندة إلى دليل، ومهما طال الزمن، لأنها وسيلة لاكتشاف أصل الشيعة وأصولها، ومؤسسيها، وبناتها، والذين نسجوا حبائلها وحبائكها لاصطياد الأمة الإسلامية المجيدة، نعم! إنها هي كما قال، ثم ماذا؟

ثم بعد تسويد صفحات ستة يقول:

«إن قضية ابن سبأ قد لاقت هوى في قلوب كثير من الكتّاب المستشرقين وغيرهم فأحاطوها بعناية خاصة، ومنحوها مزيدًا من البيان فأسبغوا عليها ألفاظًا براقة خلابة دبجتها أقلامهم وصاروا يكررونها ويرددونها ترديد المؤمن بصحتها، الواثق بوقوعها، وكأنها من الحقائق التي لا تقبل التشكيك» [«الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» ص٤٦٣].

نعم إنها من الحقائق التي لا تقبل التشكيك، ولكنه يريد أن يبني عمارته على الرمال ومثلها لا تقوم، وبعد الكلام الطويل يقول: ربما يظن أن لهذه القضية مصدرًا موثوقًا به نظرًا لشهرتها وانتشارها، في عدة كتب من كتب التاريخ والأدب، ولكن كل ذلك لم يكن، وليس لها أي مصدر يمكن الركون إليه كما سنبينه إن شاء الله.

[«الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» ص٣٦٤].

ونحن لا نملك إلا أن نمشي معه قائلاً: يا أستاذ! اترك كل هذا وبيّن؟

ولكنه لا يريد أن يترك، ثم يمشي في الهواء ويطير في الفضاء إلى أن يضيع صفحات

أربعة أخرى حتى يعنون بعنوان «المصدر» فيكتب: «نرى أنفسنا ملزمين بأن نستعرض مصدر هذه القصة، ونقف على المنبع الذي استقى منه الكتّاب معلوماتهم عنها، لأنا قد وجدنا بعض الكتّاب ممن يميل إلى التشكيك في صحتها، ولكنهم لا يستطيعون أن يقولوا ذلك بصراحة لأنهم يظنون أنها متعددة الروايات متواترة عن الثقات، من المؤرخين، الأمر الذي يدعو إلى عدم طرحها ولكنه ينفي المبالغات التي فيها.

[«الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» ص٢٦٨].

ثم وبعد تمهيد آخر أخذ فيه صفحة كاملة [قصدًا ذكرنا هذه الصفحات وهذه الأرقام حتى يعرف نفسية القائل، فعلماء النفس يقولون: إن الضعيف والكاذب لا يستطيع أن يأتي رأسًا إلى المقصود لأنه يعرف الضعف والكذب الذي يحاول أن يكتمه، ففي كتمانه يلف يمينًا ويسارًا حتى يطمّن نفسه أولاً بأنه استطاع إبعاد الضعف بهذا اللف والدوران، وأما الصادق والقوي فلا يحتاج إلى ذلك، بل يباشر المقصود بلا تردد والتفاتة يمينًا ويسارًا] يقول:

نعم! المصدر الأول لهذه القضية ولم يسبقه أحد [ينبغي الانتباه والمراعاة لهذه الكلمة لأنها مقصودة، وهي أساس البناء، ولينظر بأنه كيف تحكم بالقول وتجبر] إلى ذكرها هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ صاحب التفسير الكبير، ومؤلف تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري. وهو المصدر الوحيد لهذه القصة وجميع ما يتعلق بأخبار عبد الله بن سبأ.

وأخذ عن ابن جرير كل من ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ وابن كثير المتوفى سنة ٧٧٣ وابن خلدون المتوفى سنة ٨٠٨ وغيرهم [ص٤٦٩].

وبعد هذا أراد الأستاذ أسد أن يحمل مشقة البحث والنقد في ثقة الطبري ومن نقل عنهم الشهادة في كتابه في ٢٤ صفحة تقريبًا بعد ما ضيع في التمهيد ١٤ صفحة.

فنحن نقول له: «يا من نهجت منهج الاستقامة والإنصاف والتدبر في النقد والاتزان» [انظر صفحة ٤٩٢ من هذا الكتاب حيث يختم البحث].

لا نكلفك كل هذا العناء، ولا نحملك كل هذا الثقل، ونغنيك عن المشقة والتعب

من النظر في كتب الرجال والإسناد [وإن أنصف الأستاذ وأمعن نظره في كتب الرجال مذهب ثلاثة أرباع مذهبه على أدراج الرياح لأنه ما قام إلا على الأساطير والقصص والأوهام والأفكار المستوردة، ولم ينقله إلا الكذابون الأفاكون الذين اشتكى عنهم أئمتهم وصلحاء أهل البيت وسادتهم، وإليك رواية واحدة منهم، ينقل الكشي عن أبي الحسن الرضا - الإمام -«كان بنان يكذب على علي بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان مغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان محمد بن بشير يكذب على أبي الحسن موسى عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، والذي يكذب على عبد الله أذاقه الله حر الحديد، والذي يكذب على محمد بن فرات، قال أبو يحيى: وكان محمد بن فرات من الكتاب فقتله إبراهيم بن شكلة» (رجال الكشي ص٢٥٦ ط كربلاء)]، ونختصر عليك الطريق ومن سبقك في هذا القول وتبعك، فنقول له ما قلناه سابقًا للسيد صاحب نقاب س-خ ومن معه: بأننا نحن حينما ننقل لا ننقل من الطبري، وغير الطبري، ابن الأثير وابن الكثير بل ننقل عن النوبختي، وإن النوبختي قطعًا لا ينقل عن الطبري، ولا أحد من الشيعة اتهمه بذلك، وهو وإن لم يتقدم عنه فليس بمتأخر عنه وهو معاصر لثابت بن قرة المتوفى سنة ٢٨٨هـ]مقدمة «فرق الشيعة» للنوبختي ص١٤ ط نجف] وهو المدار والمحور لجميع من كتب من الشيعة في الفرق، وثم ننقل أيضًا عن الرجالي الشيعي المتعصب السباب اللعان على المخالفين، المشهور بالكشي المعاصر لابن فولديه المتوفى ٣٦٩، وكتابه أهم الكتب وأولها في الرجال «ومن الأصول الأربعة التي عليها المعول في هذا الباب» [مقدمة رجال الكشي ص٤].

ولقد تبعها في ذكر عبد الله بن سبأ بدون إنكار ولا ترديد كل من الطوسي الملقب بشيخ الطائفة في رجاله، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة، والحلي في خلاصته، والقمي في تحفة الأحباب، والخوانساري في روضات الجنات، والمامقاني في تنقيح المقال، والمرزه في ناسخ التواريخ، والتشتري في قاموس الرجال، والعباسي القمي في الكنى والألقاب، وغيرهم الكثيرون الكثيرون وكلهم أخذوا من غير الطبري، فلم يكلف الأستاذ نفسه؟ ولم يتكلف بأن يبحث في الطبري وعقيدته، وسنده؟

ولنسهل على الأستاذ ومن والاه في هذا الزمان، الزمان الذي أخبر عنه المرتضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه «سيأتي عليكم بعدي زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق ولا أظهر من الباطل» [«نهج البلاغة» ص٨٢ ط دار الكتاب بيروت].

نعم! نسهل عليهم وعلى غيرهم أن عبد الله بن سبأ ذكر وقبل أن يذكره الطبري في تاريخه.

فها هو الثقفي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي الشيعي المتعصب الذي صنف أكثر من خمسين كتابًا لرواج مذهبه وترويج مسلكه يذكر في كتابه «الغارات» الذي يعدّ من أهم مراجع القوم، وقد أكثر الرواية منه ابن أبي الحديد، والحلي، والمجلسي، والحر العاملي، والنوري، والقمي، والشيرازي، والخوئي، والمرزه محمد تقي المامقاني وغيرهم [انظر مقدمة «الغارات» ص خط].

يذكر في كتابه هذا: «عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه جندب قال: دخل عمرو بن الحمد وحجر بن عدي وحبة العوفي والحارث الأعور وعبد الله بن سبأ [كلهم قتلة الإمام المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه] على أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما افتتحت مصر وهو مغموم فقالوا له: بيّن ما قولك في أبي بكر وعمر؟ فقال علي عليه السلام: وهل فرغتم لهذا، وهذه مصر قد افتتحت، وشيعتي بها قد قتلت؟ أنا مخرج إليكم كتابًا أخبركم فيه عما سألتم وأسألكم أن تحفظوا من حقي ما ضيعتم، فاقرؤوه على شيعتي، وكونوا على الحق أعوانًا» [«الغارات» للثقفي ص٣٠٢، ٣٠٣ ج١ ط انجمن آثار ملى إيران].

والمعروف أن الطبري ألف تاريخه وجمعه بعد الثلاثمائة من الهجرة، وأما الثقفي فقد ألف كتابه هذا قريبًا من الخمسينات بعد المأتين من الهجرة وكانت وفاته سنة ٢٨٣هـ تقريبًا، وهو شيعي متعصب مشهور، روى القوم عن تشيعه وتصلبه روايات وحكايات عديدة [من أراد الاطلاع عليها فلينظر إلى ترجمته في كتاب رجال القوم، أو مقدمة الكتاب].

فالكتاب كتابكم والمحقق هو المحدث الشيعي المعاصر المشهور، والطابع مطبعة شيعية، ونشرته لجنة شيعية المكونة لنشر كتب القوم.

فهل بعد هذا يحتاج ذلك إلى الرد بأن المصدر الأول لهذه القضية ولم يسبقه أحد إلى ذكرها هو أبو جعفر الطبر وهو المصدر الوحيد لهذه القصة، وههنا أحب أن أتمثل بعجز الشعر الفارسي، وأثبته أصلاً.

اين كناهيست كه در شهر شما نيز كنند

إن كانت هذه جريمة فمرتكبوها من بلدتكم أنتم، ولنعم ما قيل.

وأخيرًا نقول للأساتذة أصحاب الغيرة والنخوة من الشيعة الذين يرون أن هذا العار قد لحقهم، وهذه الوقاحة والشتيمة لزمتهم فكلما يذكر مذهبهم يذكر بأن مؤسسها عبد الله بن سبأ نقول لهم: ننشدكم بالله ألا تنكرون وجوده وشخصيته تقية [ومن أراد الاستزادة في ذلك فليراجع كتابنا «الشيعة والسنة» فإن فيه ما يكفي للباحث ويروي الغليل، ويشفي العليل، ولا جواب عليه بفضل الله ومنّه وكرمه] خوفًا من الفضيحة وكشف الحقيقة؟ لأنكم «على دين من كتمه أعزه الله، ومن اذاعه أذله الله».

[«الكافي في الأصول» باب التقية ج٢ ص٢٢٢ ط إيران].

ونسبتم إلى محمد الباقر – الإمام الخامس المعصوم لديكم – أنه قال: التقية في كل ضرورة [ثم وكيف يجترئ من جعل نفسه محاكمًا في كتابه «كتاب الشيعة والسنة في الميزان» بقوله: والتقية التي دل عليها العقل والنقل، هي من الوضوح بحيث لا تحتاج إلى الشرح والتوضيح. وأي عقل يقول لإنسان يواجه ذئبًا كاسرًا ثم يقول له: تقدم لهذا الذئب الكاسر واعرض نفسك أمامه وأنت أعزل لا سلاح لديك، أترى أن مثل هذا لو فعل مثل هذه الفعلة، أتراهم لا يقولون إنه انتحر وأهلك نفسه من دون غاية شريفة يقره عليها العقل ويرتضيها الشرع والعرف [ص٤٣].

وأيضًا: «إن هذا الباكستاني وأمثاله ممن شتموا الشيعة لقولهم بالتقية، لو أنصفوا لنزلوا باللائمة على من ألجأهم إلى التقية، وعلى تلك المظالم التي أيدوها في كثير من العصور الإسلامية. إنهم لو فعلوا ذلك لكانوا بفعلهم أقرب إلى شريعة الإسلام المليئة بالعطف والإحسان والرحمة. ولكن كيف يفعلون ذلك ويلومونهم على ظلمهم وهم ما زالوا يرقصون على نغمهم، وينتشون من بقايا أسلافهم، ويتمرغون أمام رغباتهم، بالرغم من ذهابهم وذهاب مظالمهم. ولم يأسف هذا الباكستاني وأمثال إلا بكونه لم يشترك في تلك المظالم التي سبح بها خلفاؤه الجلادون وغاصوا بها إلى الآذان وهم في

كل ذلك يعيشون في القرن العشرين، قرن الحريات والمساواة ولكن أرواحهم ما زالت منغمسة في قرن الجهالات والضلالات (ومن أحب عمل قوم حشر معهم). رحم الله صديقنا المرحوم العلامة الشيخ محمد رضا المظفر حيث قال في كتابه القيم (عقائد الإمامية) الذي رجونا أن يقرأه المسلمون في أقطار الأرض ويعرفوا الشيعة وعقائدهم ومبانيهم وإخلاصهم الديني وحبهم للإسلام والمسلمين.

يقول رحمه الله: «إن عقيدتنا في التقية قد استغلها من أراد التشنيع على الإمامية فجعلوها من جملة المطاعن فيهم، وكأنهم كان لا يشفي غليلهم إلا أ تقدم رقابهم إلى السيوف لاستئصالها عن آخرهم في تلك العصور التي يكفي فيها أن يقال هذا رجل شيعي ليلاقي حتفه على يد أعداء آل البيت من الأمويين والعباسيين بله العثمانيين».

[ص٤٥، ٤٦].

فيا ليت كيف يعرف من الصادق منهما؟ التابع أو المتبوع، الإمام المعصوم أم المؤتم الأثيم؟ وصاحبها أعلم بها حين تنزل به [«الكافي في الأصول» باب القية ج٢].

وإلا هل هنالك شك لشاك وريب لمرتاب أنه كان، وعقائده لا زالت كائنة موجودة عند القوم يحفظونها ويتشبثون بها ويعتقدونها ويعملون بها، فالله الهادي إلى سواء السبيل، ولقد أردنا أن نفرد لعبد الله بن سبأ مختصرًا إن شاء الله ويسّر، فبيده التوفيق] - ثم يمدحه حسب عادته أنه لا يذكره إلا ويبالغ في مدحه - وتولى عمر الأمر، وكان مرضي السيرة، ميمون النقيبة [«الغارات» للثقفي ج١ ص٣٠٧، والنقيبة هي النفس، وقيل: الطبيعة «رجل ميمون النقيبة مبارك النفس، مظفر بما يحاول» كما قال ابن منظور الأفريقي، وقال ابن السكيت: إذا كان ميمون الأمر ينجح فيما حاول ويظفر، وقال ثعلب: إذا كان ميمون المشورة، وفي حديث مجدي بن عمرو: إنه ميمون النقيبة أي متنجح الفعال، مظفر المطالب» (لسان العرب لابن منظور الأفريقي ج١ ص٧٦٨)].

أي لم نتأخر في بيعته، ولم نبخل بالسمع والطاعة والمناصحة، لأن سيرته كانت طيبة، ونفسه كان ميمونًا مباركًا، ناجحًا في أفعاله، مظفرًا في مطالبه.

ولقد أثبت هذا الطوسي شيخ الطائفة لدى القوم في أماليه حيث يروى عن علي بن

أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: «فبايعت عمر كما بايعتموه، فوفيت له بيعته حتى لما قتل جعلني سادس ستة، ودخلت حيث أدخلني» [«الأمالي» للطوسي ج٢ ص١٢١ ط نجف].

فبايعه علي بن أبي طالب، وسمعه، وأطاعه، وناصحه، ورضي بما أمر به، ودخل اللجنة التي جعلها لانتخاب الخليفة منها، وكان وزيره ومشيره وقاضيه، ولقد ذكرنا مواقع عديدة استشار فيها الفاروق من مستشاريه، وكان من بينهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعمل بمشورة فيها دون غيره كما ذكر اليعقوبي المؤرخ الشيعي:

«إن عمر شاور أصحاب رسول الله في سواد الكوفة، فقال له بعضهم: تقسمها بيننا، فشاور عليًا، فقال: إن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء! ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا. فقال: وفقك الله! هذا الرأي».

[«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١٥١، ١٥٢].

وكذلك وردت الروايات الكثيرة في المسائل القضائية أن عليًّا كان في طرف والباقين في جانب آخر فرجح الفاروق قضاء عليّ ورأيه، ولقد بوب المفيد الملقب بالشيخ بابًا مستقلاً بعنوان «ذكر ما جاء من قضاياه في إمرة عمر بن الخطاب» وأورد تحته قضايا مختلفة كثيرة حكم فيها عمر بقضاء علي رضي الله عنهما، ومنها:

«إن عمر أتي بحامل قد زنت فأمر برجمها فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: هب أن لك سبيلاً عليها أي سبيل لك على ما في بطنها والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فقال عمر: لا عشت لمعضلة لا يكون لها أبو الحسن ثم قال: فما أصنع بها؟ قال: احتط عليها حتى تلد، فإذا ولدت ووجدت لولدها من يكفله فأقم عليها الحد، فسرى بذلك عن عمر وعول الحكم به على أمير المؤمنين عليه السلام».

[«الإرشاد» ص١٠٩].

وأيضا ذكر المفيد:

إنه استدعى امرأة كانت تتحدث عندها الرجال، فلما جاءها رسله فزعت وارتاعت وخرجت معهم فأملصت ووقع إلى الأرض ولدها يستهل ثم مات فبلغ عمر ذلك فجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألهم عن الحكم في ذلك فقالوا

بأجمعهم: نراك مؤدبًا، ولم ترد إلا خيرًا، ولا شيء عليك في ذلك وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلم في ذلك، فقال له عمر: ما عندك في هذا يا أبا الحسن؟ فقال: قد سمعت ما قالوا: قال: فما عندك؟ قال: قد قال القوم ما سمعت، قال: أقسمت عليك لتقولن ما عندك، قال: إن كان القوم قاربوك فقد غشوك وإن كانوا ارتاؤا فقد قصروا الدية على عاقلتك لأن قتل الصبى خطأ تعلق بك فقال: أنت والله نصحتني من بينهم والله لا تبرح حتى تجري الدية على بني عدي ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام.

[«الإرشاد» ص١١٠].

وأيضًا: «عن يونس عن الحسن أن عمر أتى بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ ويقول جل قائلاً: ﴿۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ﴾ فإذا تمت المرأة، الرضاعة سنتين، وكان حمله وفصاله ثلاثين شهرًا، كان الحمل منها ستة أشهر، فخلى عمر سبيل المرأة وثبت الحكم بذلك فعمل به الصحابة والتابعون ومن أخذ عنه إلى يومنا هذا».

[«الإرشاد» ص١١٠].

وأيضًا: «إن امرأة شهد عليها الشهود أنهم وجدوها في بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها، فأمر عمر برجمها وكانت ذات بعل، فقالت: اللهم إنك تعلم أني بريئة، فغضب عمر وقال: وتجرح الشهود أيضًا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ردوها واسألوها فلعل لها عذرًا، فردت وسئلت عن حالها فقالت: كان لأهلي إبل فخرجت في إبل أهلي وحملت معي ماء ولم يكن في إبل أهلي لبن وخرج خليطنا وكان في إبله لبن، فنفذ مائي فاستسقيته فأبى أن يسقيني حتى أمكنه من نفسي فأبيت، فلما كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرها، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله أكبر ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ﴾ فلما سمع ذلك عمر خلى سبيلها. [«الإرشاد» ٣١٢].

وعمل الفاروق في جميع هذه القضايا بقضاء عليّ، ونفّذ ما قاله لأنه كان يقول حسب رواية شيعية: علي أقضانا [«الأمالي» للطوسي ج١ ص٢٥٦ ط نجف].

فهذه قضاءاته، وتلك مشوراته، أفبعد هذا يمكن القول بأن عليًا كان يخالف عمر رضي الله عنهما، أو كان بينهما شيء؟، حتى ويقال إنه لم يبايعه هو وذووه.

فهل يتصور أن شخصًا لا يعترف ولا يقرّ بولاية أحد وخلافته ثم يشترك في الشورى في المسائل المهمة والنوائب الملمة، ويبدي رأيه الصائب، ويؤخذ بقوله ويقضي بين الناس، وينفذ قضاؤه؟

وأكثر من ذلك وأصرح ما ورد أنه لم يكن قاضيًا ومشيرًا ووزيرًا لصهره ونائب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين وخليفة المسلمين عمر بن الخطاب فحسب، بل كان نائبًا له في الحكم والحكومة فأنابه عمر سنة ١٥ من الهجرة لما استمد أهل الشام عمر على أهل فلسطين وشاور أصحابه فمنعه علي، وقال له: لا تخرج بنفسك، إنك تريد عدوًا كلبًا، فقال عمر: إني أبادر بجهاز العدو موت العباس ابن عبد المطلب إنكم لو فقدتم العباس لينقض بكم الشر - فانظر حب الفاروق لأهل بيت النبي وخاصة لعمه - كما ينتقض الحبل [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٢ جزء ٨ ص٣٧٠].

فشخص عمر إلى الشام.

«وإن عليًا عليه السلام هو كان المستخلف على المدينة» [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٢ جزء ٨ ص٣٧٠].

هذا ولقد ذكر المؤرخون أن الفاروق رضي الله عنه أناب المرتضى رضي الله عنه ثلاث مرات في الحكم وعلى عاصمة المؤمنين سنة ١٤ من الهجرة عندما أراد غزو العراق بنفسه. وسنة ١٥ عند شخوصه لقتال الروم [البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٥ وص٥٥ ط بيروت، أيضًا «الطبري» ج٤ ص٨٣، وص١٥٩ ط بيروت].

وعند خروجه إلى أيلة سنة ١٧ من الهجرة [الطبري].

ولأجل ذلك قال علي رضي الله عنه لما عزموا على بيعته: «أنا لكم وزيرًا خير لكم مني أميرًا» [نهج البلاغة ص١٣٦ تحقيق صبحي].

يشير بذلك إلى وزارته أيام الصديق وخاصة عصر الفاروق رضي الله عنه.

ولأجل ذلك كان يقاتل هو وبنوه وأهله وذووه تحت رايته، ويقبلون منه الغنائم والهدايا والجواري والسبايا، ولو لم يكن خلافته حقًا لما كان القتال تحت رايته جهادًا، ولم يكن الجواري والإماء جواريًا وإماءً، ولم يجز قبولها والتمتع بها، وقد ثبت هذا كله كما ذكرناه سابقًا، وكما روى الشيعة أن حسن بن علي سبط رسول الله عليه الصلاة والسلام قاتل تحت لواء الفاروق، وجاهد أيام خلافته وتحت توجيهاته وإرشاداته في الجيش الذي أرسل إلى غزو إيران ويقولون: «إن في أصفهان مسجدًا يعرف بلسان الأرض! ولقد سمي بهذا الاسم لأن حضرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام لما جاء إلى أصفهان أيام خلافة عمر بن الخطاب مجاهدًا في سبيل الله غازيًا وفاتحًا لهذه البلاد مع عساكر الإسلام نزل في موضع هذا المسجد فكلمت معه الأرض فسميت هذه البقعة لسان الأرض لتكلمها معه» [«تتمة المنتهى» للعباس القمي ص٣٩٠ ط إيران].

وهذا وذلك دليل صدق على ما قلناه.

وأخيرًا نريد أن نختم هذا البحث على مظهر يدل دلالة واضحة على حب أهل البيت الفاروق الأعظم رضوان الله عليهم أجمعين، وذلك المظهر هو تسمية أهل البيت أبنائهم باسم الفاروق عمر، حبًا وإعجابًا بشخصيته، وتقديرًا لما أتى به من الأفعال الطيبة والمكارم العظيمة، ولما قدم إلى الإسلام من الخدمات الجليلة، وإقرارًا بالصلات الودية الوطيدة والتي تربطه بأهل بيت النبوة، والرحم، والصهر القائم بينه وبينهم.

فأول من سمى ابنه باسمه الإمام الأول المعصوم الذي لا يخطئ حسب معتقد القوم، ولقد سمى ابنه من أم حبيب بنت ربيعة البكرية التي منحها الصديق أبو بكر رضي الله عنه، عمر كما ذكر المفيد واليعقوبي والمجلسي والأصفهاني وصاحب الفصول، فيقول المفيد في باب «ذكر أولاد أمير المؤمنين وعددهم وأسماءهم: فأولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولدًا ذكرًا وأنثى (١) الحسن (٢) الحسين ....(٦) عمر (٧) رقية كانا توأمين أمهما أم حبيب بنت ربيعة» [«الإرشاد» للمفيد ص١٨٦].

ويقول اليعقوبي: «وكان له من الولد الذكور أربعة عشر ذكرًا الحسن والحسين ومحسن مات صغيرًا، أمهم فاطمة بنت رسول الله ..... وعمر، أمه أم حبيب بنت ربيعة البكرية» [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص٢١٣، كذلك «مقاتل الطالبين» ص٨٤ ط بيروت].

وأما المجلسي فيذكر «عمر بن علي من الذين قتلوا مع الحسين في كربلاء، وأمه أم البنين بنت الحزام الكلابية» [«جلاء العيون» فارسي، ذكر من قتل مع الحسين بكربلاء ص٥٧٠].

وصاحب الفصول يقول تحت ذكر أولاد علي بن أبي طالب: «وعمر من التغلبية، وهى الصهباء بنت ربيعة من السبي الذي أغار عليه خالد بن الوليد بعين التمر، وعمّر عمر هذا حتى بلغ خمسة وثمانين سنة فحاز نصف ميراث علي عليه السلام، وذلك أن جميع إخوته وأشقائه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا جميعهم قبله مع الحسين عليه السلام - يعني أنه لم يقتل معهم - بالطف فورثهم» [«الفصول المهمة» منشورات الأعلمي طهران ص١٤٣، «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» ص٣٦١ ط نجف، «تحفة الإهاب» ص٢٥١، ٢٥٢، «كشف الغمة» ج١ ص٥٧٥].

هذا وتبعه الحسن في ذلك الحب لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسمى أحد أبنائه عمر أيضًا.

يكتب المفيد في باب «ذكر ولد الحسن بن علي عليهما السلام وعددهم وأسماؤهم».

«أولاد الحسن بن علي عليه السلام خمسة عشر ولدًا ذكرًا وأنثى (١) زيد .... (٥) عمر (٦) قاسم (٧) عبد الله أمهم أم ولد» [«الإرشاد» ص١٩٤، «تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص٢٢٨، «عمدة الطالب» ص٨١، «منتهى الآمال» ج١ ص٢٤٠ «الفصول المهمة» ص١٦٦].

ويقول المجلسي:

«كان عمر بن الحسن ممن استشهد مع الحسين بكربلاء» [«جلاء العيون» ص٥٨٢].

ولكن الأصفهاني يرى أنه لم يقتل، بل كان ممن أسر فيقول:

«وحمل أهله (الحسين بعد قتله) أسرى وفيهم عمر، وزيد، والحسن بنو الحسن بن علي بن أبي طالب» [«مقاتل الطالبين» ص١١٩].

وابنه الثاني من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسين رضي الله عنه أيضًا سمى أحد أبنائه باسم عمر، كما ذكر المجلسي تحت ذكر من قتل من البيت مع الحسين بكربلاء «قتل من أبنائه الحسين كما هو المشهور علي الأكبر، وعبد الله الذي استشهد في حجره، وبعضهم قالوا: أيضًا قتل من أبنائه هو عمر وزيد».

[«جلاء العيون» للمجلسي ص٥٨٢].

هذا ومن بعد الحسين ابنه علي الملقب بزين العابدين سمى أحد أبنائه أيضًا باسم عمه وزوجه عمته وصديق جده، عمر، كما ذكر المفيد في باب «ذكر ولد علي عليه السلام» قال: ولد علي بن الحسين عليهما السلام خمسة عشر ولدًا (١) محمد المكنى بأبي جعفر الباقر عليه السلام أمه أم عبد الله بنت الحسن ... (٦) عمر لام ولد» [«الإرشاد» ص٢٦١، «كشف الغمة» ج٢ ص١٠٥، «عمدة الطالب» ص١٩٤، «منتهى الآمال» ج٢ ص٤٣، «الفصول المهمة» ص٢٠٩].

وأما الأصفهاني فيذكر أن عمر هذا كان من أشقاء زيد بن على من أمه وأبيه كما يقول تحت ترجمة زيد بن على: وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب .... وأمه أم ولد أهداها المختار بن أبي عبيدة لعلي بن الحسين فولدت له زيدًا وعمر وعليًا وخديجة .... اشترى المختار جارية بثلاثين ألفًا، فقال لها: أدبري فأدبرت، ثم قال لها: أقبلي فأقبلت، ثم قال: ما أدري أحدًا أحق بها من علي بن الحسين فبعث بها إليه وهى أم زيد ابن على [«مقاتل الطالبين» ص١٢٧].

والجدير بالذكر أن كثيرًا من أولاد عمر هذا خرجوا على العباسيين مع من خرج من أبناء عمومتهم [«وتفاصيلهم موجودة في «المقاتل» وغيره من كتب هذا النوع].

وكذلك موسى بن جعفر الملقب بالكاظم - الإمام السابع لدى القوم - سمى أحد أبنائه باسم عمر كما ذكر الأربلي تحت عنوان أولاده [«كشف الغمة» ص٢١٦].

فهؤلاء الأئمة الخمسة المعصومون لدى القوم يظهرون لعمر الفاروق ما يكنونه في صدورهم من حبهم وولائهم له وبعد وفاته بمدة.

أوَ هناك مظهر أكبر من هذا المظهر على ودهم وإخلاصهم لشخصية إسلامية فذة، وعبقري لم يفر أحد فريه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وبعد هؤلاء الوجوه جرى هذا الاسم في أولادهم كما ورد ذكر أولئك في كتب الأنساب والتاريخ والسير، وأورد بعضًا منها الأصفهاني في «المقاتل» والأربلي في «كشف الغمة» يقول الأصفهاني:

فمن الذين خرجوا طلبًا للحكم والحكومة من الطالبيين مثل يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي خرج أيام المستعين.

[«مقاتل» ص٦٣٩].

وعمر بن إسحاق بن الحسن بن علي بن الحسين «الذي خرج مع الحسين المعروف بصاحب فخ أيام موسى الهادي» [«مقاتل الطالبين» للأصفهاني ص٤٠٦ ط بيروت].

و«عمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن الحسن» [«مقاتل الطالبين» أيضًا ص٤٤٦].

إلى يومنا هذا غير الشيعة منهم.

ولكننا اكتفينا بالخمسة الأول لما لهم حجة على القوم لقولهم بعصمتهم وإمامتهم، فهذا هو موقف أهل البيت من صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عمر الفاروق الأعظم، رضي الله عنهم أجمعين، مثل الصديق رضي الله عنه كانوا يجلونه، ويوقرونه، ويعظمونه، ويوالونه، ويتولونه، ويخلصون له الوفاء والطاعة، ويحيون اسمه بعده بتسمية أبنائهم باسمه، ويصاهرونه، ويتقربون إليه.

* * *

موقف أهل البيت من ذي النورين

وأما ذو النورين ثالث الخلفاء الراشدين، وصاحب الجود والحياء، حب رسول الله وزوج ابنتيه رقية وأم كلثوم، وعديم النظير في هذا الشرف الذي لم ينله الأولون ولا الآخرون في أمة من الأمم، وعديل علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين، وأول مهاجر بعد خليل الله عليه السلام، الذي حمل راية الإسلام وأداها إلى آفاق لم تبلغ إليها من قبل، وفتح على المسلمين مدنًا جديدة وبلادًا واسعة شاسعة، وأمد المسلمين من جيبه الخاص بإمدادات كثيرة، وشرى لهم بئر رومة حينما لم يكن لهم بئر يستقون منها الماء بعد هجرتهم إلى طيبة التي طيبها الله بقدوم صاحب الرسالة صلوات الله وسلامه عليه، كما اشترى لهم أرضًا يبنون عليها المسجد الذي هو آخر مساجد الأنبياء.

ولم يكن إمداداته هذه ومساعداته لعامة المسلمين ومصالحهم الاجتماعية مثل تجهيز جيش العسرة وغيرها فحسب بل كان خيرًا، جوادًا، كريمًا، منفقًا الأموال وناثرها وحتى على الخاصة كما كان على العامة.

وهو الذي ساعد - الإمام المعصوم الأول الذي يعدونه أفضل من الأنبياء والمرسلين، وملائكة الله المقربين.

* * *

الأئمة أفضل من الأنبياء والمرسلين

يقول محمد بن الحسن الصفار في بصائر الدرجات عن عبد الله بن الوليد السمان قال: قال لي أبو الجعفر عليه السلام: يا عبد الله! ما تقول الشيعة في علي وموسى وعيسى؟ قلت: جعلت فداك، وعن أي حالات تسألني؟ قال: أسألك عن العلم، قال: هو والله أعلم منهما، قال: يا عبد الله! أليس يقولون إن لعلي ما لرسول الله (ص) من العلم قلت: نعم! قال: فخاصمهم فيه أن الله قال لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ فأعلمنا أنه لم يبين له الأمر كله، وقال الله تبارك وتعالى لمحمد (ص): ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وعن علي بن إسماعيل عن محمد بن عمر الزيات قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أي شيء تقول الشيعة في موسى وعيسى وأمير المؤمنين عليهم السلام؟ قلت: يزعمون أن موسى وعيسى أفضل من أمير المؤمنين قال: أيزعمون أن أمير المؤمنين علم ما علم رسول الله (ص)؟ قلت: نعم، ولكن لا يقدمون على أولي العزم من الرسل أحدًا، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام فخاصمهم بكتاب الله قلت: في أي موضع منه؟ قال: قال الله لموسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾، وقال الله لعيسى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾: وقال تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، وعن علي بن محمد..... قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن الله خلق أولي العزم من الرسل، وفضلهم بالعلم، وأورثنا علمهم، وفضلنا عليهم في علمهم، وعلم رسول الله ما لم يعلموا، وعلمنا علم الرسول وعلمهم».

[نقلاً عن «الفصول المهمة» للحر العاملي ص١٥١، ١٥٢].

وأيضًا يروي ابن بابويه القمي في كتابه عيون أخبار الرضا: «عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي عليهم السلام أن جبريل هبط على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد! إن الله جل جلاله يقول: لو لم أخلق عليًا عليه السلام لما كان لفاطمة ابنتك كفؤ على وجه الأرض آدم فمن دونه» [عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٢٥].

وعلق عليه السيد لاجوردي بقوله: «وقد استدل بعض المحققين بهذه الفقرة من الحديث على أفضليتهما عليهما السلام على جميع الأنبياء» [أيضًا].

وقد أدرج الحر العاملي هذه الرواية عن الطوسي في التهذيب تحت باب عنوانه: «باب أن النبي والأئمة الاثنى عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء والملائكة وغيرهم [انظر الفصول المهمة ص١٥١ ط قم إيران].

وذكر تحت ذلك رواية أخرى عن الرضا أيضًا: «قال رسول الله (ص): ما خلق الله خلقًا أفضل مني ولا أكرم عليه مني قال علي: فقلت: يا رسول الله! فأنت أفضل أم جبرئيل؟ قال: إن الله فضل أنبيائه لامرسلين على ملائكته المقربين، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين، والفضل بعدي لك يا علي والأئمة بعدك، وإن الملائكة لخدمنا وخدام محبينا - إلى أن قال -: فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه - إلى أن قال -: ثم إن الله تبارك وتعالى خلق آدم، فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيمًا لنا وإكرامًا، وكان سجودهم لله عز وجل عبودية، ولآدم إكرامًا وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلهم أجمعون» [الفصول ص١٥٣، أيضًا عيون أخبار الرضا ج١ ص٢٦٢ تحت عنوان «أفضلية النبي والأئمة على جميع الملائكة والأنبياء عليهم السلام»] علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في زواجه، وأعطاه جميع النفقات كما يقر بذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه بنفسه أني لما تقدمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبًا منه زواج فاطمة قال لي: بع درعك وائتني بثمنها حتى أهيئ لك ولابنتي فاطمة ما يصلحكما، قال علي: فأخذت درعي فانطلقت به إلى السوق فبعته بأربع مائة درهم سود هجرية من عثمان بن عفان، فلما قبضت الدراهم منه وقبض الدرع مني قال: يا أبا الحسن! ألست أولى بالدرع منك وأنت أولى بالدراهم مني؟ فقلت: نعم، قال: فإن هذا الدرع هدية مني إليك، فأخذت الدرع والدراهم وأقبلت إلى رسول الله فطرحت الدرع والدراهم بين يديه، وأخبرته بما كان من أمر عثمان فدعا له النبي بخير [«المناقب» للخوارزمي ص٢٥٢، ٢٥٣ ط نجف، «كشف الغمة» للأربلي ج١ ص٣٥٩، و«بحار الأنوار» للمجلسي ص٣٩، ٤٠ ط إيران].

وعلى ذلك كان ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس يقول: «رحم الله أبا عمرو (عثمان بن عفان) كان والله أكرم الحفدة وأفضل البررة، هجادًا بالأسحار، كثير الدموع عند ذكر النار، نهاضًا عند كل مكرمة، سباقًا إلى كل منحة، حبيبًا، أبيًا، وفيًا: صاحب جيش العسرة، ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم» [«تاريخ المسعودي» ج٣ ص٥١ ط مصر، أيضًا «ناسخ التواريخ» للمرزه محمد تقي ج٥ ص١٤٤ ط طهران].

هذا وقد أشهده رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشهده على زواج علي من فاطمة كما يروون عن أنس أنه قال عليه الصلاة والسلام: انطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان ..... وبعددهم من الأنصار، قال: فانطلقت فدعوتهم له، فلما أن أخذوا مجالسهم قال ..... إني أشهدكم أنى قد زوجت فاطمة من علي على أربعمائة مثقال من فضة. [«كشف الغمة» ج١ ص٣٥٨، أيضًا «المناقب» للخوارزمي ص٢٥٢، و«بحار الأنوار» للمجلسي ج١٠ ص٣٨].

وكفى لعلي فخرًا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجه إحدى بناته فاطمة، وأدخله بذلك في أصهاره وأرحامه، وهذا الذي جعل الشيعة يقولون بأفضلية علي وإمامته وخلافته بعده، فكيف إذا زوج ابنتين لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي زوجه بنتًا بعد بنت؟

وكفى لعثمان فخرًا بأنه كان هو المنفق على هذا الزواج، والمهيئ له الأسباب، وأحد الشهود عليه، كما أنه يكفيه فخرًا بأنه لم ينل في الدنيا أحد مثل ما ناله هو من الشرف والمكانة حيث تزوج من إبنتي النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يوجد له شبيه ونظير في مثل ذلك، لأن عثمان تزوج بنته رقية بمكة، وأيضًا بأمر من الله سبحانه تعالى لأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

وبعد وفاتها زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته الثانية أم كلثوم رضي الله عنها كما يقر ويعترف بذلك علماء الشيعة أيضًا، فها هو المجلسي - وهو الشيعي المتعصب المشهور واللعان السباب المعروف - يذكر ذلك في كتابه «حياة القلوب» نقلاً عن ابن

بابويه القمي بسنده الصحيح المعتمد عليه بقوله:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له من خديجة القاسم، وعبد الله الملقب بالطاهر، وأم كلثوم، ورقية، وزينب، وفاطمة، وتزوج علي من فاطمة، وأبو العاص بن ربيعة من زينب، وكان رجلاً من بني أمية.

المصاهرات بين بني أمية وبني هاشم

وهذا يدل على أنه لم يكن بين بني هاشم وبني أمية من المباغضة والمنافرة والعداوة التي اخترعها وابتكرها أعداء الإسلام والمسلمين، ونسجوا الأساطير والقصص حولها، ولقد رأينا بني أمية مع بني هاشم بالعكس أنهم أبناء أعمام وإخوان، وخلان، بل هم أقرب الناس ما بينهم يتبادلون الحب والأفكار، ويتقاسمون الهموم والآلام، ويمشون ويتماشون جنبًا إلى جنب وحتى نقل علماء الشيعة ومؤرخوها أن أبا سفيان وهو رئيس بني أمية وسيد قومه أيامه كان من كبار أنصار علي، ومؤيدي بني هاشم يوم السقيفة، ولقد ذكر اليعقوبي كان ممن تخلف عن بيعة أبي بكر أبو سفيان بن حرب، وقال: أرضيتم يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم غيركم؟ وقال لعلي بن أبي طالب: امدد يدك أبايعك، وعلي معه قصي، وقال:

بني هاشم لا تطمعوا الناس فيكم	ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكم وإليكم	وليس لها إلا أبو حسن علي
أبا حسن، فاشدد بها كف حازم	فإنك بالأمر الذي يرتجى ملي
وإن امرأ يرمي قصي وراءه	عزيز الحمى، والناس من غالب قصي

[«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١٢٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أيضًا].

ويذكر ابن بابويه القمي أن الأنصار المخلصين لعلي كانوا اثنى عشر رجلاً من المهاجرين والأنصار، وكان واحد من هؤلاء خالد بن سعيد بن العاص الأموي، وادعى هو أمام الملأ.

«والله إن قريشًا تعلم أني أعلاها حسبًا وأقواها أدبًا وأجملها ذكرًا وأقلها غنى من الله ورسوله» [«كتاب الخصال» ص٣٦١].

وكان بين أبي سفيان وبين العباس عم رسول الله وسيد بني هاشم من صداقة يضرب بها الأمثال.

كما كانت بينهم المصاهرات قبل الإسلام وبعده، فلقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بناته الثلاثة من الأربعة من بني أمية من أبي العاص بن الربيع وهو من بني أمية كما مر سابقًا، ومن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، وهو مع ذلك ابن بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي ولدت مع والد رسول الله عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عبد المطلب توأمين «أروى بنت كريز بن حبيب بن عبد شمس وهي أم عثمان رضي الله عنه وأمها أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم» [كتب الأنساب مثل «أنساب الأشراف» للبلاذري ج٥ ص١ ط بغداد، «المحبر» للبغدادي ص٤٠٧ ط دكن، «طبقات ابن سعد» ج٨ ص١٦٦ ط ليدن، «أُسد الغابة» ج٥ ص١٩١، «المستدرك» للحاكم ج٣ ص٩٦ واللفظ له، و«منتهى الآمال» ج١ الفصل التاسع].

هذا ولقد تزوج بعد عثمان بن عفان رضي الله عنه من بني هاشم ابنه أبان بن عثمان «وكانت عنده أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر (الطيار) بن أبي طالب شقيق علي».

[«المعارف» للدينوري ص٨٦].

وحفيدة علي وبنت الحسين سكينة كانت متزوجة من حفيد عثمان زيد بن عمرو بن عثمان رضي الله عنهم أجمعين «وزيد بن عمرو بن عثمان بن عفان هذا هو الذي كانت عنده سكينة بنت حسين، فهلك عنها فورثته» [«نسب قريش» للزبيري ج٤ ص١٢٠، و«المعارف» لابن قتيبة ص٩٤، و«جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ج١ ص٨٦، طبقات ابن سعد ج٦ ص٣٤٩].

وحفيدة علي الثانية وابنة الحسين فاطمة كانت متزوجة من حفيد عثمان الآخر «محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان.... وأمه فاطمة بنت الحسين كان عبدالله ابن عمرو تزوجها بعد وفاة الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب» [«مقاتل الطالبين» للأصفهاني ص٢٠٢، «ناسخ التواريخ» ج٦ ص٥٣٤، «نسب قريش» ج٤ ص١١٤، «المعارف» ص٩٣، «طبقات» ج٨ ص٣٤٨].

ثم تزوجت حفيدة ابن علي، حسن بن علي من حفيد عثمان، مروان بن أبان «وكانت أم القاسم بنت الحسن (المثنى) بن الحسن عند مروان بن أبان بن عثمان بن عفان [وهل هناك دليل أصرح وأكبر من هذا بأن عثمان انتقل إلى جوار رحمة ربه وكان أهل البيت راضين عنه وعن أهل بيته وإلا لم تكن هذه المصاهرات والقرابات والأرحام، فهل من متفكر يتفكر، ومنصف ينصف، ومتدبر يتدبر، أم على قلوب أقفالها؟] فولدت له محمد بن مروان [«نسب قريش» ج٢ ص٥٣، «جهرة أنساب العرب» ج١ ص٨٥، «المحبر» للبغدادي ص٤٣٨].

هذا وكانت أم حبيبة بنت أبي سفيان سيد بني أمية متزوجة من سيد بني هاشم وسيد ولد آدم رسول الله الصادق الأمين كما هو معروف لا نحتاج إلى إثباته من كتاب.

ثم «هند بنت أبي سفيان كانت متزوجة من الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم فولدت له ابنه محمدًا» [«الإصابة» ج٣ ص٥٨، ٥٩، «طبقات ابن سعد» ج٥ ص١٥].

وأيضًا: «تزوجت لبابة بنت عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب، العباس بن علي بن أبي طالب، ثم خلف عليها الوليد بن عتبة (ابن أخ معاوية) بن أبي سفيان» [«المحبر» ص٤٤١، نسب قريش ص١٣٣، «عمدة الطالب» هامش ص٤٣].

وبعدها: «تزوجت رملة بنت محمد بن جعفر - الطيار - بن أبي طالب سليمان بن هشام بن عبد الملك (الأموي) ثم أبا القاسم بن وليد بن عتبة بن أبي سفيان».

[«كتاب المحبر» ص٤٤٩].

وكذلك تزوجت ابنة علي بن أبي طالب رملة من ابن مروان بن الحكم [نعم! مروان بن الحكم الذي جعله الشيعة غرضًا لطعنهم في الإمام المظلوم الشهيد عثمان بن عفان رضي الله عنه، فهذا هو المروان الذي يتزوج ابنه من ابنة علي المرتضى رضي الله عنه - الإمام المعصوم الأول حسب زعمهم -] ابن أبي العاص بن أمية معاوية بن عمران «ورملة بنت علي أنها أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي». [«الإرشاد» للمفيد ص١٨٦].

«وكانت رملة بنت علي عند أبي الهياج..... ثم خلف عليها معاوية بن مروان بن الحكم بن أبي العاص» [«نسب قريش» ص٤٥، «جمهرة أنساب العرب» ص٨٧].

وكذلك زينب بنت الحسن المثنى أمها فاطمة بنت الحسن نجيبة الطرفين «وكانت زينب بنت حسن بن حسن بن علي عند الوليد بن عبد الملك بن مروان (الأموي)» [«نسب قريش» ص٥٢ تحت ذكر أولاد الحسن المثنى، و«جمهرة أنساب العرب» ص١٠٨ تحت ذكر أولاد مروان بن الحكم].

وكذلك تزوجت حفيدة علي بن أبي طالب من حفيد مروان الحكم «ونفيسة بنت زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب تزوجها وليد بن عبد الملك بن مروان فتوفيت عنده، وأمها لبابة بنت عبد الله بن عباس» [«طبقات ابن سعد» ج٥ ص٢٣٤، «عمدة الطالب» في أنساب آل أبي طالب ص٧٠].

هذا ومثل هذه المصاهرات لكثيرة جدًا بين بني أمية وبني هاشم، وقد اكتفينا ببيان بعض منها، وفيها كفاية لمن أراد الحق والتبصر، ولكن من يضلل الله فلا هادي له.

وعلى ذلك كتب علي المرتضى رضي الله عنه في كتاب له إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما «لم يمنعنا قديم عزنا ولا عادي طولنا على قومك، أن خلطناكم بأنفسنا، فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء» [«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص٣٨٦، ٣٧٨ وتحقيق محمد عبده ج٣ ص٣٢].

أو بعد هذا يبقى مجال لقائل أن يقول بأن بين بني أمية وبني هاشم كانت المنافرة والمعاداة والتحاسد والتباغض؟ وهذه الأشياء هي التي تشكلت بعد ذلك بصورة قتال ومشاجرات بين علي وابنه الحسن ومعاوية وابنه يزيد والحسن إلى آخر الكلام مع أن هذا القول لا أصل له ولا أساس.

والمعروف أن بني أمية وبني هاشم كلهم أبناء أب واحد، وأحفاد جد واحد، وأغصان شجرة واحدة قبل الإسلام وبعد الإسلام، كلهم استقوا من عين واحدة ومنبع صاف واحد، وأخذوا الثمار من دين الله الحنيف الذي جاء به محمد رسول الله الصادق الأمين، المعلم، القائل أن لا فرق بين عربي وعجمي، ولا بين أسود وأحمر، ولا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، فليس الفخر بحسب دون حسب ونسب دون نسب من تعليمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من إرشاداته وتوجيهاته، ولا من شأنه ودأبه، وهو القائل في خطبة حجة الوداع حسب رواية شيعية.

«الناس في الإسلام سواء، الناس طف الصاع لآدم وحواء، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي إلا بتقوى الله، ألا هل بلغت؟ قالوا نعم! قال: اللهم اشهد، ثم قال: لا تأتوني بأنسابكم، وأتوني بأعمالكم.... ثم قال: إن المسلم أخو المسلم لا يغشه، ولا يخونه ولا يغتابه، ولا يحل له دمه، ولا شيء من ماله إلا بطيبة نفسه، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد» [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١١٠، ١١١ تحت عنوان حجة الوداع] كما تزوج عثمان بن عفان أم كلثوم وماتت قبل أن يدخل بها، ثم لما أراد الرسول خروجه إلى بدر زوّجه من رقية [«حياة القلوب» للمجلسي ج٢ ص٥٨٨ باب ٥١].

وأورد الحميري رواية عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة. القاسم والطاهر وأم كلثوم ورقية وفاطمة وزينب، فتزوج علي عليه السلام فاطمة عليها السلام، وتزوج أبو العاص بن ربيعة وهو من بني أمية زينبًا، وتزوج عثمان بن عفان أم كلثوم ولم يدخل بها حتى هلكت، وزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانها رقية [«قرب الإسناد» ص٦، ٧].

وروى بمثل هذه الرواية العباس القمي في «منتهى الآمال» عن جعفر الصادق، والمامقاني في «تنقيح الرجال» [«المنتهى» ج١ ص١٠٨، «التنقيح» ج٣ ص٧٣].

وأقر بذلك الشري حيث كتب:

«وما كان عثمان دون الشيخين صحبة ولا سابقة، فهو من المسلمين الموقرين، وهو صهر الرسول مرتين، تزوج ابنة الرسول رقية، وولد له منها ولد، عبد الله توفي وعمره ست سنين وكانت أمه توفيت قبل وفاته، وزوجه النبي بنته الثانية أم كلثوم، فلم تلبث أم كلثوم معه طويلاً وتوفيت في أيام أبيها».

[كتاب «أمير المؤمنين» لمحمد جواد الشيعي تحت عنوان علي في عهد عثمان ص٣٥٦].

ولقد ذكر المسعودي تحت ذكر أولاده صلى الله عليه وسلم:

«وكل أولاده من خديجة خلا إبراهيم وولد له صلى الله عليه وسلم القاسم، وبه كان يكنى وكان أكبر بنيه سنًا، ورقية وأم كلثوم، وكانتا تحت عتبة وعتيبة ابني أبي لهب (عمه) فطلقاهما لخبر يطول ذكره فتزوجهما عثمان بن عفان واحدة بعد واحدة».

[«مروج الذهب» ج٢ ص٢٩٨ ط مصر].

ورداً على من ينكرون رقية وأم كلثوم بنات النبي نذكر رواية من الكليني والعروسي الحويزي تحت باب مولد النبي:

«وتزوج خديجة وهو ابن بضع وعشرين سنة، فولد له منها قبل مبعثه عليه السلام القاسم، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وولد له بعد المبعث الطيب والطاهر وفاطمة عليها السلام» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٤٣٩، ٤٤٠، «نور الثقلين» للعروسي ج٣ ص٣٠٣].

هذا ولقد شهد بذلك علي بن أبي طالب أيضًا كما شهد لعثمان الإيمان والصحبة وعلمًا مثل علمه، ومعرفة مثل معرفته، وسبقًا في الإسلام مثل سبقه، وهذا كله في كلامه الذي قال لعثمان حينما سأله الناس مخاطبته إياه:

«فدخل عليه فقال: إن الناس ورائي وقد استفسروني بينك وبينهم، ووالله ما أدري ما أقول لك! ما أعرف شيئًا تجهله: ولا أدلك على أمر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم. ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه. وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما صحبنا. وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطاب بأولى بالعمل منك، وأنت أقرب إلى أبي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وشيجة رحم منهما، وقد نلت من صهره ما لم ينالا. فالله الله في نفسك! فإنك – والله – ما تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل» [«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص٢٣٤].

فانظر ماذا يقول الخليفة الراشد الرابع عندنا والإمام المعصوم الأول عندهم؟ فهل بعد هذا شك لشاك وريب لمرتاب بأن عليًا أفضل منه وأعلم وأعرف بخفايا الأمور التي جهلها ذو النورين، أو هو أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة وصلة رحم، أو هو يعلم من جهل ويبصر من عمي؟ وهذا بعد إقرار واعتراف من علي بن أبي طالب وشهادة منه رضي الله عنهما.

هذا وقد أنزله رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة الفؤاد كما رووا عنه أنه قال إن أبا بكر مني بمنزلة السمع، وإن عمر مني بمنزلة البصر، وإن عثمان مني بمنزلة الفؤاد» [«عيون أخبار الرضا» ج١ ص٣٠٣ ط طهران].

وهنيئًا له أن يجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنزلة فؤاده، ويروي عنه سبطه

وابن سيدة نساء أهل الجنة فاطمة، حسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين.

[«عيون أخبار الرضا» ج١ ص٣٠٣].

وحسن بن علي أيضًا [«تفسير الحسن العسكري» و«معاني الأخبار» ص١١٠].

ولقد مدحه من أهل البيت غير الحسن والحسين وأبيهما علي بن أبي طالب رضي الله عنهم كما أورد الكليني عن جعفر بن الباقر - الإمام السادس المعصوم عندهم - أنه قال في مدحه، ومبشرًا إياه هو وأتباعه بالجنة قائلاً: ينادي مناد من السماء أول النهار ألا إن عليًا صلوات الله عليه وشيعته هم الفائزون، قال: وينادي مناد آخر النهار ألا إن عثمان وشيعته هم الفائزون [«الكافي في الفروع» ج٨ ص٢٠٩].

ويبين جعفر أيضًا مقام عثمان بن عفان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثقته فيه، ونيابته عنه، وإخلاص عثمان للنبي عليه السلام والوفاء والاتباع الذي لا نظير له كما يبين إحدى الميزات التي امتاز بها عثمان دون غيره، وهو جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى يديه لعثمان، وبيعته بنفسه عنه، وكل ذلك في قصة صلح الحديبية حيث يقول:

فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عثمان بن عفان) فقال: انطلق إلى قومك من المؤمنين فبشرهم بما وعدني ربي من فتح مكة، فلما انطلق عثمان لقي أبان بن سعد فتأخر عن السرج فحمل عثمان بين يديه ودخل عثمان فأعلمهم وكانت المناوشة، فجلس سهيل بن عمرو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس عثمان في عسكر المشركين وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين، وضرب بإحدى يديه على الأخرى لعثمان، وقال المسلمون: طوبى لعثمان قد طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة وأحل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما كان ليفعل، فلما جاء عثمان قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أطفت بالبيت؟ فقال: ما كنت لأطوف بالبيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يطف به، ثم ذكر القصة وما فيها.

[«كتاب الروضة من الكافي» ج٨ ص٣٢٥، ٣٢٦].

وهل هناك إطاعة فوق هذه الطاعة بأن شخصًا يدخل الحرم ولا يطوف بالبيت

لأن سيده ومولاه رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يطف به.

وذكر مثل ذلك المجلسي في كتابه «حياة القلوب» قال: لما وصل الخبر إلى رسول الله بأن عثمان قتله المشركون. قال الرسول: لا أتحرك من ها هنا إلا بعد قتال من قتلوا عثمان فاتكأ بالشجرة، وأخذ البيعة [هنالك وآنذاك نزلت الآية ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [سورة الفتح الآية١٨]، وأيضا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الآية١٠]، لعثمان، ثم ذكر القصة بتمامها.

[«حياة القلوب» ج٢ ص٤٢٤ ط طهران].

فهذا هو الإمام الشهيد المظلوم الثالث رضي الله عنه وأرضاه.

***

مبايعة علي له

وكان علي يرى صحة إمامته وخلافته لاجتماع المهاجرين والأنصار عليه، وكان يعد خلافته من الله رضى، ولم يكن لأحد الخيار أن يرد بيعته بعد ذلك، أو ينكر إمامته حاضرًا كان أم غائبًا كما قال في إحدى خطاباته ردًا على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما: «إنما الشورى للمهاجرين والأنصار، فإن اجتمعوا على رجل وسموه إمامًا كان لله رضى، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى» [«نهج البلاغة» ص٣٦٨ تحقيق صبحي].

وكان هو أحد الستة الذين عينهم الفاروق ليختار منهم خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، ولما بايعه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بعد ما استشار أهل الحل والعقد من المهاجرين والأنصار، ورأى بأنهم لا يريدون غير عثمان بن عفان رضي الله عنه بايعه أول من بايعه، ثم تبعه علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

«فأول من بايع عثمان عبد الرحمن بن عوف ثم علي بن أبي طالب» [«طبقات ابن سعد» ج٣ ص٤٢ ط ليدن، أيضًا «البخاري» باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان].

ويذكر ذلك علي المرتضى رضي الله عنه بقوله: لما قتل (يعني الفاروق) جعلني سادس ستة، فدخلت حيث أدخلني، وكرهت أن أفرق جماعة المسلمين وأشق عصاهم فبايعتم عثمان فبايعته» [«الأمالي» للطوسي ج٢ الجزء١٨ ص١٢١ ط نجف].

وقال: «لقد علمتم أني أحق الناس بها من غيري، والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا على خاصة التماسًا لأجر ذلك وفضله».

[«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص١٠٢].

وكتب تحته ابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي في شرحه أن عبد الرحمن بن عوف قال لعلي: «بايع إذًا وإلا كنت متبعًا غير سبيل المؤمنين ..... فقال: لقد علمتم أني أحق بها من غيري ..... ثم مد يده فبايع».

[ابن أبي الحديد، أيضًا «ناسخ التواريخ» ج٢ كتاب ٢ ص٤٤٩ ط إيران].

وكان من المخلصين الأوفياء له، مناصحًا: مستشارًا، أو قاضيًا كما كان في خلافة الصديق والفاروق، ولقد بوب محدثو الشيعة ومؤرخوها أبوابًا مستقلة ذكروا فيها أقضيته في خلافة ذي النورين رضي الله عنهم أجمعين.

ولقد ذكر المفيد في «الإرشاد» تحت عنوان «قضايا علي في زمن إمارة عثمان» ذكر فيها عدة قضايا حكم بها علي ونفذها عثمان رضي الله عنه فيقول:

«إن امرأة نكحها شيخ كبير فحملت، فزعم الشيخ أنه لم يصل إليها وأنكر حملها، فالتبس الأمر على عثمان، وسأل المرأة هل افتضك الشيخ؟ وكانت بكرًا قالت: لا، فقال عثمان: أقيموا عليها الحد، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إن للمرأة سمين سم للمحيض وسم للبول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم المحيض، فحملت منه، فاسأل الرجل عن ذلك؟ فسئل، فقال: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالإفتضاض فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمل له والولد ولده، ورأى عقوبته على الإنكار فصار عثمان إلى قضائه بذلك وتعجب منه».

[«الإرشاد» ص١١٢، ١١٣ ط مكتبة بصيرتي قم، إيران].

وأيضا «إن رجلاً كانت له سرية فأولدها ثم اعتزلها وأنكحها عبدًا له ثم توفي السيد فعتقت بملك ابنها لها وورث ولدها زوجها، ثم توفي الابن فورثت من ولدها زوجها فارتفعا إلى عثمان يختصمان تقول: هذا عبدي ويقول: هي امرأتي، ولست مفرجًا عنها، فقال عثمان: هذه مشكلة وأمير المؤمنين حاضر فقال عليه السلام: سلوها هل جامعها بعد ميراثها له؟ فقالت: لا، فقال: لو أعلم أنه فعل ذلك لعذبته، اذهبي فإنه عبدك، ليس له عليك سبيل، إن شئت أن تسترقيه أو تعتقيه أو تبيعه فذلك لك».

[«الإرشاد» ص١١٣].

وروى الكليني في صحيحه عن أبي جعفر محمد الباقر أنه قال:

«إن الوليد بن عقبة حين شهد عليه بشرب الخمر قال عثمان لعلي عليه السلام: اقض بينه وبين هؤلاء الذين زعموا أنه شرب الخمر فأمر علي عليه السلام فجلد بسوط له شعبتان أربعين جلدة» [«الكافي في الفروع» ج٧ ص٢١٥ باب ما يجب فيه الحد من الشراب].

وقد ذكر اليعقوبي «إن الوليد لما قدم على عثمان، قال: من يضربه؟ فاحجم الناس لقرابته وكان أخا عثمان لأمه، فقام عليّ فضربه» [«تاريخ اليعقوبي» الشيعي ج٢ ص١٦٥].

ولا يكون هذا الفعل والعمل إلا ممن يقرّ ويصحّح خلافة الخليفة، ويتمثّل أوامر الأمير، ويشارك الحاكم في حكمه، وكان علي بن أبي طالب وأولاده، وبنو هاشم معه، يطاوعون الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ويدل على ذلك قول علي رضي الله عنه لما أراده الناس على البيعة بعد شهادة الإمام المظلوم ذي النورين رضي الله عنه ، المنقول في أقدس كتب القوم «دعوني والتمسوا غيري ... وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم».

[«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص١٣٦].

* * *

ذو النورين وعلاقاته مع أهل البيت

كما يدل على ذلك قبول الهاشميين المناصب في خلافته ومنه كقبول المغيرة بن نوفل بن حارث بن عبد المطلب القضاء [«الاستيعاب»، «أُسد الغابة» «الإصابة» وغيرها].

والحارث بن نوفل أيضًا [«طبقات»، و«الإصابة»].

وقبول عبد الله بن عباس الأمارة على الحج سنة ٣٥ [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١٧٦].

وجهادهم تحت رايته، وفي العساكر والجيوش التي يكونها ويسيرها ويجهزها إلى محاربة الكفار وأعداء الأمة الإسلامية، فاشترك في المعارك الإسلامية سنة ٢٦ من الهجرة إلى أفريقية ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

[«الكامل لابن الأثير» ج٣ ص٤٥].

وإلى برقة وطرابلس وأفريقية كل من الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعمهم ابن عم نبيهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين تحت قيادة عبد الله بن أبي سرح [«تاريخ ابن خلدون» ج٢ ص١٠٣].

واشترك كل من الحسن والحسين وعبد الله بن عباس تحت راية سعيد بن العاص الأموي في غزوات خراسان وطبرستان وجرجان.

[«تاريخ الطبري»، «الكامل لابن الأثير»، «البداية والنهاية»، «تاريخ ابن خلدون»].

وغير ذلك من الغزوات والمعارك.

وكان يهدي إليهم الغنائم والهدايا كما كان يبعث إليهم الجواري والخدام.

ولقد نقل المامقاني عن الرضا - الإمام الثامن المعصوم عندهم - أنه قال: إن عبد الله بن عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجرد ابن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان فوهب إحداهما للحسن والأخرى للحسين فماتتا عندهما نفساوين» [«تنقيح المقال في علم الرجال» للمامقاني ج٣ ص٨٠ ط طهران].

فكان عثمان بن عفان يكرم الحسن والحسين ويحبهما، ولذلك لما حوصر من قبل البغاة، أرسل عليّ ابنيه الحسن والحسين وقال لهما: «اذهبا بسيفكما حتى تقوما على باب

عثمان فلا تدعا أحدًا يصل إليه» [«أنساب الأشراف» للبلاذري ج٥ ص٦٨، ٦٩ ط مصر].

وبعث عدة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أبناءهم ليمنعوا الناس الدخول على عثمان، وكان فيمن ذهب للدفاع عنه ولزم الباب ابن عم عليّ عبد الله بن عباس، ولما أمّره ذو النورين في تلك الأيام الهالكة السوداء على الحج قال: والله يا أمير المؤمنين! لجهاد هؤلاء أحب إلي من الحج، فأقسم عليه لينطلقن.

[«تاريخ الأمم والملوك» أحوال سنة ٣٥].

وكما اشترك علي المرتضى رضي الله عنه أول الأمر بنفسه في الدفاع عنه «فقد حضر هو بنفسه مرارًا، وطرد الناس عنه، وأنفذ إليه ولديه وابن أخيه عبد الله بن جعفر.

[«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج١٠ ص٥٨١ ط قديم إيران].

«وانعزل عنه بعد أن دافع عنه طويلاً بيده ولسانه فلم يمكن الدفع».

[«شرح ابن ميثم البحراني» ج٤ ص٣٥٤ ط طهران].

«نابذهم بيده ولسانه وبأولاده فلم يغن شيئًا».

[«شرح ابن أبي الحديد» تحت «بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر»].

وقد ذكر ذلك نفسه حيث قال: «والله لقد دفعت عنه حتى حسبت أن أكون آثما».

[«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ج٣ ص٢٨٦].

لأن ذا النورين منعهم عن الدفاع وقال: اعزم عليكم لما رجعتم فدفعتم أسلحتكم، ولزمتم بيوتكم» [«تاريخ خليفة بن خياط» ج١ ص١٥١، ١٥٢ ط عراق].

«ومانعهم الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ..... وجماعة معهم من أبناء الأنصار فزجرهم عثمان، وقال: أنتم في حل من نصرتي».

[«شرح النهج» تحت عنوان محاصرة عثمان ومنعه الماء].

وجرح فيمن جرح من أهل البيت وأبناء الصحابة حسن بن علي رضي الله عنهما وقنبر مولاه [«الأنساب» للبلاذي ج٥ ص٩٥، «البداية» تحت «قتلة عثمان»].

ولما منع البغاة الطغاة عنه الماء خاطبهم عليّ بقوله:

أيها الناس! إن الذي تفعلون لا يشبه أمر المؤمنين ولا أمر الكافرين، إن الفارس

والروم لتؤسر فتطعم فتسقي، فوالله لا تقطعوا الماء عن الرجل، وبعث إليه بثلاث قرب مملوءة ماء مع فتية من بني هاشم.

[«ناسخ التواريخ» ج٢ ص٥٣١، ومثله في «أنساب الأشراف»، للبلاذري ج٥ ص٦٩].

وأخيرًا نريد أن ننقل من المسعودي [هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، ولد ببغداد في الثلث الأخير من القرن الثالث، وتجول في البلدان الكثيرة من الشرقية والأفريقية، ومات سنة ٣٤٢ أو٣٤٦.

ذكره محسن الأمين في طبقات المؤرخين من الشيعة حيث قال: المسعودي إمام في التاريخ، صاحب كتاب «مروج الذهب» و«أخبار الزمان».

[أعيان الشيعة القسم الثاني ج١ ص١٣٠].

وقال القمي: هو شيخ المؤرخين وعمادهم، وله كتاب في الإمامة وغيرها منها كتاب «إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب»، وهو صاحب «مروج الذهب» وعده النجاشي في فهرسته من رواة الشيعة [الكنى والألقاب ج٣ ص١٥٣].

وذكر الخوانساري أقوال عدد من علماء الرجال الشيعة أنهم يمدحونه، ويثنون عليه، ويوصفونه بأوصاف حميدة كثيرة مثل «الشيخ الجليل»، «الثقة»، «الثبت»، «مأمون الحديث»، و«الشيخ المتقدم من أصحابنا الإمامية»، المعاصر للصدوق، ومن أجلة علماء الإمامية ومن قدماء الفضلاء الاثنى عشرية» [روضات الجنات ج٤ ص٢٨١ وما بعد] طرفًا من الفاجعة التي نزلت، والكارثة التي ألمت «فلما بلغ عليًا أنهم يريدون قتله بعث بابنيه الحسن والحسين مع مواليه بالسلاح إلى بابه لنصرته، وأمرهم أن يمنعوه منهم، وبعث الزبير ابنه عبد الله، وطلحة ابنه محمدًا، وأكثر أبناء الصحابة أرسلهم آباؤهم اقتداء بما ذكرنا، فصدوهم عن الدار، فرمى من وصفنا بالسهام، واشتبك القوم، وجرح الحسن، وشج قنبر، وجرح محمد بن طلحة، فخشي القوم أن يتعصب بنو هاشم وبنو أمية، فتركوا القوم في القتال على الباب، ومضى نفر منهم إلى دار قوم من الأنصار فتسوروا عليها، وكان ممن وصل إليه محمد بن أبي بكر ورجلان آخران، وعند عثمان زوجته، وأهله ومواليه مشاغل بالقتال، فأخذ محمد بن أبي بكر بلحيته، فقال: يا محمد! والله لو رآك

أبوك لساءه مكانك، فتراخت يده، وخرج عنه إلى الدار، ودخل رجلان فوجداه فقتلاه، وكان المصحف بين يديه يقرأ فيه، فصعدت امرأته فصرخت وقالت: قد قتل أمير المؤمنين، فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما من بني أمية، فوجدوه قد فاضت نفسه رضي الله عنه، فبكوا، فبلغ ذلك عليًا وطلحة والزبير وسعدًا وغيرهم من المهاجرين والأنصار، فاسترجع القوم، ودخل على الدار، وهو كالواله الحزين وقال لابنيه: كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ ولطم الحسن وضرب صدر الحسين، وشتم محمد بن طلحة، ولعن عبد الله بن الزبير» [«مروج الذهب» للمسعودي ج٢ ص٣٤٤ ط بيروت].

ثم كان هو وأهله ممن دفنوه ليلاً، وصلوا عليه كما يذكر ابن أبي الحديد المعتزلي الشيعي:

«فخرج به ناس يسير من أهله ومعهم الحسن بن علي وابن الزبير وأبو جهم بن حذيفة بين المغرب والعشاء، فأتوا به حائطًا من حيطان المدينة يعرف بحش كوكب وهو خارج البقيع فصلوا عليه».

[شرح النهج لابن أبي الحديد الشيعي ج١ ص٩٧ ط قديم إيران وج١ ص١٩٨ ط بيروت].

وكان من حب أهل البيت إياه أنهم زوجوا بناتهم من أبنائه وإياه، ولقد زوجه خير خلق الله ابنتيه، وسموا أسماء أبنائهم باسمه كما ذكر المفيد أن واحدًا من أبناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان اسمه عثمان:

«فأولاد أمير المؤمنين سبعة وعشرون ولدًا ذكرًا وأنثى (١) الحسن (٢)الحسين ...(١٠) عثمان أمه أم البنين بنت حزام بن خالد بن ورام».

[«الإرشاد» للمفيد ص١٨٦ تحت عنوان «ذكر أولاد أمير المؤمنين»].

وذكر الأصفهاني أنه قتل مع أخيه الحسين بكربلاء.

«قتل عثمان بن علي وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وقال الضاحك: إن خولى بن يزيد رمى عثمان بن علي بسهم فأوهطه (أي أضعفه) وشد عليه رجل من بني أبان بن دارم فقتله وأخذ رأسه».

[«مقاتل الطالبين» ص٨٣، «عمدة الطالب» ص٣٥٦ ط نجف، و«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص٢١٣].

فهذا هو ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه صهر رسول الله وحبيبه في الدنيا والآخرة، وحبيب أهل البيت وابن عمهم وعمتهم، وقريبهم، يحبهم ويحبونه مثل الصديق والفاروق:

«وأقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشيجة رحم منها، ونال من صهره ما لم ينالا» [«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص٢٣٤] كما قاله المرتضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهذا هو موقفهم تجاهه وتجاه الصديق والفاروق الخلفاء الراشدين المهديين الثلاثة، بيّناه من كتب القوم أنفسهم، ومن المصادر الأصلية الموثوقة المعتمدة لديهم بذكر الصفحات والمجلدات.

* * *

موقف الشيعة من الخلفاء الراشدين الثلاثة

وأما الشيعة الذين يتزعمون حب أهل البيت وولاءهم، وينسبون مذهبهم إليهم، ويدّعون اتباعهم واقتدائهم، فإنهم عكس ذلك تمامًا، يخالفون الصديق والفاروق وذا النورين ويبغضونهم أشد البغض، ويعاندونهم، ويسبونهم، ويشتمونهم، بل ويفسقونهم ويكفرونهم، ويعدون هذه الأسباب والشتيمة واللعان من أقرب القربات إلى الله، ومن أعظم الثواب والأجر لديه، فلا يخلو كتاب من كتبهم ولا رسالة من رسائلهم إلا وهى مليئة من الشتائم والمطاعن في أخلص المخلصين لرسول الله فداه أبواي وروحي، وأحسن الناس طرّا، وأتقاهم لله، وأحبهم إليه، حملة شريعته، ومبلغي ناموسه ورسالته، ونوّاب نبيه المختار وتلامذته الأبرار، وهداة أمته الأخيار، عليهم رضوان الله الستار الغفار جلّ جلاله وعمّ نواله.

فروى الملا محمد كاظم في كتابه:

«عن أبي حمزة الثمالي – وهو يكذب على زين العابدين – قال – من لعن الجبت (أي الصديق) والطاغوت – أي: الفاروق – لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى يلعنهما لعنة واحدة كتب مثل ذلك، قال مولانا علي بن الحسين: فدخلت على مولانا أبي جعفر محمد الباقر، فقلت: يا مولاي حديث سمعته من أبيك؟ قال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث قال: نعم يا ثمالي! أتحب أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي، فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كل غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتى يمسي، ومن أمسى لعنهما لعنة واحدة لم يكتب عليه ذنب في ليلة حتى يصبح، قال: فمضى أبو جعفر، فدخلت على مولانا الصادق، فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدك؟ فقال: هات يا أبا حمزة! فأعدت عليه الحديث، فقال حقًا يا أبا حمزة، ثم قال عليه السلام: ويرفع ألف ألف درجة، ثم قال: إن الله واسع كريم.

[«أجمع الفضائح» للملا كاظم، و«ضياء الصالحين» ص٥١٣].

ثم وهم يؤمرون على أن يعملوا بذلك: «ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما» [«رجال الكشي» ص١٨٠].

فلا يوجد شتيمة إلا وهم يطلقونها على هؤلاء الأخيار البررة.

فها هو عياشيهم يكتب في تفسيره في سورة البراءة عن أبي حمزة الثمالي أنه قال: قلت (للإمام): ومن أعداء الله؟ قال: الأوثان الأربعة، قال: قلت: من هم؟ قال: أبو الفصيل ورمع ونعثل ومعاوية، ومن دان بدينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله» [«تفسير العياشي» ج٢ ص١١٦، أيضًا «بحار الأنوار» للمجلسي ج٧ ص٣٧].

ثم فسّر المعلق على هذه المصطلحات الثلاثة حاكيًا عن الجزري أنه قال:

كانوا يكنون بأبي الفصيل عن أبي بكر لقرب البكر بالفصيل ويعني بالبكر، الفتى من الإبل. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه، وفي كلام بعض أنه كان يرعى الفصيل في بعض الأزمنة فكني بأبي الفصيل، وقال بعض أهل اللغة: أبو بكر بن أبي قحافة ولد عام الفيل بثلاث سنين، وكان اسمه عبد العزى - اسم صنم - وكنيته في الجاهلية أبو الفصيل، فإذا أسلم سمي عبد الله وكني بأبي بكر - وأما كلمة رمع فهي مقلوبة من عمر، وفى الحديث أول من رد شهادة المملوك رمع، وأول من أعال الفرائض رمع.

وأما نعثل فهو اسم رجل كان طويل اللحية قال الجوهري: «وكان عثمان إذا نيل منه وعيب شبه بذلك» [«تفسير العياشي» ج٢ ص١١٦ ط طهران].

انظر إلى هؤلاء القوم لا يستحيون من إطلاق لفظه الأوثان على هؤلاء الأخيار الأبرار.

وهل لسائل أن يسأل أين هذا من قول محمد الباقر - الإمام الخامس المعصوم عندهم - في جواب سائل سأله هل ظلماكم من حقكم شيئًا؟

قال: «لا والذي أنزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيرًا ما ظلمنا من حقنا مثقال حبة من خردل» [«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد].

ثم ولماذا أعطى علي رضي الله عنه ابنته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه إن كان كافرًا؟ وثم لماذا

مدحه عليّ وأهل البيت وغيرهم، ولماذا دافع عنه هو وأبناءه، وجرح أحدهما وهو الإمام المعصوم لدى القوم أيضًا؟ فهل من مجيب؟

هذا وإن كان عثمان كافرًا فلماذا لم يمنع علي رضي الله عنه ابن أخيه من تزويج ابنته من ابن عثمان أبان، ولماذا لم تمتنع سكينة بنت الحسن من زواجها من حفيده زيد وغير ذلك، ولماذا سمّي عليّ ابنه باسمه؟

ويمشي العياشي في غلوائه وبغضه للخلفاء الراشدين، فيخرع الخرافات والأكاذيب والقصص ويقول:

«فلما قُبض نبي الله صلى الله عليه وسلم كان الذي كان لما قد قضى من الاختلاف، وعمد عمر فبايع أبا بكر ولم يدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد، فلما رأى ذلك علي عليه السلام ورأى الناس قد بايعوا أبا بكر خشي أن يفتتن الناس ففرغ إلى كتاب الله وأخذ يجمعه في مصحف، فأرسل أبو بكر إليه أن تعال فبايع، فقال علي: لا أخرج حتى أجمع القرآن، فأرسل إليه مرة أخرى فقال: لا أخرج حتى أفرغ، فأرسل إليه الثالثة ابن عم له يقال قنفذ، فقامت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها تحول بينه وبين عليّ عليه السلام فضربها فانطلق قنفذ وليس معه علي، فخشي أن يجمع عليّ الناس فأمر بحطب فجعل حوالي بيته، ثم انطلق عمر بنار فأراد أن يحرق على عليّ بيته وفاطمة والحسن والحسين صلوات الله عليهم، فلما رأى علي ذلك خرج فبايع كارهًا غير طائع» [«تفسير العياشي» ج٢ ص٣٠٧، ٣٠٨، أيضًا «البحار» ج٨ ص٤٧].

* * *

شجاعة علي

وهذا مع قول علي: «إني والله لو لقيتهم واحدًا وهم طلاع الأرض كلها ما باليت ولا استوحشت» [«نهج البلاغة» ص٤٥٢ تحقيق صبحي].

وهو الذي يحكون عنه أن أبا وائلة يقول: «كنت أماشي فلانًا – أي عمر كما صرح باسمه المجلسي في حياة القلوب – إذ سمعت منه همهمة، فقلت له: مه، ماذا يا فلان؟ فقال: ويحك أما ترى الهزبر القضم ابن القضم، والضارب بالبهم، الشديد على من طغى وبغى، بالسيفين والراية، فالتفت فإذا هو علي ابن أبي طالب، فقلت له: يا هذا هو علي بن أبي طالب، فقال: ادن مني أحدثك عن شجاعته وبطولته، بايعنا النبي يوم أحد على أن لا نفرّ، ومن فرّ منا فهو ضال ومن قتل منا فهو شهيد والنبي زعيمه، إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون، فأزعجونا عن طحوننتنا، فرأيت عليًا كالليث يتقي الذر وإذ قد حمل كفًا من حصى فرمى به في وجوهنا ثم قال: شاهدت الوجوه وقطت وبطت ولطت، إلى اين تفرون؟ إلى النار، فلم نرجع، ثم كرّ علينا الثانية وبيده صفيحة يقطر منها الموت، فقال: بايعتم ثم نكثتم، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن قتل، فنظرت إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان نارًا، أو كالقدحين المملوءين دمًا، فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي فقلت: يا أبا الحسن! الله الله، فإن العرب تكرّ وتفرّ وإن الكرة تنفي الفرة، فكأنه عليه السلام استحيى فولى بوجهه عني، فما زلت أسكن روعة فؤادي، فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة» [«تفسير القمي» ج١ ص١١٤، ١١٥].

ورووا في شجاعة عليّ قصصًا كثيرة، ومنها ما رواه القطب الراوندي: «إن عليًا بلغه عن عمر ذكره شيعته فاستقبله في بعض طرق البساتين وفي يد علي عليه السلام قوس فقال: يا عمر! بلغني عنك ذكرك شيعتي فقال: اربع على ظلعك فقال عليه السلام: إنك لها هنا، ثم رمى بالقوس على الأرض فإذا هو ثعبان كالبعير فاغرًا فاه وقد أقبل نحو عمر ليبتلعه فصاح عمر الله الله يا أبا الحسن! لا عدت بعدها في شيء، وجعل

يتضرع إليه فضرب بيده إلى الثعبان فعادت القوس كما كانت فمضى عمر إلى بيته مرعوبًا» [«كتاب الخرائج والجرائح» ص٢٠، ٢١ ط بمبئي ١٣٠١هـ].

وأيضًا ما ذكره سليم بن قيس العامري الشيعي اللعان السباب الخبيث أن عليًا شتم عمر وهدده بقوله: «والله لو رمت ذلك يا ابن صهاك لأرجعت إليك يمينك، لئن سللت سيفي لأغمدته دون إزهاق نفسك فرمّ ذلك، فانكسر عمر وسكت وعلم أن عليًا إذا حلف صدق، ثم قال علي عليه السلام: يا عمر! ألست الذي هم بك رسول الله وأرسل إلي فجئت متقلدًا بسيفي، ثم أقبلت نحوك لأقتلك فأنزل الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ قال ابن عباس: ثم إنهم تآمروا وتذاكروا فقالوا: لا يستقيم لنا أمر مادام هذا الرجل حيًا، فقال أبو بكر: من لنا بقتله؟ فقال عمر: خالد بن الوليد، فأرسلا إليه، فقالا: يا خالد! ما رأيك في أمر نحملك عليه؟ قال: احملاني على ما شئتما، فوالله! إن حملتماني على قتل ابن أبي طالب لفعلت، فقالا: والله ما نريد غيره قال: فأنى لها، فقال أبو بكر: إذا قمنا في الصلاة، صلاة الفجر، فقم إلى جانبه ومعك السيف، فإذا سلمت فاضرب عنقه، قال: نعم! فافترقوا على ذلك، ثم إن أبا بكر تفكر فيما أمر به من قتل علي عليه السلام وعرف إن فعل ذلك وقعت حرب شديدة وبلاء طويل، فندم على أمره فلم ينم ليلته تلك حتى أتى المسجد وقد أقيمت الصلاة فتقدم فصلى بالناس مفكرًا لا يدري ما يقول، وأقبل خالد بن الوليد متقلدًا بالسيف حتى قام إلى جانب عليّ وقد فطن عليّ ببعض ذلك، فلما فرغ أبو بكر من تشهده صاح قبل أن يسلم يا خالد! لا تفعل ما أمرتك، فإن فعلت قتلتك، ثم سلم عن يمينه وشماله، فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيب خالد وانتزع السيف من يده ثم صرعه وجلس على صدره وأخذ سيفه ليقتله واجتمع عليه أهل المسجد ليخلصوا خالدًا فما قدروا عليه، فقال العباس حلفوه بحق القبر لما كففت فحلفوه بالقبر فتركه وقام فانطلق إلى منزله».

[كتاب سليم بن قيس العامري ص٢٥٦، ٢٥٧].

هذا ولقد بالغوا وأكثروا في شجاعته وقالوا: كان يملك من القوة حتى «إن عليًا ركض برجله الأرض يومًا فتزلزلت الأرض» [«تفسير البرهان» مقدمة ص٧٤].

وتزلزلت يومًا فركضها حتى سكنت كما يكذب الصافي:

«عن فاطمة عليها السلام قالت: أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر وفزع الناس إلى أبي بكر وعمر فوجدوهما قد خرجا فزعين إلى علي عليه السلام، فتبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى باب علي عليه السلام فخرج عليهم غير مكترث لما هم فيه، فمضى واتبعه الناس حتى انتهوا إلى تلعة فقعد عليها وقعدوا حوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترتج جائية وذاهبة، فقال لهم علي: كأنكم قد هالكم ما ترون؟ قالوا: وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط؟ فحرّك شفتيه وضرب بيده الشريفة، ثم قال: مالك اسكني، فسكنت بإذن الله، فتعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم الأول حيث خرج إليهم، قال لهم: فإنكم تعجبتم من صنعي؟ قالوا: نعم! قال أنا الرجل الذي قال الله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۞ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۞ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۞﴾: فأنا الإنسان الذي يقول لها: مالك، ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۞﴾ إياي تحدث». [«الصافي» ص٥٧١].

وأكثر من ذلك، أنه صرع إبليس يومًا بقوته الجبارة كما رواه ابن بابويه القمي في «عيون أخبار الرضا» [ج٢ ص٧٢].

هذا ومثل هذا كثير.

وما دمنا بدأنا في هذا نريد أن نكمل البحث بإيراد حكاية باطلة غريبة تدل على أكاذيب القوم وأساطيرهم التي نسجوها، وبنوا عليها مذهبهم، وأسسوا عليها عقائدهم، وهي منقولة من «كتاب الأنوار النعمانية» للسيد نعمة الله الجزائري [هو نعمة الله بن عبد الله الحسيني الجزائري «كان من أعاظم علمائنا المتأخرين، وأفاخم فضلائنا المتبحرين، صاحب قلب سليم ووجه وسيم وطبع مستقيم، وله الكتاب «الأنوار النعمانية» المشتمل على ما كان من ثمر عمر جيدًا.. وقال الحر العاملي: فاضل، عالم، محقق، علامة، جليل القدر، مات سنة ١١١٢هـ وهو من تلاميذ المجلسي» (روضات الجنات للخوانساري ج٨ ص١٥٠ وما بعد)] فإنه يقول:

روى الطبرسي في كتابه لمّا وصف وقعة خيبر: «وإن الفتح فيها كان على يد علي عليه السلام

وإن جبريل ‌عليه السلام جاء إلى رسول الله (ص) مستبشرًا بعد قتل مرحب، فسأله النبي (ص) عن استبشاره فقال: يا رسول الله! إن عليًا لما رفع السيف ليضرب به مرحبًا أمر الله سبحانه إسرافيل وميكائيل أن يقبضا عضده في الهواء حتى لا يضرب بكل قوته ومع هذا قسمه نصفين وكذا ما عليه من الحديد وكذا فرسه ووصل السيف إلى طبقات الأرض، فقال لي الله سبحانه: يا جبرئيل بادر إلى تحت الأرض وامنع سيف علي عن الوصول إلى ثور الأرض حتى لا تنقلب الأرض، فمضيت فأمسكته فكان على جناحي أثقل من مدائن قوم لوط وهى سبع مدائن قلعتها من الأرض السابعة ورفعتها فوق ريشة واحدة من جناحي إلى قرب السماء وبقيت منتظرًا لأمر إلى وقت السحر حتى أمرني الله بقلبها، فما وجدت لها ثقلاً كثقل سيف عليّ فسأله النبي (ص): لم لا قلّبتها من ساعة رفعتها؟ فقال: يا رسول الله! إنه قد كان فيهم شيخ كافر نائم على قفاه، وشيبته إلى السماء، فاستحى الله سبحانه أن يعذبهم، فلما كان وقت السحر انقلب ذلك الشائب عن قفاه فأمرني بعذابها، وفى ذلك اليوم أيضًا لما فتح الحصن وأسروا نسائهم فكان فيهم صفية بنت ملك الحصن، فأتت النبي (ص) وفى وجهها أثر شجة، فسأله النبي (ص) عنها فقالت: إن عليًا لما أتى الحصن وتعسر عليه أخذه أتى إلى برج من بروجه، فهزّه فاهتز الحصن كله، وكل من كان فوق مرتفع سقط منه وأنا كنت جالسة فوق سريري فهويت من عليه، فأصابني السرير فقال لها النبي (ص): يا صفية! إن عليًا لما غضب وهزّ الحصن غضب الله لغضب علي ‌عليه السلام فزلزل السماوات كلها حتى خافت الملائكة ووقعوا على وجوههم وكفى به شجاعة ربانية، وأما باب خيبر فقد كان أربعون رجلاً يتعاونون على سدّه وقت الليل، ولما دخل الحصن طار ترسه من يده من كثرة الضرب فقلع الباب وكان في يده بمنزلة الترس يقاتل فهو في يده حتى فتح الله عليه».

[«الأنوار النعمانية» لنعمة الله الجزائري].

وهذا مع رواية اليعقوبي الشيعي «وبلغ أبا بكر وعمر أن جماعة من المهاجرين والأنصار قد اجتمعوا مع علي بن أبي طالب في منزل فاطمة بنت رسول الله، فأتوا في جماعة حتى هجموا الدار، وخرج علي ومعه السيف، فلقيه عمر، فصارعه عمر

فصرعه، وكسر سيفه، ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت: والله لتخرجن أو لأكشفن شعري ولأعجن إلى الله! فخرجوا وخرج من كان في الدار وأقام القوم أيامًا ثم جعل الواحد بعد الواحد يبايع» [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص١٢٦].

ولا ندري، من الصادق من القوم؟ نعمة الله الجزائري وسليم بن قيس العامري [هو سليم بن قيس العامري الهلالي الكوفي، مات سنة ٩٠ تقريبًا، يقولون عنه: إنه من أصحاب علي بن أبي طالب، فيكتب الخوانساري «صاحب أمير المؤمنين عليه السلام ومصنف كتاب مشهور الذي ينقل عنه في البحار وغيره.. وقد كان من قدماء علماء أهل البيت عليهم السلام، وإنه أدرك خمسة من الأئمة المعصومين عليهم السلام، هم أمير المؤمنين، والحسنان، وزين العابدين، والباقر» [روضات الجنات ج٤ ص٦٦].

ويقول القمي: «له كتاب معروف وهو أصل من الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت عليه السلام وهو أول كتاب ظهر للشيعة معروف بين المحدثين، اعتمد عليه الشيخ الكليني والصدوق وغيرهما من القدماء» [الكنى والألقاب ج٣ ص٢٤٨] والقطب الراوندي والقمي والمجلسي أو العياشي واليعقوبي؟

لا ندري، أم كلهم كذبة يكذبون ويحكون، ولا يدرون أن أهل البيت لم يقولوا، ولم يكونوا هكذا، ولو كانوا أو قالوا لما قالوا في أبي بكر، هو الصديق، وفي عمر، أنه ميمون النقيبة ومرضي السيرة، ولم يسموا أبناءهم بأسمائهم، ولم يناكحوهم ويعاشروهم ويمدحوهم بعد موتهم، فلا نستطيع أن نقول بعد رواية هذه الأشياء كلها: اللهم إلا أن أهل البيت كانوا صادقين في أفعالهم وأعمالهم، ومصيبين في أقوالهم وأحوالهم، والشيعة يكذبون عليهم، ويخالفونهم في معتقداتهم، ويعادون أحباءهم ورحمائهم وأصهارهم وأقاربهم وقادتهم وأمرائهم وحكامهم، الذين أخلصوا لهم الطاعة والمناصحة والولاء والمشورة كما بيّنّاه سابقًا بالتفصيل.

وإلا فهل يعقل من مثل ذلك الرجل الشجاع الباسل، البطل الكمّي أن يجبره أبو بكر على بيعته، وعمر على تزويجه من بنته، وعثمان على رضائه بتقديمه، وتسمية أبنائه بأسمائهم رضوان الله عليهم أجمعين، ومعه من أهل بيته وأنصاره من معه؟

والظاهر أن القوم مع إظهارهم ولاء أهل البيت يخالفونهم في بغضهم الخلفاء الراشدين وأصحاب نبي الله المختارين النجباء، الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفداه أبوي وروحي: «طوبى لمن رآني وآمن بي».

[«كتاب الخصال» ج٢ ص٣٤٢].

وعلى كل وإننا لنذكر مخالفة القوم أهل البيت في عدائهم لأرحام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصهاره.

فيقول العياشي أيضًا في ذي النورين رضي الله عنه أن الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ نزلت في عثمان.

[«تفسير العياشي» ج١ ص١٤٧، «البحار» ج٨ ص٢١٧].

وأما القمي فليس أقل من العياشي في اللعن والطعن والتفسيق والتكفير، فيذكر تحت قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ ما بعث الله نبيًا إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ..... وأما صاحبا محمد فحبتر وزريق» [«تفسير القمي» ج٢ ص٢٤٢].

ولقد نقلنا عنه روايات عديدة في كتابنا «الشيعة والسنة».

وأما البحراني فهو على شاكلتهما، فيكتب تحت قول الله عز وجل ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ محترقًا من معيّة الصديق النبي عليه الصلاة والسلام في سفره من مكة إلى المدينة، مهاجرًا إلى الله، مصاحبًا أبا بكر بأمر من الله وثقة في الصديق، ورغبة في صحبته، يقول: أمر رسول الله عليًا فنام على فراشه، وخشي من أبي بكر أن يدلّهم عليه فأخذه معه إلى الغار» [«البرهان» ج٢ ص١٢٧].

ويكذب على أبي جعفر حيث يقول: «إنه قال: إن رسول الله أقبل يقول لأبي بكر في الغار: اسكن، فإن الله معنا – إلى أن قال – تريد أن أريك أصحابي من الأنصار في مجالسهم يتحدثون، وأريك جعفر وأصحابه في البحر يعومون، فقال: نعم، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على وجهه، فنظر الأنصار جالسين في مجالسهم، ونظر إلى جعفر وأصحابه في البحر يغوصون، فأضمر تلك الساعة أنه ساحر».

[«البرهان» ص١٢٥، و«الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٦٢].

وأما الفاروق، المطفئ نار المجوسية، والمكسر أصنام الكسروية وشوكتها، والهادم مجد اليهودية وعزها، المحبوب إلى حبيب الرب، والمبغوض إلى أعدائه وأعداء أمته، أبناء اليهود والمجوس، يقول فيه البحراني تحت قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ وكان الشيطان هو الثاني، ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾﴾ يعنى الثاني ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى﴾ يعني الولاية».

[«البرهان» ج٣ ص١٦٦].

ويمتد في غلوائه، ويتجاهر بالفحش والبذاءة حيث يقول: «إبليس وما بمعناه كالمبلسين سيأتي في الشيطان تأويله بالثاني، ومنه يمكن استفادة تأويل إبليس به أيضًا لاتحاد المسمى بهما، وفي بعض الأخبار عن الأصبغ بن نباتة أن عليًا عليه السلام أخرجه مع جمع فيهم حذيفة بن اليمان إلى الجبانة، وذكر معجزة عنه عليه السلام إلى أن قال: فقال علي عليه السلام: يا ملائكة ربي ايتوني الساعة بإبليس الأبالسة، وفرعون الفراعنة، فوالله! ما كان بأسرع من طرفة عين حتى أحضروه عنده فلما جرّوه بين يديه قام وقال: واويلاه من ظلم آل محمد، واويلاه من اجترائي عليهم، ثم قال: يا سيدي ارحمني، فإني لا أحتمل هذا العذاب، فقال عليه السلام: لا رحمك الله ولا غفر لك أيها الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان، ثم التفت إلينا، فقال: سلوه حتى يخبركم من هو؟ فقلنا له: من أنت؟ فقال أنا إبليس الأبالسة وفرعون هذه الأمة، أنا الذي جحدت سيدي ومولاي أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين، و أنكرت آياته ومعجزاته الخبر، والظاهر أن المراد به الثاني حيث كان هو رأس المفسدين، وهو الذي أوّل به الشيطان في القرآن» [«البرهان، مقدمة» ص٩٨].

وأما محسن المسلمين والإسلام عثمان بن عفان فقد كتب فيه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: قد أقلتك إسلامك فاذهب فأنزل الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ الخ» [«البرهان» ج٤ ص٢١٥].

ويظهر بغضه وحقده للجميع فيقول تحت قول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ المراد هم الذين سموا أنفسهم [وقد أعماه الحسد والحقد والجهل

حتى لم يدر بأن واحدًا من هؤلاء الثلاثة لم يسم نفسه بهذه الأسماء، ولم ترد رواية في ذلك، بل سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته بهذه الأسماء والألقاب كما مر سابقًا، والبغيض اللعان لم يدر أيضًا بأن الثابت في الروايات وكتب القوم أن عليًا رضي الله عنه هو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء، وأطلقها بنفسه على نفسه «أنا الصديق وأنا الفاروق» («الاحتجاج» للطبرسي ج١ ص٩٥) فافهم وتدبر] بالصديق والفاروق وذي النورين» [«البرهان، مقدمة» ص١٧٢].

ويحكم ويتحكم أن المراد بمن: ﴿ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ عليّ وشيعته، والمراد بمن ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ الثلاثة وأتباعهم [«مقدمة» ص٣٣٣].

ويتقدم في تحكمه واستهزائه لأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام وأزواجه حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ نزلت في عائشة وحفصة وأبي بكر وعمر لما قذفوا مارية القبطية وجريجاً» [«البرهان» ج٣ ص١٢٧].

ومفسرهم الرابع الكاشاني ليس أقل لومًا ولا خبثًا من الآخرين من بني قومه، وهو الذي كتب تحت قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا﴾ نزلت في الأول والثاني والثالث والرابع (يعني معاوية) وعبد الرحمن وطلحة» [«تفسير صافي» للكاشاني ص١٣٦ ط إيران بالحجم الكبير].

وكتب تحت قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ لما أقام الرسول عليًا يوم غدير خم كان بحذائه سبعة نفر من المنافقين، وهم أبو بكر وعمر وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة، قال عمر: «ألا ترون عينيه كأنهما عينا مجنون - يعني النبي -، يقوم ويقول: قال لي ربي» - أستغفر الله من نقل هذه الخرافة وهذا الكفر، ولعنة الله على الكاذبين - [«الصافي» ص٢٣٦ الحجم الكبير وص٧١٥ ج١ الحجم الصغير].

وشاتمهم الخامس المسمي نفسه بالمفسر، العروسي الحويزي، فيقول تحت قول الله تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ عن أبي بصير قال: يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب بابها الأول للظالم وهو زريق وبابها الثانى لحبتر والباب الثالث للثالث والرابع لمعاوية والخامس

لعبد الملك والسادس لعسكر بن هوسر والسابع لأبي سلامة، فهم باب لمن اتبعهم».

[«نور الثقلين» ج٣ ص١٨].

وعلق المحشي اللعين على هذه الأسماء بقوله: «قال المجلسي: زريق كناية عن الأول لأن العرب يتشاءم بزرقة العين، والحبتر هو الثعلب ولعله إنما كنى عنه لحيلته ومكره، وفى غيره من الأخبار وقع بالعكس وهو أظهر إذا الحبتر بالأول أنسب، ويمكن أن يكون هنا أيضًا المراد ذلك، وإنما قدم الثاني لأنه أشقى وأفظ وأغلظ، وعسكر بن هوسر كناية عن بعض خلفاء بنى أمية أو بني العباس. وكذا أبي سلامة كناية عن أبي جعفر الدوانيقي، ويحتمل أن يكون عسكر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل، إذ كان اسم جمل عائشة عسكرًا وروى أنه كان شيطانًا» [«نور الثقلين» ج٣ ص١٨ ط قم - إيران].

وكتب تحت قول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝﴾ قال: الذين يدعون من دون الله الأول والثاني والثالث، كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: والوا عليًا واتبعوه، فعادوا عليًا ولم يوالوه، ودعوا الناس إلى ولاية أنفسهم فذلك قول الله: والذين يدعون من دون الله ...... «أموات غير أحياء» كفار غير مؤمنين ...... «وهم مستكبرون» يعني عن ولاية علي» [«نور الثقلين» ج٣ ص٤٧].

* * *

محدثوا الشيعة وفقهاؤهم

فهؤلاء هم مفسروا الشيعة اللعانون السبابون الشتامون، المكفرون أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والأخيار منهم، الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، وها هي كتبهم في التفسير، كتب الشتائم والسباب، واللعائن والمطاعن، كتب القذائف والتهم، وعلى مُن؟ على الذين شهد الله بطهارتهم ونقائهم وصفائهم، وبشرهم بالفوز والفلاح والجنة والرضى، أصحاب رسول الله ورفاقه، تلامذته ومريديه الذين عاشروا الرسول، وبايعوه، وناصروه وأيدوه. هاجروا معه وتركوا لأجله أقاربهم وعشائرهم، أولادهم وأموالهم، وديارهم وأوطانهم، واتبعوا النور الذي أنزل معه، وجاهدوا تحت رايته، وبذلوا كل غال وثمين بإشاراته. وحملوا رايته بعده وأعلوها على شواهق الجبال، وأوصلوها إلى ما وراء الأبحر، الصديق والفاروق وذي النورين رضي الله عنهم أجمعين، الذين قدّرهم أهل البيت حق التقدير، وعظموهم ومجدوهم، وبالغوا في إكرامهم، وأثنوا عليهم في حياتهم وبعد وفاتهم ثناء عاطرًا، وقدموا لهم ثمار قلوبهم وأفذاذ أكبادهم، وجعلوا هديهم هدف العين، وانتهجوا منهجهم واقتدوا بمسلكهم.

وأما الشيعة المتزعمين حبهم واتباعهم فعلوا عكس ذلك، وخالفوهم مخالفة صريحة، ظاهرة باهرة، حيث لا يخلو كتاب من كتبهم إلا وهو مليء من أردأ القول وأفحش الكلام كما نقلناه من الذين يدعون بأنهم مفسرو القوم، وعلم التفسير منهم بريء، وحاشا لله أن يكون المفسرون كهؤلاء.

وأما محدثو الشيعة وفقهائهم فهم على شاكلتهم، فلا يخلوا كتاب من كتبهم عن مثل هذه الترهات والافتراءات، مخالفين تمامًا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيت علي رضي الله عنه، مبغضين محبي رسول الله ومحبوبيه، لاعنين أرحام رسول الله وأصهاره وأزواجه أمهات المؤمنين.

فلنلق نظرة عابرة على موقف محدثي الشيعة وفقهائهم.

فها هو الكليني كبير القوم ومحدثهم يبيّن عقيدته ويظهر سريرة نفسه، ويكشف

عن قرارة قلبه عندما يكتب تحت قول الله عز وجل: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ - يعني أمير المؤمنين - أي علي - و ﴿كَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ﴾ الأول والثاني والثالث» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٤٢٦].

ويصرح أكثر حيث يقول: لما رأى رسول الله تيمًا وعديًا وبني أمية [يقصد به أبا بكر الصديق الذي كان من تيم، والفاروق الذي كان من عدي، وذا النورين الذي كان من بني أمية] يركبون منبره أفزعه، فأنزل الله تبارك وتعالى قرآنًا يتأسى به ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ ثم أوحى إليه يا محمد! إني أُمرت فلم أطع فلا تجزع أنت إذا أمرت فلم تطع في وصيك أيضًا».

[«الأصول من الكافي»، كتاب الحجة ج١ ص٤٢٦ ط طهران].

ويكتب تحت قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ فلان وفلان وفلان، ارتدوا عن الإيمان في ترك ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ قال: نزلت والله فيهما وفي أتباعهما، وهو قول الله عز وجل الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم وآله: ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله (في علي عليه السلام) سنطيعكم في بعض الأمر» [«كتاب الحجة من الكافي» ج١ ص٤٢٠].

ويروي عن عبد الملك بن أعين أنه قال: «قلت لأبي عبد الله: خبرني عن الرجلين؟ قال: ظلمانا حقنا في كتاب الله عز وجل، ومنعا فاطمة صلوات الله عليها ميراثها من أبيها، وجرى ظلمهما إلى اليوم قال - وأشار إلى خلفه - ونبذا كتاب الله وراء ظهورهما». [«كتاب الروضة من الكافي» ج٨ ص١٠٢].

كما روي عن الكميت الأسدي أنه قال: قلت: خبرني عن الرجلين؟ قال: فأخذ الوسادة فكسرها في صدره ثم قال: والله يا كميت! ما أهريق محجمة من دم، ولا أخذ مال من غير حله، ولا قلب حجر عن حجر إلا ذاك في أعناقهما».

[«كتاب الروضة من الكافي» ص١٠٣].

ويكذب أيضًا أن حنان بن سويد روى عن أبيه أنه قال: سألت أبا جعفر عنهما فقال:

«يا أبا الفضل! ما تسألني عنهما فوالله ما مات منا ميت قط إلا ساخطًا عليهما يوصي بذلك الكبير منا الصغير، إنهما ظلمانا حقنا، ومنعانا فيئنا، وكانا أول من ركب أعناقنا وبثقا علينا بثقا في الإسلام، لا يسكر أبدًا حتى يقوم قائمنا أو يتكلم متكلمنا».

[«كتاب الروضة من الكافي» ج٨ ص١٠٢].

ويقول مصرحًا: «أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومًا كئيبًا حزينًا، فقال له علي عليه السلام: ما لي أراك يا رسول الله كئيبًا حزينًا؟ قال: وكيف لا أكون كذلك وقد رأيت في ليلتي هذه أن بني تيم وبني عدى وبني أمية يصعدون منبري هذا يردون الناس عن الإسلام قهقرى» [«كتاب الروضة من الكافي» ص٣٤٥].

كما روي عن أبي جعفر أنه قال: «ما كان ولد يعقوب أنبياء لكنهم كانوا أسباط أولاد الأنبياء، ولم يكن يفارقوا الدنيا إلا السعداء، تابوا وتذكروا ما صنعوا، وإن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ما صنعا بأمير المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» [«كتاب الروضة من الكافي» ص٢٤٦].

وأما ابن بابويه القمي أحد كتّاب الصحاح الأربعة الشيعية والملقب بالصدوق يكتب طاعنا في الصديق الأكبر والفاروق الأعظم رضي الله عنهما : «أن أبا بكر لما بُويع ذهب أنصار علي إليه، فتكلموا في الأمر، فقال لهم علي رضي الله عنه : وقد اتفقت عليه الأمة التاركة لقول نبيها والكاذبة على ربها، ولقد شاورت في ذلك أهل بيتي، فأبوا إلا السكوت لما تعلمون من وغر صدور القوم وبغضهم لله عز وجل ولأهل بيت نبيه عليه السلام، وإنهم ليطالبون بثأرات الجاهلية، والله! لو فعلتم ذلك لشهروا سيوفهم مستعدين للحرب والقتال كما فعلوا ذلك حتى قهروني وغلبوني على نفسي ..... ولكن ايتوا الرجل فأخبروه بما سمعتم من نبيكم، ولا تجعلوه في شبهة من أمره ليكون ذلك أعظم للحجة عليه وأزيد وأبلغ في عقوبته إذ عتا ربه، وقد عصا نبيه وخالفا أمره، قال: فانطلقوا حتى حفوا بمنبر رسول الله يوم جمعة ..... وكان أول من بدا وقام خالد بن سعيد بن العاص بإدلاله ببني أمية - إلى أن قال - فقال له عمر بن الخطاب: اسكت يا خالد فلست من أهل المشورة، ولا ممن يُرضى بقوله، فقال خالد: بل اسكت أنت يا ابن الخطاب فوالله! إنك

لتعلم أنك تنطق بغير لسانك، وتعتصم بغير أركانك، والله! إن قريشًا لتعلم أني أعلاها حسبًا وأقواها أدبًا وأجملها ذكرًا وأقلها غنى من الله ورسوله وإنك لجبان عند الحرب، بخيل في الجدب، لئيم العنصر، ما لك في قريش مفخر».

[«كتاب الخصال» ص٤٦٣ ط مكتبة الصدوق طهران].

هذا ويقول في ذي النورين رضي الله عنه :

«إن في التابوت الأسفل ستة من الأولين وستة من الآخرين ..... والستة من الآخرين فنعثل ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري، ونسي المحدث اثنين» [«كتاب الخصال» ص٤٨٥].

وذكر في موضع آخر من كتاب الخصال:

«شر الأولين والآخرين اثنا عشر، ستة من الأولين وستة من الآخرين، ثم سمى الستة من الأولين، ابن آدم الذى قتل أخاه، وفرعون وهامان وقارون والسامري والدجال اسمه في الأولين ويخرج في الآخرين، وأما الستة من الآخرين فالعجل وهو نعثل، وفرعون وهو معاوية، وهامان هذه الأمة وهو زياد، وقارونها وهو سعيد والسامري وهو أبو موسى عبد الله بن قيس لأنه قال كما قال سامري قوم موسى: لا مساس أي لا قتال، والأبتر وهو عمرو بن العاص» [«كتاب الخصال» ص٤٥٨، ٤٥٩].

ويقول: «وحب أولياء الله والولاية لهم واجبة، والبراءة من أعدائهم واجبة، من الذيّن ظلموا آل محمد عليهم السلام. وهتكوا حجابه فأخذوا من فاطمة عليها السلام فدك [انظر كيف يتهجم على الصديق في معاملة رضيت فيها فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنها رضيت ولكن من يُرضي قوم عبد الله بن سبأ النجل اليهودي الذي يسعى بين الأمة لتفريق كلمتها وتمزيق وحدتها وتشتيت شملها؟] ومنعوها ميراثها، وغصبوها وزوجها حقوقها، وهموا بإحراق بيتها [قصة باطلة، موضوعة، مختلقة، اختلقوها للطعن على الفاروق الأعظم]. وأسسوا الظلم وغيروا سنة رسول الله، والبراءة من الناكثين والقاسطين والمارقين واجبة. والبراءة من الأنصاب والأزلام أئمة الضلال وقادة الجور كلهم أولهم وآخرهم واجبة».

[«كتاب الخصال» ج٢ ص٦٠٧ ط مطبعة الحيدري طهران].

ويكذب على النبي صلى الله عليه وسلم والصديق والصديقة رضي الله عنهما، ويكبّ عليهما ما يكنّه من البغض والحقد والحسد والضغينة، وينسج هذه الحكاية الباطلة الخبيثة فيقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي:

يا علي! من أحبك ووالاك سبقت له الرحمة، ومن أبغضك وعاداك سبقت له اللعنة، فقالت عائشة: يا رسول الله! ادع الله لي ولأبي لا نكون ممن يبغضه ويعاديه، فقال صلى الله عليه وسلم وآله: اسكتي إن كنت أنت وأبوك ممن يتولاه ويحبه فقد سبقت لكما الرحمة، وإن كنتما ممن يبغضه ويعاديه فقد سبقت لكما اللعنة، ولقد جئت أنت وأبوك إن كان أبوك أول من يظلمه وأنت أول من يقاتله غيري؟»".

[«كتاب الخصال» ج٢ ص٥٥٦].

ويقول: إن جعفرًا سئل «ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل فلانًا وفلانًا وفلانًا؟ قال: لآية في كتاب الله عز وجل ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾، قيل: وما يعني بتزايلهم؟ قال: ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين».

[«علل الشرائع» لابن بابويه ص١٤٧ ط نجف].

وزاد «لم لم يجاهد أعدائه خمسًا وعشرين سنة بعد رسول الله (ص) ثم جاهد في أيام ولايته؟ لأنه اقتدى برسول الله (ص) في تركه جهاد المشركين بمكة ثلاثة عشرة سنة بعد النبوة وبالمدينة تسعة عشر شهرًا، وذلك لقلة أعوانه عليهم، وكذلك علي عليه السلام [ومن الغرائب أن القوم لا يذكرون أسماء واحد من أئمتهم إلا ويعقبونها بالكلمة الكاملة «عليه السلام أو عليهم السلام» في وقت يجردون اسم النبي صلى الله عليه وسلم أحيانًا، وأحيانًا يكتفون بذكر حرف «ص» فقط، وهذا يدل على معتقد القوم تجاه أئمتهم وتجاه النبي عليه الصلاة والسلام] ترك مجاهدة أعدائه لقلة أعوانه عليهم» [«علل الشرائع» ص١٤٧].

فانظر إلى الأساطير كيف نُسجت، والقصص كيف أُخترعت، ولا يشبع من تسميتهم بأئمة الضلالة والجور والدعاة إلى النار، بل يزداد في غلوائه وتعديه على الخلفاء الراشدين، ويشبههم بمشركي مكة أعداء رسول الله وخصوم دينه.

نعم! يشبه هؤلاء البررة الأخيار، حملة راية الله، مبلغي كلمة الله، وناشري دين الله، أحباء رسول الله ومحبيه، الذين في عصورهم وعهودهم وأيامهم تحققت مبشرات رسول الله ونبوءاته التي جعلها آية صدق على نبوة نبيه ورسوله المصطفى، روحي له ولأحبائه الفداء صلى الله عليه وسلم، البشائر التي ذكرها هذا الجريء المفتري نفسه في كتابه عن البراء بن عازب أنه قال:

«لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق عرضت له صخرة عظيمة شديدة في عرض الخندق لا تأخذ فيها المعاول فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها وضع ثوبه فأخذ المعول، وقال: بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقال: بسم الله، ففلق ثلثًا آخر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض، ثم ضرب الثالثة ففلق بقية الحجر، فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا» [«كتاب الخصال» ج١ ص١٦٢].

فمن الذي تحققت في خلافته هذه النبوءات؟ ومن الذي عبر عنه الناطق بالوحي «أعطيت مفاتيح الشام، وأعطيت مفاتيح فارس، وأعطيت مفاتيح اليمن»؟

ومن جعله قائم مقام نفسه حتى عبر عن إعطاء المفاتيح إياه كإعطائها لنفسه، وهل من مجيب؟

فهذا هو صدوقهم الذي جعلوا كتبه أصح الكتب، ولا بعد كتاب الله، لأن كتاب الله محرف مغير فيه حسب اعتقادهم، وقصدًا حاولنا التركيز في كتاب واحد من كتبه - وكلها على شاكلته - لكي يعرف القارئ والباحث حشده وملأه من الحنق والحقد على خيار خلق الله بعد الأنبياء والرسل عليهم السلام ورضوان الله عليهم.

وأما محدثهم الأقدام - كما يسمونه - الذي استفاد منه الكليني والصدوق وغيرهما ورووا عنه في كتبهم، وهو سليم بن قيس فلم يجد سبًا قبيحًا ولا شتيمة خبيثة إلا وقد استعملها فيهم حتى بلغت جرأته إلى أن قال كذبًا على عليّ أنه قال:

تدري من أول من بايع «أبا بكر» حين صعد المنبر؟

قلت: لا ولكن رأيت شيخًا كبيرًا يتوكأ على عصاه بين عينيه سجادة شديدة التشمير صعد المنبر أول من صعد وهو يبكي ويقول: الحمد لله الذي لم يمتني حتى رأيتك في هذا المكان، ابسط يدك، فبسط يده فبايعه، ثم قال: يوم كيوم آدم، ثم نزل فخرج من المسجد. فقال علي عليه السلام: يا سلمان! أتدري من؟

قلت: لا، ولكن ساءتني مقالته كأنه شامت بموت رسول الله (ص) قال علي عليه السلام: فإن ذلك إبليس ..... - إلى أن قال - ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقًا من المؤمنين» [«كتاب سليم بن قيس» ص٨٠، ٨١].

واخترع في ذم الخلفاء الراشدين، وسادة أصحاب الرسول، وقادة الأمة قصة يضحك منها حتى السفهاء والأطفال ولكن قيل قديمًا: إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

فانظر إليه كيف ينسج ويخترع قصة طويلة ملؤها سب وشتم:

«فلما رأى علي عليه السلام خذلان الناس إياه وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وتعظيمهم إياه لزم بيته، فقال عمر لأبي بكر: ما يمنعك أن تبعث إليه فيبايع فإنه لم يبق أحد إلا قد بايع غيره وغير هؤلاء الأربعة، وكان أبو بكر أرق الرجلين وأرفقهما وأدهاهما وأبعدهما غورًا، والآخر أفظهما وأغلظهما وأجفاهما، فقال له أبو بكر من نرسل إليه: فقال عمر: نرسل إليه قنفذًا وهو رجل فظ غليظ جاف من الطلقاء أحد بني عدي بن كعب، فأرسله وأرسل معه أعوانًا وانطلق فاستأذن على عليّ عليه السلام فأبى أن يأذن لهم فرجع أصحاب قنفذ إلى أبي بكر وعمر وهما جالسان في المسجد والناس حولهما فقالوا: لم يؤذن لنا، فقال عمر: اذهبوا فإن أذن لكم وإلا فادخلوا بغير إذن، فانطلقوا فاستأذنوا فقالت فاطمة عليها السلام: أُحرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن فرجعوا وثبت قنفذ الملعون فقالوا: إن فاطمة قالت كذا وكذا فتحرجنا أن ندخل بيتها بغير إذن فغضب عمر وقال: مالنا وللنساء ثم أمر أناسًا حوله أن يحملوا الحطب، فحملوا الحطب وحمل معهم عمر فجعلوه حول منزل عليّ وفاطمة وابناها ثم نادى عمر حتى أسمع عليًا عليه السلام وفاطمة والله لتخرجن يا علي! ولتبايعن خليفة رسول الله إلا أضرمت عليك النار، فقالت فاطمة عليها السلام: يا عمر! مالنا ولك؟

فقال: افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم بيتكم فقالت: يا عمر! أما تتقي الله تدخل على بيتي فأبى أن ينصرف، ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ثم دفعه فدخل استقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت يا أبتاه، يا رسول الله، فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت يا أبتاه فرفع السوط فضرب به ذراعها فنادت يا رسول الله! لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهمّ بقتله فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أوصاه به، فقال: والذي كرم محمدًا بالنبوة يا ابن صهاك! لو لا كتاب من الله سبق وعهد عهده إليّ رسول الله لعلمت أنك لا تدخل بيتي فأرسل عمر يستغيث فأقبل الناس حتى دخلوا الدار وثار علي عليه السلام إلى سيفه فرجع قنفذ إلى أبي بكر وهو يتخوف أن يخرج علي عليه السلام بسيفه لما قد عرف من بأسه وشدته فقال أبو بكر لقنفذ ارجع فإن خرج وإلا فاقتحم عليه بيته فإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار فانطلق قنفذ الملعون فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن وثار علي عليه السلام إلى سيفه فسبقوه إليه وكاثروه وهم كثيرون، فتناول بعض سيوفهم فكاثروه فألقوا في عنقه حبلاً وحالت بينهم وبينه فاطمة عليها السلام عند باب البيت فضربها قنفذ الملعون بالسوط فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته لعنه الله.

ثم انطلق بعلي عليه السلام يعتل عتلاً حتى انتهى به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه، وخالد بن الوليد وأبو عبيدة بن الجراح وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل والمغيرة بن شعبة وأسيد بن حضير وبشير بن سعد وسائر الناس حول أبي بكر عليهم السلام، قال قلت لسلمان: أدخلوا على فاطمة عليها السلام بغير إذن؟ قال: إي والله وما عليها خمار فنادت يا أبتاه يا رسول الله فلبئس ما خلفك أبو بكر وعمر وعيناك لم تتفتأ في قبرك، تنادي بأعلى صوتها، فلقد رأيت أبا بكر ومن حوله يبكون ما فيهم إلا باك غير عمر وخالد والمغيرة بن شعبة وعمر يقول: إنا لسنا من النساء ورأيهن في شيء، قال: فانتهوا بعلي عليه السلام إلى أبي بكر وهو يقول، أما والله لو وقع سيفي في يدي لعلمتم أنكم لم تصلوا إلى هذا أبدًا، أما والله ما ألوم نفسي في جهادكم، ولو كنت

استمكنت من الأربعين رجلاً لفرقت جماعتكم ولكن لعن الله أقوامًا بايعوني ثم خذلوني، ولما أن بصر به أبو بكر صاح خلوا سبيله، فقال علي عليه السلام يا أبا بكر ما أسرع ما توثبتم على رسول الله (ص) بأي حق وبأي منزلة دعوت الناس إلى بيعتك ألم تبايعني بالأمس بأمر الله وأمر رسول الله (ص) وقد كان قنفذ لعنه الله حين ضرب فاطمة عليها السلام بالسوط حين حالت بينه وبين زوجها وأرسل إليه عمر إن حالت بينك وبينه فاطمة فاضربها فألجأها قنفذ إلى عضادة لبيتها ودفعها فكسر ضلعها من جنبها فألقت جنينًا من بطنها فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت صلى الله عليها من ذلك شهيدة، قال: ولما انتهى بعلي عليه السلام إلى أبي بكر انتهره عمر وقال له: بايع ودع عنك هذه الأباطيل فقال له علي عليه السلام فإن لم أفعل فما أنتم صانعون؟ قالوا: نقتلك ذلاً وصغاراً، فقال: إذًا تقتلون عبدًا لله وأخا رسوله، قال أبو بكر: أما عبد الله فنعم وأما أخا رسول الله فما نقر بهذا قال: أتجحدون أن رسول الله (ص) آخى بيني وبينه، قال: نعم، فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات ثم أقبل عليهم علي عليه السلام فقال: يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار وأنشدكم الله أسمعتم رسول الله (ص) يقول يوم غدير خم كذ وكذا، فلم يدع عليه السلام شيئًا قاله فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم علانية للعامة إلا ذكرهم إياه قالوا: نعم! فلما تخوف أبو بكر أن ينصره الناس وأن يمنعوه، بادرهم فقال: كلما قلت حق قد سمعناه بآذاننا ووعته قلوبنا ولكن قد سمعت رسول الله يقول بعد هذا إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا واختار لنا الآخرة على الدنيا وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل البيت النبوة والخلافة فقال علي عليه السلام هل أحد من أصحاب رسول الله (ص) شهد هذا معك، فقال عمر: صدق خليفة رسول الله قد سمعته منه كما قال، وقال أبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل: قد سمعنا ذلك من رسول الله فقال علي عليه السلام لقد وفيتم بصحيفتكم التي تعاقدتم عليها في الكعبة إن قتل الله محمدًا أو مات لتزون هذا الأمر عنا أهل البيت، فقال أبو بكر: فما علمك بذلك؟ ما أطلعناك عليها فقال عليه السلام: أنت يا زبير وأنت يا سلمان وأنت يا أبا ذر وأنت يا مقداد أسألكم بالله وبالإسلام أما سمعتم رسول الله (ص) يقول ذلك وأنتم تسمعون أن فلانًا وفلانًا حتى عدهم هؤلاء الخمسة

قد كتبوا بينهم كتابًا وتعاهدوا فيه وتعاقدوا على ما صنعوا، فقالوا: اللهم نعم قد سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك لك إنهم قد تعاهدوا وتعاقدوا على ما صنعوا وكتبوا بينهم كتابًا إن قتلت أو مت أن يزووا عنك هذا يا علي، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله فما تأمرني إذا كان ذلك أن أفعل، فقال: لك إن وجدت عليهم أعوانًا فجاهدهم ونابذهم وإن أنت لم تجد أعوانًا فبايع واحقن دمك، فقال علي عليه السلام: أما والله لو أن أولئك الأربعين رجلاً الذين بايعوني وفوا لي لجاهدتكم في الله ولكن أما والله لا ينالها أحد من عقبكما إلى يوم القيامة وفيما يكذب قولكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ فالكتاب النبوة، والحكمة السنة والملك الخلافة ونحن آل إبراهيم، فقام المقداد فقال: يا علي! بما تأمرني؟ والله إن أمرتني لأضربن بسيفي وإن أمرتني كففت فقال علي عليه السلام كف يا مقداد واذكر عهد رسول الله (ص) وما أوصاك به فقمت وقلت: والذي نفسي بيده لو أني أعلم أنى أدفع ضيمًا وأعز لله دينًا لوضعت سيفي على عنقي ثم ضربت به قدما قدما، أتثبون على أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصيه وخليفته في أمته وأبي ولده فأبشروا بالبلاء واقنطوا من الرخاء، وقام أبو ذر فقال: أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها المخذوله بعصيانها إن الله يقول: (إن الله اصطفى آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم) وآل محمد الأخلاف من نوح وآل إبراهيم من إبراهيم والصفوة والسلالة من إسماعيل وعترة النبي محمد وأهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وهم كالسماء المرفوعة والجبال المنصوبة والكعبة المستورة والعين الصافية والنجوم الهادية والشجرة المباركة أضاء نورها وبورك زيتها محمد خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم وعلي وصي الأوصياء وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وهو الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ووصي محمد ووارث علمه وأولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم كما قال الله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فقدموا من قدم الله، وأخروا من أخر الله،

واجعلوا الولاية والوراثة لمن جعل الله، فقام عمر فقال لأبي بكر وهو جالس فوق المنبر، ما يجلسك فوق المنبر وهذا جالس محارب لا يقوم فيبايعك أو تأمر به فتضرب عنقه والحسن والحسين عليهم السلام قائمان فلما سمعا مقالة عمر بكيا فضمهما عليه السلام إلى صدره فقال: لا تبكيا فوالله ما يقدران على قتل أبيكما، وأقبلت أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا أبا بكر ما أسرع ما أبديتم حسدكم ونفاقكم، فأمر بها عمر، فأخرجت من المسجد وقال: ما لنا وللنساء؟ (وقام بريدة الأسلمي) وقال: أتثب يا عمر على أخي رسول الله (ص) وأبي ولده وأنت الذي نعرفك في قريش بما نعرفك ألستما اللذين قال لكما رسول الله (ص) انطلقا إلى علي وسلما عليه بامرة المؤمنين فقلتما أعن أمر الله وأمر رسوله قال: نعم، فقال أبو بكر: قد كان ذلك ولكن رسول الله قال بعد ذلك: لا يجتمع لأهل بيتي النبوة والخلافة، فقال: والله ما قال هذا رسول الله (ص) والله لا سكنت في بلدة أنت فيها أمير، فأمر به عمر فضرب وطرد، ثم قال: قم يا ابن أبي طالب فبايع فقال: فإن لم أفعل قال: إذًا والله نضرب عنقك، فاحتج عليهم ثلاث مرات، ثم مد يده من غير أن يفتح كفه فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك منه، فنادى علي عليه السلام قبل أن يبايع والحبل في عنقه (يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني)» [«كتاب سليم بن قيس» ص٨٣ إلى ٨٩].

ولم يشبع بهذه القذارة وهذه الترهات إلا وزادها بأكاذيب أخرى حيث قال: «قال الزبير لما بايع أبا بكر لعمر بن الخطاب يا ابن الصهاك! أما والله لولا هؤلاء الطغاة الذين عانوك لما كنت تقدم علي ومعي سيفي لما أعرف من جبنك» [فانظر إلى الكذب الذي يكذب صاحبه ويفضحه.

أشجاع مثل الفاروق يحتاج لإثبات شجاعته إلى مثل هذا النباح الذي ينبح؟ وألد خصومه لا يتهمه بمثل ما اتهمه هذا الكذاب الأشر، إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور] ولومك، ولكن وجدت طغاة تقوى بهم وتصول، فغضب عمر وقال: أتذكر صهاك؟

قال: ومن صهاك؟ وما يمنعني من ذكرها؟ وقد كانت صهاك زانية، أو تنكر ذلك،

أو ليس كانت أمة حبشية لجدي عبد المطلب فزنى بها جدك نفيل، فولدت أباك الخطاب فوهبها عبد المطلب لجدك بعد ما زنى بها فولدته وإنه لعبد جدي ولد زنا».

[«كتاب سليم بن قيس» ص٨٩، ٩٠].

ولا هذا فحسب، بل يتقدم أكثر وأكثر في لومه ونجاسته، وخبثه ويهوديته ويقول: «قلت لسلمان: أفبايعت أبا بكر يا سلمان! ولم تقل شيئًا، قال قد قلت بعد ما بايعت تبًا لكم سائر الدهر أو تدرون ما صنعتم بأنفسكم أصبتم وأخطأتم ثم أصبتم سنة من كان قبلكم من الفرقة والاختلاف وأخطأتم سنة نبيكم حتى أخرجتموها من معدنها وأهلها، فقال عمر: يا سلمان أما إذ بايع صاحبك وبايعت فقل ما شئت وافعل ما بدا لك وليقل صاحبك ما بدا له قال سلمان: فقلت سمعت رسول الله (ص) يقول: إن عليك وعلى صاحبك الذي بايعته مثل ذنوب أمته إلى يوم القيامة ومثل عذابهم جميعًا، فقال له: قل ما شئت أليس قد بايعت ولم يقر الله عينيك بأن يليها صاحبك، فقلت: أشهد أني قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة أنك باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم فقال لي: قل ما شئت أليس قد أزالها الله عن أهل البيت الذين اتخذتموهم أربابًا من دون الله، فقلت له: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وسألته عن هذه الآية ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝﴾ فأخبرني أنك أنت هو، فقال لي عمر: اسكت أسكت الله نامتك أيها العبد ابن اللخناء فقال لي عليه السلام: أقسمت عليك يا سلمان! لما سكت فقال سلمان والله! لو لم يأمرني علي عليه السلام بالسكوت لخبرته بكل شيء نزل فيه وكل شيء سمعته من رسول الله (ص) فيه وفي صاحبه. فلما رآني عمر قد سكت قال إنك له لمطيع مسلم، فلما أن بايع أبو ذر والمقداد ولم يقولا شيئًا قال عمر: يا سلمان ألا تكف كما كف صاحباك والله! ما أنت بأشد حبًا لأهل هذا البيت منهما ولا أشد تعظيمًا لحقهم منهما وقد كفا كما نرى وبايعا، وقال أبو ذر: يا عمر! أفتعيرنا بحب آل محمد وتعظيمهم، لعن الله - وقد فعل - من أبغضهم وافترى عليهم وظلمهم حقهم وحمل الناس على رقابهم ورد هذه الأمة القهقهرى على أدبارها، فقال

عمر: آمين لعن الله من ظلمهم حقهم لا والله ما لهم فيها حق وما هم فيها وعرض الناس إلا سواء قال أبو ذر فلم خاصمتم الأنصار بحقهم وحجتهم قال علي عليه السلام لعمر: يا ابن صهاك فليس لنا فيها حق وهي لك ولابن آكلة الذباب، قال عمر: كفّ الآن يا أبا الحسن إذ بايعت فإن العامة رضوا بصاحبي ولم يرضوا بك فما ذنبي؟ قال علي عليه السلام: ولكن الله عز وجل ورسوله لم يرضيا إلا بي فابشر أنت وصاحبك ومن اتبعكما ووازركما بسخط من الله وعذابه وخزيه ويلك يا ابن الخطاب لو تدري ما منه خرجت وفيما دخلت وماذا جنيت على نفسك وعلى صاحبك».

[«كتاب سليم بن قيس» ص٩٠، ٩١].

وأيضًا: «إن تابوتًا من نار فيها اثنا عشر رجلاً ستة من الأولين وستة من الآخرين في جب، في قعر جهنم، في تابوت مقفل، على ذلك الجب صخرة، فإذا أراد الله أن يسعر جهنم كشف تلك الصخرة عن ذلك الجب فاستعرّت جهنم من وهج ذلك الجب ومن حره، .... أما الأولون ..... والآخرين، الدجال وهؤلاء الخمسة، أصحاب الصحيفة والكتاب وجبتهم وطاغوتهم الذي تعاهدوا عليه ..... وقال علي عليه السلام لعثمان - وعلي منه بريء. ورب الكعبة! -: سمعت رسول الله (ص) يلعنك ثم لم يستغفر الله لك بعد ما لعنك ..... وقال: إن الناس كلهم ارتدوا بعد رسول الله (ص) غير أربعة، إن الناس صاروا بعد رسول الله بمنزلة هارون ومن تبعه، ومنزلة العجل ومن تبعه، فعلي في شبه هارون، وعتيق في شبه العجل، وعمر في شبه السامري - عفوك يا رباه من نقل هذا الهذيان والكفريات - [«كتاب سليم بن قيس» ص٩١، ٩٢ ط بيروت].

ويقول زورًا وبهتانًا وكذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أمر الناس:

«سلموا على أخي ووزيري ووارثي وخليفتي في أمتي وولي كل مؤمن بعدي، بإمرة المؤمنين [وهل يعقل أن الرسول عليه السلام يجعل أحدًا أمير المؤمنين وهو حي موجود ثم ولا يعلمه أحد ولا يخبر بذلك في السقيفة عندما جرى هنالك ما جرى بين الأنصار والمهاجرين، ولكن القوم ليس لهم قلوب يفقهون بها، ولا أعين يبصرون بها،

أولئك كالأنعام بل هم أضل] فإنه زر الأرض الذي تسكن إليه، ولو قد فقدتموه أنكرتم الأرض وأهلها، فرأيت عجل هذه الأمة وسامريها راجعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: حق من الله ورسوله؟ فغضب رسول الله ثم قال: حق من الله ورسوله، ..... فقالا: ما بال هذا الرجل ما زال يرفع خصيصة ابن عمه».

[«كتاب سليم بن قيس» ص١٦٧].

وتجرأ هذا اللعين إن كان هو القاتل، أو من نسب إليه هذا واخترعه باسمه، وافترى على أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، زوجته، أم المؤمنين - بما فيهم علي وعائلته لأنهم من المؤمنين، وأزواجه أمهاتهم - على الصديقة الطيبة الطاهرة بشهادة القرآن، فقال:

«دخل علي عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة قاعدة خلفه .... فقعد بين رسول الله (ص) وبين عائشة فغضبت وقالت: ما وجدت لإستك موضعًا غير حجري، فغضب رسول الله (ص) وقال: يا حميراء لا تؤذيني في أخي عليّ فإنه أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وصاحب الغر المحجلين يجعله الله على صراط فيقاسم النار ويدخل أولياءه الجنة ويدخل أعداءه النار» [«كتاب سليم بن قيس» ص١٧٩].

وأخيرًا ننقل عنه ما أورده في الخلفاء الراشدين الثلاثة حيث يذكر.

أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان [الذي آمن عام الفتح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن (كتاب الخصال لابن بابويه القمي ج١ ص٢٧٦)] رضي الله عنهما فيما كتب:

«إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى اثنى عشر إمامًا من أئمة الضلالة على منبره يردون الناس على أدبارهم القهقهري، رجلان من قريش، وعشرة من بني أمية، أول العشرة صاحبك الذي تطلب بدمه - أي عثمان - [«كتاب سليم بن قيس» ص١٩٦].

هذا وما أكثر مثل هذا الكتاب الذي كتب على غلافه:

«من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم بن قيس العامري فليس عنده من أمرنا شيء، وهو سر من أسرار محمد صلى الله عليه وسلم، الإمام الصادق».

والذي قال فيه المجلسي: «والحق أنه من الأصول المعتبرة» [مقدمة الكتاب ص١٣].

وقال فيه ابن النديم الشيعي في الفهرست: «وكان قيس شيخًا له نور يعلوه وأول كتاب ظهر للشيعة كتاب سليم بن قيس» [مقدمة الكتاب ص١٣].

وقال الشيخ الجليل للقوم محمد بن إبراهيم الكاتب النعماني في كتاب الغيبة المطبوع بإيران: «وليس بين جميع الشيعة ممن حمل العلم ورواه عن الأئمة عليهم السلام خلاف في أن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها لأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل، إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله (ص) وأمير المؤمنين عليه السلام وسمع منهما، وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها».

[مقدمة الكتاب ص١٢].

أو بعد هذا مجال لقائل مخادع أن يقول:

إن فكرة اتهام الشيعة بسب الصحابة وتكفيرهم - كونتها السياسة الغاشمة، وتعاهد تركيزها أناس مرتزقة باعوا ضمائرهم بثمن بخس وتمرغوا على أعتاب الظلمة، يتقربون إليهم بذم الشيعة وقد استغل أعداء الدين هذه الفرصة فوسعوا دائرة الانشقاق لينالوا أغراضهم، ويشفوا صدورهم من الإسلام وأهله، وراح المهرجون يتحمسون لإثارة الفتن وإيقاد نار البغضاء بين المسلمين بدون تدبر وتثبت، وقد ملئت قلوبهم غيظًا.

وبحكم السياسة وتحكمها أصبحت الشيعة وهى ترمي بكل عظيمة وتهاجم بهجمات عنيفة، واندفع ذووا الأطماع يعرضون ولاءهم للدولة في تأييد ذلك النظام والاعتراف به، وأنه قد أصبح جزءًا من حياة الأمة العقلية وهم يخادعون أنفسهم.

ولم يفتحوا باب النقاش العلمي، وحرموا الناس حرية القول، وأرغموهم على الاعتراف بكفر الشيعة والابتعاد عن مذهب أهل البيت عليهم السلام ولو سألهم سائل عن الحقيقة وطلب منهم أن يوضحوا لهم ذلك، فليس له جواب إلا شمول ذلك النظام له،

ونحن نسائلهم:

١- أين هذه الأمة التي تكفر جميع الصحابة ويتبرءون منهم؟

٢- أين هذه الأمة التي تدعي لائمة أهل البيت عليهم السلام منزلة الربوبية؟

٣- أين هذه الأمة التي أخذت تعاليمها من المجوس فمزجتها في عقائدها؟

٤- أين هذه الأمة التي حرفت القرآن وادعت نقصه؟

٥- أين هذه الأمة التي ابتدعت مذاهب خارجة عن الإسلام؟

إنهم لا يستطيعون الجواب على ذلك، لأن الدولة قررت هذه الاتهامات فلا يمكنهم مخالفتها، ولا يمكن إقناعهم بلغة العلم، وما أقرب الطريق إلى معرفة الحقيقة لو كان هناك صبابة من تفكير وبقايا من حب الاستطلاع وخوف من الله وحماية للدين» [الإمام الصادق» لأسد حيدر الشيعي ج٢ ص٦١٧، ٦١٨ ط بيروت].

فنقول له: يا أستاذ! فكرة اتهام الشيعة بسب الصحابة وتكفيرهم - كونتها السياسة الغاشمة: أو إنها حقيقة واسعة واضحة بينة ثابتة مرة؟

وقد أثبتها كتبكم أنتم مهما حاولتم تغطيتها، وطالما قصدتم إخفاءها.

فهل بعد نشر مثل هذه الكتب الخبيثة الجريحة تريدون أن تخدعوا المسلمين بأنكم لستم إلا طائفة من طوائف الإسلام وفئة من فئات المسلمين ولو منحرفة؟

فلا والله! لن ينخدع بهذه الأباطيل إلا من يريد أن يخدع نفسه لينال غرضًا من أغراضه، وطامع يعرض ولائه لهذا أم ذاك، أو جاهل غافل لا يدري عن الحق والحقيقة شيئًا.

وهناك كم من المرتزقة وقفوا أقلامهم للطغاة والأشرار الشاتمين لأصحاب رسول الله، والطاعنين لحملة الإسلام وناشري الرسالة، يدافعون عن أولئك الطغاة، ويؤولون أقوالهم وكتاباتهم بتأويلات وتبريرات يمجها العقل ويزدريها الحجى، بائعين ضمائرهم بثمن بخس دراهم معدودة، هاتفين شعار وحدة الأمة واتفاقها واتحادها، وهل يمكن الاتحاد على أعراض الخلفاء الراشدين وهي تنتهك، وحرمات أزواج النبي، أمهات المؤمنين وهي تنتهب وتستلب؟

وهل يمكن أن تجتمع كلمة المسلمين ومثل هذه الكتب تطبع وتنشر؟

ومثل هذه العقائد فإنها تعلن بها وتجهر؟

أو يقال للجريح: لا تتأوه وللمضروب لا تتأفف فلا ولا، تلك إذًا قسمة ضيزى.

فأين دعاة التقريب من مغفلي السنة، أو من باع دينه بدنياه؟

أين هؤلاء! ألا ينظرون إلى مثل هذه الكتب، وما أكثرها، وعقائد القوم وما أعمقها؟

فلا يخلوا كتاب من كتب القوم الأصلية إلا وهو مليء من السباب والشتائم، واللعن والطعن مثل كتاب «سليم بن قيس» [ونحن نعرف بأن بعضًا منهم لم يقرءوا من كتب القوم إلا ما كتب تقية لخداع العامة من السنة مثل «أصل الشيعة وأصولها» لمحمد حسين آل كاشف الغطاء، وككتاب أسد حيدر «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة»].

ولقد ذكرنا بعض العبارات من بعضها، وها نحن نلقي نظرة عابرة على البعض الآخر.

فمن كتب الشيعة في الحديث والرجال كتاب هام وقديم باسم «معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين» لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي [قال عنه القمي: هو الشيخ الجليل المتقدم أبو عمرو، قال الشيخ طوسي: إنه ثقة، بصير بالأخبار والرجال، حسن الاعتقاد صحب العياشي وأخذ عنه وتخرج عليه، وداره كان مرتعًا للشيعة وأهل العلم.... ويظهر من معالم العلماء أن اسم كتابه «معرفة الناقلين عن الأئمة الصادقين» عليهم السلام واختصره شيخ الطائفة وسماه اختيار الرجال وصرح جماعة من أئمة الفن أن الموجود المتداول من عصر العلامة إلى وقتنا هذا هو اختيار الشيخ، والكشي نسبة إلى الكش من بلاد ما وراه النهر» (الكنى والألقاب) ج٣ ص٩٤، ٩٥. وكان من مواليد القرن الرابع من الهجرة وتوفي فيه] والذي يعرف برجال الكشي، وهذا الكتاب له ميزة أخرى حيث ذكروا أن شيخ الطائفة أبا جعفر الطوسي الذي أدرج كتاباه «الاستبصار» و «التهذيب» في الصحاح الأربعة الشيعية هو الذي لخصه ورتبه، وبهذا يصير هذا

الكتاب لشخصين، لمحدثهم وكبيرهم في الرجال ومعولهم وسندهم وحجتهم الكشي، ولإمامهم وشيخهم شيخ الطائفة الطوسي.

فمن هذا الكتاب نورد بعض الروايات التي تنبئ عن خرافات القوم وسخافاتهم، وعن حسدهم وبغضهم هؤلاء الأخيار، صحابة النبي المختار صلى الله عليه وسلم، خلفاءه الراشدين، ونوابه المهديين، رضوان الله عليهم أجمعين.

يكتبون فيه:

«إن محمد بن أبي بكر بايع عليًا عليه السلام من البراءة من أبيه».

[«رجال الكشي» تحت ترجمة محمد بن أبي بكر ص٦١ ط كربلاء].

وأيضًا أنه قال لعلي: أشهد أنك إمام مفترض طاعتك وإن أبي في النار».

[«رجال الكشي» تحت ترجمة محمد بن أبي بكر ص٦١ ط كربلاء].

و«كان صهيب عبد سوء يبكي على عمر».

[«رجال الكشي» ص٤١ تحت ترجمة بلا وصهيب].

ويقول فيهما: «ما أهريق دم، ولا حكم بحكم غير موافق لحكم الله وحكم رسوله صلى الله عليه وسلم وحكم علي إلا وهو في أعناقهما» [«رجال الكشي» ص١٧٩، ١٨٠].

وأيضًا: «ما أهريق في الإسلام محجمة من دم، ولا اكتسب مال من غير حله، ولا نكح فرج حرام إلا ذلك في أعناقهما إلى يوم يقوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسببهما والبراءة منهما» [«رجال الكشي» ص١٨٠].

ويقول في ذي النورين [من الأفضل، علي أم نبي؟ ولا ندري أن الأصل في الفضل هو النبي صلوات الله وسلامه عليه أم علي رضي الله عنه عند القوم لأنه إن كان الفضل والشرف لعلي بسبب النبي صلى الله عليه وسلم بأنه صهره، زوج بنته وقريبه ومطيعه فلم حرم الآخرون المنتسبون إلى الرسول العظيم عليه الصلاة والسلام، فكل من انتسب إليه وصدقه وآمن به وأطاعه وأحبه وقدمه على والديه وولده، وصاهره فهو عظيم يعظم، وكبير يؤقر، ومحترم يحترم حسب منزلته ومقامه، فعلي زوج ابنته فاطمة فيكرم، وجدير به أن يكرم، وذو النورين زوج ابنتيه زوجهما رسول الله الناطق بالوحي

واحدة بعد واحدة عن رضى القلب وطيب النفس، وأنزله منزلة الفؤاد كما رواه علي، فلم لا يحترم ويعظم ويؤقر وهو مع ذلك ابن بنت عمته الحقيقية، وأول مهاجر في سبيل الله من المؤمنين بإيمانه وإسلامه؟ فعدلاً يا عباد الله.

وإننا لنرى بأن القوم لا يجعلون النبي أصلاً وجذرًا يعظم ويحترم علي لأجله ونسبته إليه، بل هم يعظمونه ويحترمونه لعلي لأنه أخذ ابنته، وجعله قريبه وحبيبه. لذلك كل من اقترب من علي وناصره وساعده وأيده ودخل في شيعته هو الأفضل والأعلى لا غير، وعلى ذلك اخترعوا تلك الرواية الغريبة العجيبة المكذوبة والموضوعة الباطلة:

«إن الصدوق طاب ثراه يروي عن النبي (ص) قال: أعطيت ثلاثًا، وعلي مشاركي فيها، وأعطي علي عليه السلام ثلاثة ولم أشاركه فيها، فقيل: يا رسول الله وما الثلاث التي شاركك علي؟

قال: «لواء الحمد لي وعلى حامله، والكوثر لي وعلي عليه السلام ساقيه، والجنة والنار لي وعلي قسيمها، وأما الثلاث التي أعطي علي ولم أشاركه فيها، فإنه أعطي شجاعة ولم أعط مثله، وأعطي فاطمة الزهراء زوجة ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلها، وأعطي ولديه الحسن والحسين ولم أعط مثلهما».

[الأنوار النعمانية لنعمة الله الجزائري].

والمجلسي لم يقتنع بهذا فزاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له فيما قال: وخديجة كانت (أم الزوجة) ولم أعط كنة مثلها، ومثلي رحيمك ولا رحيم لي مثل رحيمك (أب الزوج)، وجعفر شقيقك وليس لي شقيق مثله، وفاطمة الهاشمية أمك وأنى لي مثلها» [بحار الأنوار للمجلسي ص٥١١ ط قديم الهند].

وهذه الروايات إن دلت - ومثلها كثيرة كثيرة - دلت على حقيقة معتقدات القوم بأنهم يعدون عليًا الأصل ونبينا صلى الله عليه وسلم الفرع، كما أنهم يصرحون بأفضليته على رسول الله سيد الخلق صلى الله عليه وسلم، وهذا ظاهر بيّن، لا شك فيه: إن الآية ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾.

نزلت في عثمان [«رجال الكشي» ص٣٤].

فهذا هو كشيهم وطوسيهم.

وأما العاملي النباتي [هو أبو محمد زين الدين علي بن يونس العاملي، ولد في أوليات القرن التاسع ومات ٨٧٧ «فقيه محدث مفسر»] [معجم المؤلفين ج٧ ص٢٦٦].

«من فقهاء جبل العامل، ومن أفذاذ العلماء وجهابذة الكلام وأساطين الشريعة وأفاضل الرجال» [مقدمة للصراط ج٢ ص١٩].

وأما كتابه «الصراط المستقيم» هو أجلّ آثار المؤلف وأعظم مصنفاته فلقد خصص جزءً مستقلاً من كتابه للطعن واللعن، وبوب الباب بعنوان «باب في الطعن فيمن تقدمه (أي علي) بظلمه وعدوانه، وما أحدث كل واحد في زمانه من طغيانه» – ويكتب تحته – «وهذا الباب ينوع إلى ثلاثة بحسب المشايخ الثلاثة» [«الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم» للعين النباتي ج٢ ص٢٧٩ ط مطبعة الحيدري ونشر المكتبة المرتضوية].

فكتب فيها كتب في النوع الأول على لسان رافضي مثله:

قالوا أبا بكر خليفة أحمد	**كذبوا عليه ومنزل القرآن**
ما كان تيمي له بخليفة	**بل كان ذاك خليفة الشيطان**

[«الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم» ج٢ ص٢٩٩].

ويكتب ما في جعبته من الحقد والبغض لصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثاني اثنين إذ هما في الغار حيث يفتري على محمد بن أبي بكر أنه قال:

«كنت عند أبي أنا وعمر وعائشة وأخي، فدعا بالويل ثلثًا وقال: هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرني بالنار، وبيده الصحيفة التي تعاقدنا عليها، فخرجوا دوني وقالوا: يهجر، فقلت: تهذي؟ قال: لا والله! لعن الله ابن الصهاك، فهو الذي صدني عن الذكر بعد إذ جاءني.

فما زال يدعو بالثبور حتى غمضته، ثم أوصوني لا أتكلم حذرًا من الشماتة» [«الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم» جص ص٣٠٠].

هذا ما كتبه هذا الشاتم حشره الله مع مبغضي رسول الله وأصحابه.

وأما ما افتراه علي عبقري الإسلام، فاتح قيصر، وهازم شوكة الكسروية، ومخرج اليهودية عن جزيرة العرب، وصهر علي بن أبي طالب زوج أم كلثوم أنه قال عند احتضاره: ليتني كنت كبشًا لأهلي، فأكلوا لحمي ومزقوا عظمي، ولم أرتكب إثمي».

[«الصراط المستقيم ج٣ ص٢٥ تحت النوع الثاني].

ويكتب هذا اللعان اللعين تحت عنوان «كلام في خساسته وخبث سريرته» ما يستحي منه الفسقة الفجرة أن قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ﴾ و ﴿ٱلْخَبِيثَـٰتُ لِلْخَبِيثِينَ﴾ نزلتا فيه» [الصراط المستقيم ج٣ ص٢٨].

وتجرأ أكثر، وبلغ إلى الدرك الأسفل من النار حيث كتب:-

إذا نسبت عديًا في بني مضر ... فقدم الدال قبل العين في النسب
وقدم السوء والفحشاء في رجل ... وغد زنيم عتل خائن النسب

[الصراط المستقيم ج٣ ص٢٩].

وقال فيهما أعني في الصديق والفاروق:

وكل ما كان من جور ومن فتن ... ففي رقابهما في النار طوقان

[الصراط المستقيم ج٣ ص١٣].

وكتب في صاحب الجود والحياء، زوج ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

كتب في النوع الثالث:

«إنه سمي نعثلاً تشبيها بذكر الضباع، فإنه نعثل لكثرة شعره ..... ويقال: النعثل، التيس الكبير العظيم اللحية، وقال الكلبي في «كتاب المثالب»: «كان عثمان ممن يلعب به ويتخنث، وكان يضرب بالدف» [«الصراط المستقيم» ج٣ ص٣٠].

وكتب «ما كان لعثمان اسم على أفواه الناس إلا الكافر» [الصراط المستقيم ج٣ ص٣٦].

وأخيرًا ننقل من هذا الكلب العقور ما قاله في الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم وأرضاهم أن قول الله عز وجل: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ نزلت في الثلاثة» [الصراط المستقيم ج٣ ص٤٠].

وأيضًا - والسم من فيه وقلبه يتدفق -.

فكـــن مـــن عتيـــق ومـــن غنـــدر أبيًّـــا بريئًـــا ومـــن نعثـــل
كـــلاب الجحـــيم خنازيرهـــا أعـــادي بنـــي أحمـــد المرســـل

[الصراط المستقيم ج٣ ص٤٠].

فهذه هي العقائد الشيعية في أصحاب رسول الله عامة، وفى الخلفاء الراشدين الثلاثة خاصة، ولا يقول قائل: كان هذا قديمًا، وأما المتأخرون فلا يقولون مثل هذا.

ولا ينخدع مخدوع، ولا يغتر جاهل بقول البعض:

«وعمدة ما ينقمه غير الشيعة عليهم دعوى القدح في السلف أو أحد ممن يطلق عليه اسم الصحابي، والشيعة يقولون: إن احترام أصحاب نبينا (ص) من احترام نبينا، فنحن نحترمهم جميعًا لاحترامه» [«أعيان الشيعة» ج١ ص٦٩ ط بيروت].

أما الأول، فلا يهذي بمثل هذه الهذيانات القدامى فقط، بل المتأخرون على شاكلتهم ومنوالهم كما نحن نقلنا من المتقدمين والمتأخرين من المفسرين والمحدثين والفقهاء، وكما سننقله أيضًا.

وحتى هذه الكتب التي ألفها متقدموهم فلم يطبعها إلا المتأخرون، وقد علقوا عليها وحققوها، ومجدوها وبالغوا في مدحها والثناء عليها، ولو لم يكن ترضيهم هذه الكتب وما فيها من الشتائم والسخافات لم يقوموا بنشرها وتمجيدها، وهل يمكن لأهل السنة أن يطبعوا كتابًا يكون فيه تكفير وتفسيق، وطعن ولعن لعلي رضي الله عنه وسبطي رسول الله الحسن والحسين رضي الله عنهما ؟ - معاذ الله -.

وليس الطبع والنشر فحسب، بل الثناء العاطر والمدح البالغ.

فانظر مثالاً لذلك هذا الكتاب بعينه، فالقوم لم يكتفوا بطبعه ونشره وتوزيعه في المسلمين، بل جعلوه «أنفس الأسفار وأحسن ما كتب في مبحث الإمامة، وأشبعها بحثًا وتحقيقًا، وأحكمها بالأدلة النقلية والعقلية والبراهين القاطعة، والأخبار

الصحيحة، والآيات الصريحة التي لا تقبل التأويل والتفسير بغير ما هي له وفيه» [نص ما كتبه «سماحة الحجة الكبير آية الله الإمام الشيخ آغا بزرك الطهراني»، أحد الأعلام المجتهدين في النجف الأشرف، صاحب تصنيف الذريعة وغيره» (انظر مقدمة ج٢ ص٢٤)].

ويقول آخر:

لعمري! إنه الكتاب العجيب في موضوعه، قال العلامة صاحب الروضات، لم أر بعد كتاب الشافي لسيدنا المرتضى علم الهدى مثله، بل راجح عليه لوجوه شتى» [مقدمة «الصراط المستقيم» ج١ ص٩ لشهاب الدين المرعشي النجفي].

ورووا مثل ذلك عن الكحالة [«معجم المؤلفين» ج٧ ص٢٦٦].

والقمي [«الكنى والألقاب» ج٢ ص١٠١]، والخوانساري [«روضات الجنات» ج١ ص٤٠٠]، والأصفهاني [«رياض العلماء» ص٥٨٦]، والحر العاملي [«أمل الآمل» ص٢٣] وغيرهم، وهؤلاء كلهم من المتأخرين.

وأما الثاني: أي قول بعض الشيعة بأنهم لا يقدحون في الصحابة ويرون احترامهم لاحترام النبي فليس إلا خدعة يريدون أن يخدعوا بها السذج من السنة، وتقية يظهرون خلاف ما يبطنون ويعتقدون.

وأصدق دليل على ذلك تلك القصيدة المدحية التي قرضها السيد محسن الأمين في تعريف هذا الكتاب الخبيث وتمجيده، وقد أوردها في كتابه الكبير عند ذكر هذا الكتاب وتحت ترجمة مؤلفه وهذا مع دعواه أن احترام الصحابة من احترام النبي.

فانظر إليه ماذا يقول:

هذا الكتاب مبشر برشاد من ... يسلك طرائقه بغير خلاف
فكأنه المبعوث أحمد إذا أتى ... في آخر الأديان بالإنصاف
وكأنه من بين كتب الشيعة ... المتقدمين كسورة الأعراف
ينبيك عن حال الرجال وما رووا ... بعبارة تغني وقول شاف
فهو الصراط المستقيم ومنهج الد ... ين القويم لسالكيه كافي
تأليف من شهدت له آراؤه ... بكماله في سائر الأوصاف
للشيخ زين الدين قطب زمانه ... رب المكارم عبد آل مناف
فلقد أنار منار شيعة حيدر ... وأباد من هو للنصوص منافي
فجزاءه من أحمد ووصيه ... أهل السماحة معدن الأشراف

[«أعيان الشيعة» ج٤٢ ص٣٢ نقلاً عن ترجمة النباتي للطهراني].

لعل هذا يكون تذكرة للمغفلين، وعبرة للمخدوعين، ونصيحة للمغترين، كلا إنها تذكرة فمن شاء ذكره.

هذا وكان في ما ذكرنا كفاية لمعرفة القوم وبغضهم لأسلاف هذه الأمة ومحسنيها، ولكن لتتميم البحث، وتكميل الموضوع نذكر روايات يسيرة من كتب أخرى، ومن علمائهم وفقهائهم.

ومنهم الأردبيلي [هو أحمد بن محمد الأردبيلي والأردبيل مدينة بأذربيجان، من مواليد القرن العاشر من الهجرة ومات سنة ٩٩٣ «كان متكلمًا فقيهًا عظيم الشأن جليل القدر، رفيع المنزلة، وإنه ممن رأى الإمام صاحب الزمان.... له مصنفات جيدة منها «آيات الأحكام» و«حديقة الشيعة» (الكنى والألقاب للقمي ج٣ ص١٦٧).

«وإنه كان يراجع في الليل ضريح الإمام في ما اشتبه عليه من المسائل ويسمع الجواب، وربما يحيله في المسائل مولانا صاحب الدار عليه السلام إذا كان في مسجد الكوفة» [روضات الجنات ج١ ص٨٤] فإنه أيضًا خصص قسمًا من كتابه للطعن واللعن، والتفسيق والتكفير لأصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم عامة، وللخلفاء

الراشدين الثلاثة خاصة، فيكتب تحت باب مطاعن الخلفاء الثلاثة:

«إن الخلفاء الثلاثة تخلفوا عن جيش أسامة وخالفوا أمر النبي في متابعته فكفروا، واستحقوا بكفرهم اللعن» [«حديقة الشيعة» ص٢٣٣ ط طهران].

ويكتب في الصديق والفاروق:-

فـــالله يعلـــم أن الخلـــق حقهـــم ... لا حـــــق تـــــيم ولا عـــــديين

لا تظلمـــن أخـــا تـــيم أبـــا حـــسن ... إذ خـــصه الله مـــن بـــين الوصـــيين

خـــص النبـــي عليّـــا يـــوم كفـــركم ... بـــالعلم والحلـــم والقـــرآن والـــدين

[«حديقة الشيعة» ص٢٣٣ ط طهران].

ويكتب تحت عنوان مطاعن عمر خاصة:

«إن لعمر مطاعن لا تنحصر في التقرير ولا التحرير» [«حديقة الشيعة» ص٢٦٦].

وكتب عن عثمان بن عفان رضي الله عنه تحت عنوان مطاعن عثمان خاصة «أن المسلمين لما هزموا في وقعة أحد أراد عثمان أن يفر إلى الشام، ويستجير هناك عند صديق يهودي، وأراد طلحة أن يستجير هناك عند صديق نصراني، فأراد أحدهما أن يتهود، والآخر أن يتنصر» [«حديقة الشيعة» ص٣٠٢].

وكتب: «إن عثمان كان على الباطل ملعونًا» [«حديقة الشيعة» ص٢٧٥].

وأما ابن الطاؤس الحسني [هو علي بن موسى بن الطاؤس، ولد في الحلة سنة ٥٨٩، ونشأ بها ثم أقام ببغداد خمسة عشر عامًا في زمن العباسيين، ثم رجع إلى الحلة، وأخيرًا عاد إلى بغداد باقتضاء المصالح في دولة مغول، وولع نقابة الطالبين بالعراق في ثلاث سنين وأحد عشر شهرًا من قبل هولاكو في سنة ٦٦١ مع امتناعه الشديد عن ولاية النقابة في زمان «المستنصر»، وتوفي سنة ٦٦٤ (مقدمة الكتاب نقلاً عن «البحار» ١٠٧/٤٤). وقال التفرشي: إنه من أجلاء هذه الطائفة وثقاتها، جليل القدر» (نقد الرجال ص١٤٤)، وسمى المؤلف نفسه في هذا الكتاب بعبد المحمود تقية عن الخلفاء الذين كان في بلادهم (ص١٤)] الذي قبل النقابة من قبل هلاكو، قاتل المسلمين

ومبيدهم، ولم يقبلها عن العباسيين، فقد أظهر حقده للصديق الأكبر رضي الله عنه بقوله: كيف استجازوا استخلاف أبي بكر، وتركوا العباس وعليًا وغيرهما من بني هاشم، وبنو هاشم أقرب إلى نبيهم من بني تيم وعدي ..... فكيف صار الأقرب الأفضل أقل منزلة من الأبعد الأرذل».

[«الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» لابن طاوس ص٤٠١ ط مطبعة الخيام قم ١٤٠٠هـ].

وأيضًا «أمر رسول الله عليًا عليه السلام فنام على فراشه، وخشي من ابن أبي قحافة أن يدل القوم عليه فأخذه معه إلى الغار» [«الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» ص٤١٠].

ويكتب في عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان قبل الإسلام نخاس الحمير، ويتقدم ويقول:

إن جدته الصهاك الحبشية ولدته من سفاح يعني من زنا، ثم يروون أن ولد الزنا لا ينجب، ثم مع هذا التناقض يدعون أنه أنجب، ويكذبون أنفسهم، ولو عقلوا لاستقبحوا أن يولوا خليفة، ثم شهدوا أنه ولد الزنا».

[«الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» ص٤٦٨، ٤٦٩].

وانظر إلى تعبيره السيئ وعبارته الخبيثة.

«واختاروا عمر وهذه حاله على ما شهدوا به عليه، ثم انظر كيف كان خلاص عمر من حمل الحطب وعري الجسد ونخس الحمير بطريق نبيهم محمد (ص) بعد وفاته، ثم تفكر فيما كان يجابهه في حياته من سوء المعاملة وقبح الصحبة، وما جاز به أهل بيت نبيهم بعد وفاته» [«الطرائف في معرفة مذهب الطوائف» ص٤١٧].

وكتب عن عثمان رضي الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين.

«وقام الثالث كالغراب همته بطنه، ويله لو قُصّ جناحه وقطع رأسه لكان خيرًا له». [«الطرائف في معرفة مذهب الطوائف» ص٤١٧].

وأما حجة القوم ومجددهم، فقيههم ومحدثهم الملا باقر المجلسي الذي يسمونه خاتم المحدثين وإمام الأخباريين، فهو إمامهم في الدجل والكذب، واللعن والطعن، وإنه لفاق الأولين في الإفك والبهتان، والافتراء والهذيان، وجاوز جميع الحدود

الأخلاقية واللاأخلاقية، فلقد بوّب في كتابه «حق اليقين» بابًا مستقلاً بعنوان «بيان كفر أبي بكر وعمر» وكتب تحته:

«ومن المعلوم أن حضرة فاطمة وحضرة الأمير عليهما السلام كانا يعدان أبا بكر وعمر منافقين، ظالمين، غاصبين، كما كانا يعدانهما كاذبين، ومدعين خلاف الحق، وعاقين للإمام».

والمعلوم أن من فارق الجماعة وترك الطاعة للإمام ومات، مات ميتة الجاهلية، ومروي أيضًا أنه من مات وليس في عنقه ربقة من طاعة الإمام، أو فارق الجماعة شبرًا فإنه مات ميتة جاهلية، والمعلوم أيضًا أن الصديقة الطاهرة (فاطمة) ماتت غير راضية عن أبي بكر [كذب عدو الله ولم يتذكر أنه روى نفسه أن فاطمة رضيت عن أبي بكر قبل وفاتها كما رضيت عن عمر كما مر بيانه وسيأتي.

* * *

غضب فاطمة على عليّ رضي الله عنهما

وذلك مع أن رضاها وعدم رضاها ليس سببًا للإسلام والكفر فإنها رضي الله عنها غضبت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ولم يقل أحد بأنه خرج بذلك عن الإسلام.

وقد روى ذلك الشيعة أنفسهم في كتبهم.

فمنها ما رواه ابن بابويه القمي الملقب بالصدوق في كتابه عن أبي عبد الله (جعفر) - الإمام السادس المعصوم عند القوم - أنه سئل:

«هل تشيع الجنازة بنار ويمشي معها بمجمرة أو قنديل أو غير ذلك مما يضاء به؟

قال: فتغير لون أبي عبد الله عليه السلام من ذلك واستوى جالسًا ثم قال:

إنه جاء شقي من الأشقياء إلى فاطمة بنت رسول الله (ص) فقال لها: أما علمت أن عليًا قد خطب بنت أبي جهل فقالت: حقًا ما تقول؟ فقال: حقًا ما أقول ثلاث مرات فدخلها من الغيرة ما لا تملك نفسها وذلك أن الله تبارك وتعالى كتب على النساء غيرة وكتب على الرجال جهادًا وجعل للمحتسبة الصابرة منهن من الأجر ما جعل للمرابط المهاجر في سبيل الله، قال: فاشتد غم فاطمة من ذلك وبقيت متفكرة هي حتى أمست وجاء الليل حملت الحسن على عاتقها الأيمن والحسين على عاتقها الأيسر وأخذت بيد أم كلثوم اليسرى بيدها اليمنى، ثم تحولت إلى حجرة أبيها فجاء عليّ فدخل حجرته فلم ير فاطمة فاشتد لذلك غمه وعظم عليه ولم يعلم القصة ما هي، فاستحى أن يدعوها من منزل أبيها فخرج إلى المسجد يصلي فيه ما شاء الله، ثم جمع شيئًا من كثيب المسجد واتكئ عليه، فلما رأى النبي (ص) ما بفاطمة من الحزن أفاض عليها الماء ثم لبس ثوبه ودخل المسجد فلم يزل يصلي بين راكع وساجد، وكلما صلى ركعتين دعا الله أن يذهب ما بفاطمة من الحزن والغم، وذلك أنه خرج من عندها وهي تتقلب وتتنفس الصعداء فلما رآها النبي (ص) أنها لا يهنيها النوم وليس لها قرار قال لها: قومي يا بنية فقامت، فحمل النبي (ص) الحسن وحملت فاطمة الحسين وأخذت بيد أم كلثوم فانتهى إلى علي عليه السلام وهو نائم فوضع النبي (ص) رجله على رجل عليّ فغمزه وقال: قم يا أبا تراب! فكم ساكن أزعجته ادع لي أبا بكر

من داره، وعمر من مجلسه، وطلحة، فخرج علي فاستخرجهما من منزلهما واجتمعوا عند رسول الله (ص) فقال رسول الله (ص) يا علي! أما علمت أن فاطمة بضعة مني وأنا منها، فمن آذاها فقد آذاني [ومن الغرائب أن هذا الحديث لم يرد إلي بخصوص علي رضي الله عنه حسب رواية القوم ولكنهم يحولونها إلى الصديق رضي الله عنه، وعلى ذلك قال ابن تيمية رحمة الله عليه: فإن كان هذا وعيدًا لاحقًا بفاعله لزم أن يلحق هذا الوعيد علي بن أبي طالب، وإن لم يكن وعيدًا لاحقًا بفاعله كان أبو بكر أبعد عن الوعيد من علي (المنتقى للذهبي)]، من آذاني فقد آذى الله، ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي، ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي» [علل الشرائع للقمي ص١٨٥، ١٨٦ ط نجف، أيضًا أورد هذه الرواية المجلسي في كتابه «جلاء العيون» الفارسي].

وغضبت عليه أيضًا مرة أخرى حينما رأت رأس عليّ في حجر جارية أهديت له من قبل أخيه، وها هو النص:

يروي القمي والمجلسي عن أبي ذر أنه قال:

كنت أنا وجعفر بن أبي طالب مهاجرين إلى بلاد الحبشة، فاهديت لجعفر جارية قيمتها أربعة آلاف درهم، فلما قدمنا المدينة أهداها لعلي عليه السلام تخدمه، فجعلها علي عليه السلام في منزل فاطمة، فدخلت فاطمة عليها السلام يومًا فنظرت إلى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية، فقالت: يا أبا الحسن! فعلتها؟ [انظر إلى ركاكة التعبير وسخافة القوم، والبهتان والافتراء على أهل بيت النبوة صلى الله عليه وسلم من قبل القوم الذين يدّعون محبة أهل البيت وولاءهم، وأهل البيت من مثل هذه السخافات براء] فقال: والله يا بنت محمد! ما فعلت شيئًا، فما الذي تريدين؟ قالت: تأذن لي في المسير إلى منزل أبي رسول الله (ص)، فقال لها: قد أذنت لك، فتجلببت بجلبابها، وأرادت النبي (ص)» (علل الشرائع ص١٦٣ ط نجف وأيضًا «بحار الأنوار» ص٤٣، ٤٤، باب كيفية معاشرتها مع علي)

وغضب عليه مرة ثالثة كما يرويه القوم.

«إن فاطمة رضي الله عنها لما طالبت فدك من أبي بكر امتنع أبو بكر أن يعطيها إياها

فرجعت فاطمة عليها السلام وقد جرعها من الغيظ ما لم يوصف ومرضت، وغضبت على عليّ لامتناعه عن مناصرته ومساعدته إياها وقالت: يا ابن أبي طالب! اشتملت مشيئمة الجنين وقعدت حجرة الظنين بعد ما أهلكت شجعان الدهر وقاتلتهم، والآن غلبت من هؤلاء المخنثين، فهذا هو ابن أبي قحافة يأخذ مني فدك التي وهبها لي أبي جبرًا وظلمًا ويخاصمني ويحاججني، ولا ينصرني أحد فليس لي ناصر ولا معين وليس لي شافع ولا وكيل، ذهبت غاضبة ورجعت حزينة، أذللت نفسي، تأتي الذئاب وتذهب ولا تتحرك، يا ليتني متّ قبل هذا وكنت نسيًا منسيًا، إنما أشكو إلى أبي وأختصم إلى ربي» («حق اليقين» للمجلسي بحث فدك ص٢٠٣، ٢٠٤، ومثله في «الاحتجاج» للطبرسي و«الأمالي» ص٢٩٥ ط نجف).

وهناك وقائع أخرى ذكرها كل من المجلسي والطوسي والأربلي وغيرهم وقعت بين علي رضي الله عنه وبين فاطمة رضي الله عنها – التي سببت إيذاءها ثم غضبها على عليّ.

ولا ندري بماذا يجيب عليها القوم، وبماذا يحكم المنصفون منهم؟

فنحن نرضاهم حكمًا ومجيبين، فما هو جوابهم عن علي فهو جوابنا عن الصديق والفاروق رضي الله عنهم أجمعين.

فإن قالوا إنها رضيت عن عليّ بعدما غضبت عليه فنقول: إنها رضيت أيضًا عن الشيخين بعدما غضبت «فمشى إليها أبو بكر بعد ذلك وشفع لعمر وطلب إليها فرضيت عنه» (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١ ص٥٧ ط بيروت، حق اليقين ص١٨٠ ط طهران، أيضًا شرح النهج لابن ميثم ج٥ ص٥٠٧ ط طهران، و«شرح النهج» للدنبلي ص٣٣١ ط طهران)]، وكانت تراه على الضلالة والبطلان، وليس هذا فحسب، بل كل من اعتقد بإمامة أبي بكر وقال بها فإنه أيضًا مات ميتة جاهلية وكفر وضلالة ..... وعمر كذلك» [«حق اليقين» للمجلسي ص٢٠٤، ٢٠٥ ط إيران].

ويكتب متماديًا في غلوائه وعدائه للرسول في أصحابه:

«إن أبا بكر مرة سئل عن الكلالة فأجاب، ثم قال: إن كان حقًا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان، ولنعم ما قاله أبو بكر حيث جعل نفسه قرينًا للشيطان

وسيكون قرينه في جهنم أيضًا ويمكن أن يكون مراده من الشيطان عمر» [«حق اليقين» ص٢٠٦ وهل هناك أحد من دعاة التقريب المنخدع من بعض قول القوم، أو الجاهل المخدوع، أو المتجاهل البائع الضمير تتحرك غيرته من هذا الكلام الشنيع والسب القبيح؟ أم لم يبق فيهم ولا رمق من الحمية الإسلامية والنخوة الأصيلة الشرعية، فمن لا يغير لأم المؤمنين بنص القرآن فلا يغير لأمه، ومن لا يغير لأحب الناس إلى الرسول لا يغير لأحب الناس إلي نفسه].

وبوب هذا اللعين بابًا مستقلاً بعنوان «بيان قليل من البدع والأعمال القبيحة والأفعال الشنيعة التي ارتكبها عمر الخليفة الثاني للسنة» [ومن يخبر هذا النابح أن الذي يلقبه بخليفة للسنة فقد كان خليفة لعلي بن أبي طالب وأولاده وأعمامه وإخوانه وبني إخوته وأخواته وأسرته كلها، وهو كان واحدًا من وزرائه ومستشاريه وقضاته، كما أعطاه ابنته، وغبطه بأعماله كما مرّ سابقًا بالتفصيل ويذكر المصادر والمراجع].

ثم يقول: إن المطاعن والمثالب لمنبع الفتن هذا زائدة وكثيرة لا تسعها كتب مبسوطة ومفصلة، فكيف يسعه هذا الكتاب؟ فقد كان شريكًا لأبي بكر في جميع مثالبه ومعايبه، بل كانت خلافته من إحدى جرائمه» [«حق اليقين» للمجلسي ص٢١٩ ط إيران].

و «عمر كان يعرف بأنه كافر ومنافق، وعدو لأهل البيت (عياذًا بالله من هذا المهاتر المهرج الخبيث)، وفي عنقه وزر جميع الشهداء» [«حق اليقين» للمجلسي ص٢٢٣].

***

فشركما لخيركم الفداء

وينتهي أخيرًا في السب والشتم والطعن في الفاروق الأعظم بكلمته:

«وأما ما ذكر في الكتب المبسوطة من دنائة نسب عمر وحسبه، وكونه ولد الزنا فلا يسعه هذا المختصر» [«حق اليقين» للمجلسي ص٢٥٩].

ثم، ويقول في ذي النورين رضي الله عنه مثل ما قاله في الصديق والفاروق رضي الله عنهما:

«إن كبار الصحابة اتفقوا على تفسيقه وتكفيره - كذبت يا عدو الله وابن اليهودية والمجوسية - وشهدوا عليه بالكفر ..... وكان حذيفة يقول: الحمد لله، لا أشك في كفر عثمان، أما الذي أشك فيه هو هل كان قاتله من الكفار قتل كافرًا، أم كان مؤمنًا قد زاد إيمانه من جميع المؤمنين، وأيضًا إن الذي يعتقد في عثمان بأنه قتل مظلومًا يكون ذنبه أشد من ذنب الذين عبدوا العجل» [«حق اليقين» ص٢٧٠].

«والدليل الناطق على كفر عثمان أن أمير المؤمنين (علي رضي الله عنه) كان يبيح قتله، ولم يكن يرى فيه بأسًا» [«حق اليقين ص٢٧١].

و «إن الدليل على أن عثمان كان يعدّه أمير المؤمنين كافرًا أنه تركه ونعشه يأكله الكلاب، وقد ذهبت بإحدى رجليه (انظر العداوة والبغضاء اليهودية كيف تتدفق من الكلمات اللاذعة التي تظهر ما في القلوب من الضغائن ضد حملة الإسلام في قناع حب عليّ وأهله، وعلي وأهله منهم براء) وبقي جسده ثلاثة أيام مرميًا كالكلاب [استغفر الله يا رباه وأتوب إليك يا إلهي بأني نقلت هذه الكلمات الفاجرة القبيحة ضد عبد من عبادك الصالحين المبشرين لهم بالجنة في حياتهم، والذي زوّجه رسولك الناطق بالوحي والمتحرك بإرادتك من ابنتيه نور عينيه وقطعة جسده المبارك ولحمه المقدس، أستغفرك يا ربي! وأنت تعلم أني ما أردت من ذلك إلا بيان مذهب القوم، وحقدهم للمسلمين وأئمتهم في الدين وقادتهم إلى الجنة، فمن أحبهم فبحبك وحب نبيك أحبهم، ومن أبغضهم فببغض نبيك الهادي ودينك الحسن وسلطانك القديم أبغضهم فلا تجعلنا منهم، ولا تؤاخذنا ما نقلناه لا طلاع عبادك على هذه اليهودية النجسة القذرة]، في

المزبلة تأكله الكلاب (نعم! كلاب مثلك) ولم يصلّ علي عليه».

[«حق اليقين» للمجلسي ص٢٧٣، ٢٧٤ ط طهران إيران].

هذا ومثل هذا لا تعدّ ولا تحصى، ولا أستطيع حتى وأن أنقلها، ثم وهذا الكلب العقور لا يذكر الصديق والفاروق وذا النورين وحتى أمهات المؤمنين، الصديقة، وحفصة اللاتي هن أمهات لعليّ، وسائر المؤمنين من بني هاشم بنص القرآن، لا يذكرهم المجلسي هذا إلا ويذكرهم ويذكرهن موصوفون وموصوفات باللعن، وقلّ أن يذكرهن خاصة بدون هذه الشتيمة.

وقبل أن ننقل عبارة لتمثيل هذا نسأل جميع من لهم قلوب يفقهون بها من الشيعة، هل يمكن لابن الحلال أن يسبّ ويشتم أمه، ويلعنها؟

فكيف استطاع أن يلعن أم جميع المؤمنين وأهل البيت أيضًا؟

فهل اللاعن علي أم أهل البيت مؤمن ومسلم؟ فعدلاً يا عباد الله.

أو منكر ولاية علي بن أبي طالب كافر؟ وهو منكر المعنى الذي يقرّه الشيعة.

ومنكر أمه وشاتمها، ولاعنها ومكفرها، ماذا تقولون فيه؟

وإليك قصة بديعة لم يكن أن يختلقها إلا مثل المجلسي الأفاك الكذاب الأثيم بعبارته والترجمة، فيقول:

إن العياشي روى بسند معتبر عن الصادق عليه السلام أن عائشة وحفصة لعنة الله عليهما وعلى أبويهما - يا رباه! إلى متى هؤلاء يأكلون أجساد الأتقياء البررة، وإلى متى تمهلهم من شديد عذابك، وبطشك؟ - قتلتا رسول الله بالسم دبرتاه».

[«حياة القلوب» للمجلسي ج٢ ص٧٠٠ ط جديد طهران].

هذه خرافة واحدة من الكثيرة الكثيرة التي كتب القوم منها مليئة، ولا يخلوا كتاب من كتبهم إلا وفيه ما ذكرناه من شتم صريح وسب قبيح، وتفسيق باهر وكفر ظاهر للخلفاء الراشدين الثلاثة وأمهات المؤمنين [ولقد كذب القمي مفسرهم أن الآية ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ نزلت في عائشة (تفسير القمي ج٢ ص٣١٩) والأكاذيب كهذه والهفوات ما أكثرها] رضوان الله عليهم أجمعين.

اللهم إلا ما كتب نفاقًا وتقية وخداعًا للمسلمين، وإظهار للود والتقرب إليهم، فلم أر ودهم إلا خداعًا - ولم أر دينهم إلا نفاقًا.

فهذا هو دينهم الذي يدينون به، وهذه هي معتقداتهم التي يعتقدونها، وهذا هو موقفهم تجاه الصديق والفاروق وذي النورين خلفاء النبي الراشدين المهديين، المخالف لكتاب الله، الثقل الأكبر عندهم، والمعارض لتعاليم أهل البيت الثقل الأصغر عندهم، فهم الذين يقال لهم كما يروون في كتبهم.

أما الأكبر فهجرتموه وأعرضتم عنه لقولكم: إنه محرف ومغير فيه، قد نقص منه كثير وحذف منه غير قليل، ولا توجد النسخة الأصلية منه إلا عند الغائب الذي لم يخرج من ألف عام ولن يخرج أبد الدهر كما أثبتناه بالدلائل التي لا تقبل الشك ولا أحد يستطيع أن يردها في كتابنا «الشيعة والسنة» [وقد قال الصدوق أحد الأربعة الذين يقولون عنه بأنه ينكر التحريف من الأولين قاطبة والذي قلنا عنه إنه لا ينكره هو أيضًا اللهم إلا تقية، فهو الصدوق يقول وقد صدق ما قلناه عنه آنذاك، يقول:

نزلت في علي عليه السلام ثمانون آية صفوا في كتاب الله عز وجل ما شركه فيها أحد من هذه الأمة» [«كتاب الخصال» للقمي الملقب بالصدوق ج ٢ ص٥٩٢، فأين هذه الآيات؟].

وأما الأصغر فكذبتموه وخالفتموه حيث أنهم يحبون الخلفاء الثلاثة ويمدحونهم وأنتم تبغضونهم وتشتمونهم، وأهل البيت يتولونهم ويتوددون إليهم وأنتم تعادونهم وتبرؤون منهم، وهم يثنون عليهم وعلى إسلامهم وأنتم تكفّرونهم وتنكرون إسلامهم، وهم يبايعونهم وينوبون عنهم ويعدونهم أئمة حق وعدل وأنتم تعدّونهم غاصبين، غادرين وخائنين، وهم يزوجونهم بناتهم ويسمون أبنائهم بأسمائهم وأنتم تتهمونهم بتهم لا يتهم بها عامة الناس فضلاً عن الخاصة، وتكرهون أسمائهم والنسبة إليهم، فأنتم في جانب، وأهل البيت في جانب آخر.

وليس هذا فحسب، بل هم ينكرون على من أنكرهم وفضلهم، ويشددون على من يبغضهم ويتكلم عليهم ويطعن فيهم.

موقف أهل البيت من أعداء الخلفاء الراشدين

فلقد روى علم الهدى الشيعي في كتابه «الشافي» في الحديث:

«إن عليًا عليه السلام قال في خطبته: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. وفى بعض الأخبار أنه عليه السلام خطب بذلك بعد ما أنهى عليه أن رجلاً تناول أبا بكر وعمر بالشتيمة، فدعى به وتقدم بعقوبة بعد أن شهدوا عليه بذلك».

[«كتاب الشافي» لعلم الهدى، المطبوع مع التلخيص ص٤٢٨].

هكذا كان حب علي رضي الله عنه لأمير المؤمنين وخليفة المسلمين أبي بكر الصديق ولعبقري الإسلام ومحسن الملة المجيدة عمر الفاروق رضي الله عنهما وأرضاهما عنه، وهذا كان موقفه تجاههما وتجاه المعادي لهما.

وعلى ذلك لما جاءه أبو سفيان رضي الله عنه بعد بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه واجتماع الناس عليه يحرضه على معارضته حسب روايتهم قال ردًا عليه: ويحك يا أبا سفيان هذه من دواهيك وقد اجتمع الناس على أبي بكر، مازلت تبغي الإسلام عوجًا في الجاهلية» [«كتاب الشافي» لعلم الهدى، المطبوع مع التلخيص ص٤٢٨].

وأما عثمان فهو الذي أرسل ابنيه للدفاع عنه بعد ما دافع عنه بنفسه المفسدين كما مرّ بيانه تفصيلاً.

وابن عمه وتلميذه الذي علمه من علمه «عليّ علّمني، وكان علمه من رسول الله ..... وعلم عليّ من النبي، وعلمي من علم عليّ» [«الأمالي» للطوسي ج١ ص١١ ط نجف].

يقول في مبغضي الصديق بعد ما يبالغ في مدحه «فغضب الله على من ينقصه ويطعن فيه» [«ناسخ التواريخ» للمرزه محمد تقي لسان الملك الشيعي ج٥ ص١٤٣، «مروج الذهب» ج٣ ص٦٠].

وفى مبغضي الفاروق بعد الثناء العاطر عليه: وأعقب الله من ينقصه اللعنة إلى يوم الدين» [«ناسخ التواريخ ج٣ ص٦٠].

وفي مبغضي ذي النورين بعد ما ذكر أوصافه الجميلة وأخلاقه الحميدة: فأعقب الله

من يلعنه لعنة اللاعنين» [«ناسخ التواريخ» ج٣ ص٦٠].

وحفيد علي المرتضى رضي الله عنه وسميّه علي بن الحسين - الإمام الرابع المعصوم لدى القوم - على سنة آبائه يحارب من حاربهم، ويعادي من عاداهم، يبغض من قلاهم، ويخرج من يتبرأ منهم ويتكلم فيهم.

فلقد روى الأربلي الشيعي أن نفرًا من أهل العراق قدموا عليه فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم:

«فلما فرغوا من كلامهم، قال لهم: ألا تخبروني أنتم ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾؟ قالوا: لا، قال: فأنتم ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ﴾؟ قالوا: لا، قال: أما أنتم قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ اخرجوا عني فعل الله بكم» [«كشف الغمة» للأربلي ج٢ ص٧٨].

وزيد ابنه على شاكلته، نعم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ورحمته، الذي بالغ القوم في مدحه، وخصصوا أبوابًا كثيرة للثناء العاطر عليه في كتبهم، فسلك نفس المسلك الذي خططه أبوه علي بن الحسين وجده علي بن أبي طالب ومن قبلهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل: دعوا لي أصحابي».

[«عيون أخبار الرضا» للقمي ج٢ ص٨٧].

ولقد روى الشيعة: «وكان أصحاب زيد لما خرج سألوه في أبي بكر وعمر؟ فقال:

ما أقول فيهما إلا الخير، وما سمعته من أهلي فيهما إلا الخير فقالوا: لست بصاحبنا، وتفرقوا عنه ورفضوه، فقال: رفضونا اليوم فسمعوا من ذلك اليوم الرافضة» [«ناسخ التواريخ» ج٣ ص٥٩٠ تحت أقوال زين العابدين، أيضًا «عمدة الطالب» تحت أخبار زيد بن علي].

ويضيف المرزة تقي على ذلك:

إن زيدًا منعهم عن الطعن في أصحاب النبي (عليه الصلاة والسلام ورضوان الله عليهم أجمعين) فلما عرفوا منه بأنه لا يتبرأ عن الشيخين (أبي بكر وعمر) رفضوه وتفرقوا عنه، وبعد ذلك استعمل هذه الكلمة في كل من يغلو في المذهب، ويجوّز الطعن في الأصحاب» [«ناسخ التواريخ» ج٣ ص٥٩٠ تحت أقوال زين العابدين].

ثم ومحمد الباقر بن علي بن الحسين - الإمام الخامس عند القوم - أيضًا يقول بقولهم ويرى رأيهم، ولأجل ذلك يثب على من يتنكر لقب الصديق على أبي بكر رضي الله عنه ويشدد عليه النكير بقوله: نعم الصديق، فمن لم يقل له الصديق فلا صدق الله له قولاً في الدنيا والآخرة» [«كشف الغمة» ج٢ ص١٤٧ ط تبريز إيران].

ثم وهل يعقل من عليّ وأولاده عليهم الرحمة والرضوان بأنه أو أنهم يكفّرون الصديق والفاروق وذا النورين وقد بايعهم وصلى خلفهم، وعاشرهم أحسن المعاشرة، ورافقهم وصاهرهم، ولم يقاتلهم ولم يجادلهم، وهو لم يكفّر حتى ولا من جادله وقاتله وقتل من رفاقه وصحبه.

وها هو «نهج البلاغة» مليء من منعه أصحابه من السب والشتم، والتكفير والتفسيق، وحتى ومقاتليه في حرب صفين، وعنوان الخطبة «ومن كلام له عليه السلام وقد سمع قومًا من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم صفين».

«إني أكره لكم أن تكونوا سبابين ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به» [«نهج البلاغة» تحقيق صبحي ص٣٢٣].

وذكر مثل ذلك الدينوري الشيعي وصرح بأن الشاتمين كانوا من الذين قتلوا الإمام المظلوم عثمان ذا النورين رضي الله عنه، كما صرح بأنهم لعنوا معاوية وأصحابه، وكان بينهم وبين عليّ سؤال وجواب.

وها هو يذكر القصة بتمامها:

«بلغ عليًا عليه السلام أن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية ولعن

أهل الشام، فأرسل إليهما أن كفا عما يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين! ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟ قال: بلى ورب الكعبة المسدنة! قالوا: فلم تمنعنا من شتمهم ولعنهم؟

قال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين، لعانين، ولكن قولوا: اللهم احقن دمائنا ودمائهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم» الخ.

[«الأخبار الطوال» ص١٦٥ تحت وقعة الصفين ط القاهرة].

وهذا هو علي بن أبي طالب الذي لا يرضى أن يشتم أهل الشام، ومحاربه معاوية بن أبي سفيان، ويمنعهم عن ذلك، هل يتوقع منه أنه يرضى بلعن أهل المدينة، مدينة النبي، وشتم أصحاب النبي ورحمائه وأصهاره؟

ثم ولقد صرح بإسلامهم وإيمانهم مع محاربتهم إياه، ومقالته إياهم بأنهم ليسوا بكفرة، مرتدين، خارجين عن الإسلام والدين.

كما رواه جعفر عن أبيه: «أن عليًا عليه السلام كان يقول لأهل حربه إنا لم نقاتلهم على التكفير لهم، ولم نقاتلهم على التكفير لنا، ولكنا رأينا أنا على حق، ورأوا أنهم على حق» [«قرب الإسناد» للحميري ص٤٥ ط مكتبة نينوى طهران].

ويقول في خطبته أمام أنصاره ومخالفيه:

فلقد كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وإن القتل ليدور على الآباء والأبناء، والإخوان والقرابات، فما نزداد على كل مصيبة وشدة إلا إيمانًا، ومضيًا على الحق، وتسليمًا للأمر، وصبرًا على مضض الجراح. ولكنا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزيغ والاعوجاج والشبه والتأويل».

[«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص١٧٩].

وأصرح من ذلك:

«أوصيكم عباد الله بتقوى الله، فأنها خير ما تواصى به، وخير عواقب الأمور عند الله، وقد فتح باب الحرب بينكم وبين أهل القبلة» [«نهج البلاغة» ص٢٤٨].

بل وأكثر من ذلك يجعلهم مساوين له في الإيمان بالله والتصديق بالرسول، وأيضًا

يعلن براءته من دم عثمان بن عفان ﵁ فيكتب إلى أهل الأمصار يقصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صفين:

وكان بدأ أمرنا أنا التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد، ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه براء [وما أدري مع هذا كيف اجترأ المجلسي وهو يدعي موالاة أهل البيت واتباع مذهبهم أن يقول: إن أمير المؤمنين عليًا يبيح قتله، ولم يكن يرى منه بأسًا مع قول عليّ هذا؟ ثم وأكثر من ذلك أن «نهج البلاغة» مليء من أقوال إمامه المعصوم الأول الذي يعده بأنه لا يخطئ - من أقواله هو بأنه بريء من قتل عثمان وقتلته، ومن طالع نهج البلاغة أو قرأه يشهد على ذلك، ولكن من للقوم؟ فإن الحسد أكل قلوبهم، وأعمى أبصارهم، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور]، فقلنا: تعالوا الخ [«نهج البلاغة» تحقيق صبحي صالح ص٤٤٨].

فانظر إلى علي ﵁ كم كان عادلاً ومنصفًا.

وانظر إلى القوم كم بعدوا عنه وعن الحق في القول والعمل؟

فهذا هو علي رضي الله تعالى عنه وموقفه من أعدى أعداء الناس بالنسبة له.

فكيف يكون موقفه وموقف أهل بيته من أحب الناس إليه وإليهم خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفاقه، الذين أحبوا أهل البيت، وأهل البيت بادلوهم الكيل بالكيلين والصاع بالصاعين، وتجاه أمهات المؤمنين اللاتي هن أمهاتهم هم أولاً وأصلاً.

ونختم القول في هذا الباب بأن عليًا وأهل بيته هل كانوا مؤمنين أم لا؟

فإن كانوا مؤمنين ولا شك في ذلك، فهم داخلون في قول الله عز وجل:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [سورة الأحزاب الآية٦].

فصارت الصديقة الطاهرة أمهم أي أهل البيت جميعًا بنص القرآن وبحكم خالق الكون والمكان وقضائه.

وعلى هذا يمكن أن يتصور رجل يدعي حب أهل بيت ثم ويسبّ أمهم؟

وهل يقال إنه موال لهم ومحب، ومطاوع لهم ومطيع أم غير ذلك؟

وأما الذي ندريه نحن فإن الشريف والكريم يمكن أن يتغاضى أن يسب ويشتم، ولكنه لا يتغاضى عن أن يمس أحد أمه بسوء خاصة.

وهل شاتمون أمّ عليّ وأهله واللاعنون يظنون أنهم يحسنون صنعًا؟

فذلك كان موقف الشيعة من الصحابة عامة والخلفاء الراشدين خاصة، وهذا هو موقف أهل البيت منهم ومن عاداهم مخالفًا تمام المخالفة من موقف قوم ينسبون أنفسهم إليهم كذبًا وزورًا، وخداعًا ونفاقًا.

فالشيعة ليسوا بمحبي أهل البيت ومطاوعين لهم، بل هم معادون لهم ومخالفون، وهذا ما أردنا إثباته في هذا الباب من كتب القوم وعباراتهم هم كي يعرف الحقيقة من لا يعرفه قبل، ويهتدي إلى سواء السبيل.

* * *

الباب الثالث

الشيعة وأكاذيبهم على أهل البيت

إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء فإنهم مع ادعائهم حب أهل البيت وموالاتهم ليسوا إلا مبغضي أهل البيت وأعدائهم، يخالفون أوامرهم ويأتون منهياتهم، ينكرون المعروف ويتأتون المنكر، ويبغضون أحباءهم ويتوددون إلى أعدائهم، يطاوعون الأهواء والنفس الأمارة بالسوء، ولا يتركونها ولا يعصونها، وفوق ذلك يختلقون القصص والأساطير والأكاذيب على أهل البيت، ويفترونها وينسبونها إليهم، ما أنزل الله بها من سلطان، يريدون من ورائها أغراضًا ذاتية وإرواء النفس من شهواتها، وملذاتها، رواجًا لمذهبهم، وجلبًا لأوباش الناس إلى دينهم الذي هم كوّنوه واخترعوه أنفسهم، فيخسرون الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين، لأن الصالحين من أهل البيت لم يقولوا شيئًا يخالفه كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ينبغي أن ينسب إليهم ما يخالفه الكتاب والسنة، لأن أهل البيت كغيرهم من المسلمين لم يؤمروا إلا أن يعملوا بكتاب ربهم وسنة نبيهم عليه الصلاة والسلام وأن يتمسكوا بهما، من الله في محكم كتابه ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [سورة النساء الآية٥٩].

﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۝﴾ [سورة الأنفال الآية ٢٠].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [سورة آل عمران الآية١٣٢].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ۝﴾ [سورة الأحزاب الآية٣٦].

ومن الرسول عليه السلام في سنته الثابتة عند الجميع: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي».

والمعترف به عند علي رضي الله عنه وأولاده كما روى عنه الثقفي في كتابه «الغارات» «إن عليًا كتب إلى مسلمي مصر كتابًا أرسله إليهم مع قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الذي استعمله على مصر، يدعوهم إلى بيعته بقوله: «ألا وإن لكم علينا العمل بكتاب

الله وسنة رسوله» [«كتاب الغارات» للثقفي ج١ ص٢١١ تحت عنوان «ولاية قيس بن سعد»].

ثم يذكر: «لما فرغ من قراءة الكتاب قام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري خطيبًا فحمد الله وأثنى عليه .... - إلى أن قال -: فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنة نبيه. فإن نحن لم نعمل فيكم بكتاب الله وسنة رسوله فلا بيعة لنا عليكم فقاموا فبايعوا فاستقامت له مصر» [«كتاب الغارات» ص٢١١، ٢١٢].

كما كتب عليّ بنفس هذا الكلام في كتابه إلى أهل البصرة «من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، أما بعد!..... فإن تفوا ببيعتي، وتقبلوا نصيحتي، وتستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب والسنة» [«الغارات» للثقفي ج٢ ص٤٠٣].

وقال رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا قول إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بإصابة السنة».

[«الكافي في الأصول» للكليني ج١ ص٧٠ كتاب فضل العلم].

وأحد أبنائه وإمام من أئمة الشيعة السادس المعصوم حسب زعمهم يقول: ما من شيء إلا وفيه كتاب أو سنة» [«الكافي في الأصول» ج١ ص٥٩ باب الرد إلى الكتاب والسنة وإنه ليس شيء من الحلال والحرام إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة وأيضًا نقل مثل هذا عن أبيه المغنية في كتابه «الشيعة في الميزان» ص٥٦].

وقال أيضًا: من خالف كتاب الله وسنة محمد فقد كفر» [الأصول من الكافي ج١ ص٧٠].

وعن أبيه الباقر - الإمام المعصوم الخامس لديهم - أنه قال:

كل من تعدى السنة رد إلى السنة» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٧١].

وعن أبيه علي بن الحسين - الإمام الرابع - أنه قال: إن أفضل الأعمال عند الله ما عمل بالسنة وإن قل» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٧٠].

هذا، ولم يكتفوا بهذا حتى أنهم قالوا أكثر من ذلك وأصرح كما رواه الكشي عن جعفر بن الباقر أنه قال: فاتقوا الله ولا تقبلوا علينا ما خالف قول ربنا تعالى وسنة نبينا محمد (ص) فإنا إذا حدثنا قلنا: قال الله عز وجل وقال رسول الله (ص)».

[«رجال الكشي» ص١٩٥ تحت تذكرة المغيرة بن سعيد ط كربلاء].

ولذلك أمر متبعيه ومن ادعى متابعته: لا تقبلوا علينا حديثًا إلا ما وافق القرآن والسنة» [«رجال الكشي» ص١٩٥].

وقبله أبوه نبه على ذلك وقال:

وانظروا أمرنا وما جاءكم عنا، فإن وجدتموه للقرآن موافقًا فخذوا به وإن لم تجدوه موافقًا فردوه» [«الأمالي» للطوسي ج١ ص٢٣٧ ط نجف].

وقبله بيّن هذه القاعدة الأصلية علي بن أبي طالب رضي الله عنه بقوله: فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه» [«الأمالي» ص٢٢١].

ومثل هذا روى الباقر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله عز وجل وسنتي، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوه، وما خالف كتاب الله فلا تأخذوه».

[«الاحتجاج» للطبرسي ص٢٢٩ احتجاج أبي جعفر في أنواع شتى].

فذلك ما أمر الله به وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذه هي التعاليم التي علمناها من أهل البيت أئمة الشيعة - المعصومين حسب زعمهم -.

وفى ضوء هذا وذاك نرى أن الشيعة ماذا يعتقدون، وماذا ينسبون إلى أهل البيت، وهل نسبتها إليهم صحيحة أم غير صحيحة؟ وهل إنهم صادقون في القول أم كاذبون، يفترون عليهم ما لم يتقولوه، ويكذبون عليهم ما لم يتصوروه؟

فنبدأ بسيد الكونين ورسول الثقلين، إمام القبلتين وصاحب الحرمين فداه أبواي وروحي عليه الصلاة والسلام، فإنه كذبوا عليه وما أكثره، وافتروا عليه وما أقبحه، وتبوؤا مقعدهم من النار.

* * *

المتعة

فمن أكاذيبهم الشنيعة الخبيثة عليه صلى الله عليه وسلم ما ينسبون إليه زوراً وبهتاناً أنه قال:

من خرج من الدنيا ولم يتمتع جاء يوم القيامة وهو أجدع».

[«تفسير منهج الصادقين» للملا فتح الله الكاشاني - فارسي ج٢ ص٤٨٩].

وأقبح منه وأشنع ما افتروا عليه بأنه قال عليه الصلاة والسلام:

من تمتع مرة واحدة عتق ثلثه من النار ومن تمتع مرتين عتق ثلثاه من النار ومن تمتع ثلاث مرات عتق كله من النار» [«تفسير منهج الصادقين» ص٤٩٢ نقلاً من «حضرة من خصه الله باللطف الأبدي، خاتم مجتهدي الإمامية بالتوفيق السرمدي، الغريق في بحار رحمة الله الملك الشيخ علي بن عبد العالي روّح الله روحه» في رسالته التي كتبها في باب المتعة].

فانظر إلى القوم ما أقبحهم وأكذب بهم، وما ألعنهم وأبعد بهم من الشريعة الإسلامية الغراء، وتعاليمها النقية البيضاء، وما أجرأهم على الملذات والشهوات التي أصبغوا عليها صبغة الدين والشريعة، وما أشجعهم على الافتراء على رسول الله الصادق الأمين، الناهي عن المنكرات، والمحترز المجتنب عن السيئات؟

والقوم لا يريدون من وراء ذلك إلا أن يجعلوا دين الله الخالد لعبة يلعب بها الفساق والفجار، ويسخر به الساخرون والمستهزؤن نقمة عليه التي ورثوها من اليهودية البغضاء التي أسست هذه العقائد وهذا المذهب [انظر لتحقيق وتثبيت ذلك في كتابنا «الشيعة والسنة»]، وإلا فهل من المعقول أن دينًا من الأديان يحرر متبعيه من الحدود والقيود ومن الفرائض والواجبات والتضحيات والمشقات، ويجعل نجاتهم من عذاب الله وفوزهم بنيل الجنة في طاعة الشهوات والملذات؟ [وهذا ليس من المبالغات والمجاذفات بل من الحقائق الثابتة التي لا غبار عليها].

والشيعة أعداء أهل البيت وسيد أهل البيت وإمامهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتفوا بهذا الكذب ولم يقتنعوا به، بل زادوا وبالغوا حتى بلغوا حد

الإساءة والإهانة حيث قالوا - نستغفر الله ونتوب إليه من نقل هذا الكفر -:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: من تمتع مرة أمن من سخط الجبار ومن تمتع مرتين حشر مع الأبرار ومن تمتع ثلاث مرات زاحمني في الجنان».

[«تفسير منهج الصادقين» ج٢ ص٤٩٣].

ولا هذا فحسب بل صرحوا بأسماء أهل البيت وشخصياتهم الذين جعلوهم غرضًا لأسنتهم المشرعة،ولأسهامهم المطلقة، وسيوفهم المشهرة، وما أقبح التعبير وما أفظع الكذب والبهتان، فيفترون على نبي الله الطاهر المطهر صلوات الله وسلامه عليه أنه قال:

من تمتع مرة كانت درجته كدرجة الحسين عليه السلام - الإمام الثالث المعصوم حسب زعمهم - ومن تمتع مرتين كانت درجته كدرجة الحسن عليه السلام - الإمام الثاني المعصوم المزعوم - ومن تمتع ثلاث مرات كانت درجته كدرجة علي بن أبي طالب عليه السلام [وما معنى لقول قائل: أهل النجف خاصة، وكل بلاد الشيعة يرون المتعة عيبًا وإن كانت حلالاً» و«الشيعة في كل مكان ترى المتعة عيبًا وإن كانت حلالاً وليس كل حلال يفعل» (أعيان الشيعة للسيد محسن أمين ص١٥٩). مع أقوال الأئمة التي ذكرت من وجوب المتعة والثواب عليها، فمن الصادق، هذا أو أئمته؟ ولا ينبئك مثل خبير] - الإمام المعصوم الأول لديهم، ختن رسول الله وابن عمه - ومن تمتع أربع مرات فدرجته كدرجتي» [«تفسير منهج الصادقين» ج٢ ص٤٩٣].

فانظر إلى الأكاذيب التي نسجت على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والافتراءات التي تقولت عليه، وإلى عمارة الإسلام كيف هدمت، وإلى الشريعة أنها كيف عطلت، وإلى أهل بيت النبوة أنهم كيف أهينوا وجعلوا مساوين لأهل الأهواء والهوس، وكيف عدلوا بالفسقة والفجرة؟

أو بعد ذلك يدعي القوم بأنهم محبون لأهل البيت وموالون لهم؟

هذا وللقوم شنائع في هذه المسألة وقبائح، وافتراءات وبهتانات على أهل البيت وسادتهم نورد منها طرفًا.

منها ما اخترعوه ونسبوه إلى محمد الباقر – الإمام الخامس عندهم – أنه قال:

إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أسري به إلى السماء قال: لحقني جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد! إن الله تبارك وتعالى يقول: إني قد غفرت للمتمتعين من أمتك من النساء» [من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي الملقب بالصدوق – وهو الكذوب –ج٣ ص٤٦٣].

وذكر الطوسي مفتريًا على أبي الحسن – الإمام العاشر عند الشيعة – أنه قال له علي السائي: جعلت فداك، إني كنت أتزوج المتعة فكرهتها وتشائمت بها فأعطيت الله عهدًا بين الركن والإمام وجعلت على ذلك نذرًا وصيامًا أن لا أتزوجها ثم إن ذلك شق علي وندمت على يميني، ولكن بيدي من القوة ما أتزوج في العلانية، فقال لي:

عاهدت الله أن لا تطيعه! والله لئن لم تطعه لتعصينه» [تهذيب الأحكام للطوسي – أحد الصحاح الأربعة – ج٧ ص٢٥١. والفروع من الكافي ج٥ ص٤٥].

وأيضًا رووا عن أبي عبد الله جعفر الصادق – وهم يكذبون عليه – أنه قال:

المتعة نزل بها القرآن وجرت به السنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

[الاستبصار للطوسي ج٣ ص١٤٢ باب تحليل المتعة].

كما كذبوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لولا ما سبقني به ابن الخطاب يعني عمر ما زنى إلا شقي» [البرهان في تفسير القرآن للبحراني ج١ ص٣٦٠، وتفسير العياشي ج١ ص٢٣٣ وتفسير الصافي ج١ ص٣٤٧ والكافي للكليني ج٥ ص٤٤٨ ومجمع البيان للطبرسي ص٣٢ واللفظ للأول].

وحكوا في ذلك قصة طريفة تنبئ عما تخفيه الصدور، والراوي هو محدث القوم الكبير محمد بن يعقوب الكليني عن رجل من قريش أنه قال: بعثت إلى ابنة عمة لي كان لها مال كثير قد عرفت كثرة من يخطبني من الرجال فلم أزوجهم نفسي، وما بعثت إليك رغبة في الرجال غير أنه بلغني أنه أحلها الله عز وجل في كتابه وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته فحرمها زفر – يعني عمر كما صرح به في الهامش – فأحببت أن أطيع الله عز وجل فوق عرشه، وأطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعصي زفر، فتزوجني متعة، فقلت لها: حتى أدخل على أبي جعفر عليه السلام فأستشيره، فدخلت

عليه فخبرته، فقال: افعل، صلى الله عليكما من زوج».

[«الفروع من الكافي» للكليني باب النوادر ج٥ ص٤٦٥].

وشددوا في التحريض على هذه القبيحة حتى نسبوا إلى جعفر بن محمد الباقر أنه قال: ليس منا من لم يؤمن بكرتنا - رجعتنا - ويستحل متعتنا».

[«كتاب الصافي» للكاشاني ج١ ص٣٤٧، أيضًا «من لا يحضره الفقيه» ج٣ ص٤٥٨].

وما هي المتعة؟

يبينها القوم متهمًا جعفر الصادق أنه سئل:

«كيف أقول لها إذا خلوت بها؟ قال: تقول: أتزوجك متعة على كتاب الله وسنة نبيه، لا وراثة ولا موروثة، كذا وكذا يومًا وإن شئت كذا وكذا سنة، بكذا وكذا درهما، وتسمي من الأجر ما تراضيتما عليه قليلاً كان أم كثيرًا» [«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٥٥].

وكيف تكون؟

فقالوا: سئل أبو عبد الله - الإمام السادس عندهم - عن رجل تمتع امرأة بغير شهود، قال: أو ليس عامة ما تتزوج فتياتنا ونحن نتعرق الطعام على الخوان ونقول: يا فلان! زوج فلان فلانة؟ فيقول: نعم» [«الفروع من الكافي» ج ص٢٤٩].

وبمن تكون؟

فرووا عن جعفر الصادق أنه قال: لا بأس بالرجل أن يتمتع بالمجوسية» [«تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٥٦. أيضًا «الاستبصار» ج٣ ص١٤٤].

ولا بأس بالنصرانية واليهودية كما نقلوه عن أبي الحسن الرضا» [«تهذيب الأحكام» و«كتاب شرائع الإسلام» من كتب الفقه المشهورة لجعفر بن الحسن ص١٨٤].

ولا بالفاجرة لأنه يمنعها بها من الفجور - حسب زعمهم -

[«تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٠٦].

وحتى الزانية كما صرح بذلك السيد الخميني [«تحرير الوسيلة» للخميني ص٢٩٢ ط قم - إيران].

وسئل أبو الحسن عن المتعة بالفراش فأذن بها [الاستبصار ج٣ ص١٤٤].

وهناك روايتان مدهشتان تنبئ عن حقيقة المتعة ما رواهما الطوسي وغيره «عن فضل مولى محمد بن راشد أنه قال لجعفر الصادق: إني تزوجت امرأة متعة فوقع في نفسي أن لها زوجًا، ففتشت عن ذلك، فوجدت لها زوجًا، قال - أي جعفر -: ولم فتشت؟» [«تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٥٣].

وقال: ليس هذا عليك، إنما عليك أن تصدقها في نفسها».

[«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٦٢].

والرواية الثانية: ما رواها الكليني عن أبان بن تغلب أنه قال: قلت لأبي عبد الله: إني أكون في بعض الطرقات، فأرى المرأة الحسناء ولا آمن أن تكون ذات بعل أو من العواهر؟

قال: ليس هذا عليك، إنما عليك أن تصدقها في نفسها».

[«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٦٢].

وهل يجوز بالهاشمية؟ سئل عنه جعفر بن الباقر مرة مطلقًا، فقال: تمتع بالهاشمية».

[«تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٧٢].

ومرة أخرى تنكر، كما رواه القوم أجمعهم:

«إنه جاء عبد الله بن عمير الليثي إلى أبي جعفر فقال: ما تقول في متعة النساء؟ قال: أحله الله في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله فهي حلال إلى يوم القيامة، فقال: يا أبا جعفر مثلك يقول هذا وقد حرمها عمر ونهى عنها؟

فقال: وإن كان فعل: قال: إني أعيذك بالله من ذلك أن تحل شيئًا حرمه عمر، قال: فقال له: فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله فهلم ألاعنك أن القول ما قال رسول الله وأن الباطل ما قال صاحبك، قال: فأقبل عبد الله بن عمير فقال: يسرك أن نساءك وبناتك وأخواتك وبنات عمك يفعلن؟ قال: فأعرض عنه أبو جعفر عليه السلام حين ذكر نساءه وبنات عمه» [«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٤٩. أيضًا «تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٥١، أيضًا «الصافي» ج١ ص٢٤٦].

والصبية الصغيرة أيضا كما قيل:

سئل عن الجارية يتمتع بها الرجل؟ قال: نعم! إلا أن تكون صبية تخدع، قال: فقلت: أصلحك الله، فكم حد الذي إذا بلغته لم تخدع؟ قال: بنت عشر سنين» [«الاستبصار» للطوسي ج٣ ص١٤٥، أيضًا «تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٥٥، وبذلك قال جعفر «الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٦٣].

وبدون الولي

كما قال جعفر: لا بأس بتزويج البكر إذا رضيت بغير إذن أبويها».

[«تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٥٤].

وقال الحلي في كتابه الفقهي المشهور: للبالغة الرشيدة أن تتمتع بنفسها، وليس لوليها اعتراض بكرًا كان أو ثيبًا».

[«شرائع الإسلام» لنجم الدين الحلي المتوفى ٦٧٦هـ ج٢ ص١٨٦ ط طهران ١٣٧٧هـ].

وبكم يجوز من النساء؟

قالوا: إن أبا جعفر قال: المتعة ليست من الأربع، لأنها لا تطلق ولا تورث ولا ترث [«لا أرثك ولا ترثني، ولا أطلب ولدك لأجل مسمى» - أبو عبد الله - «تهذيب» ج٧ ص٢٦٣]، وإنما هي مستأجرة» [«الاستبصار» ج٣ ص١٤٧].

وابنه أبو عبد الله ذكر له المتعة وقيل له: أهي من الأربع؟ قال: تزوج منهن ألفًا، فأنهن مستأجرات. [«الاستبصار» ج٣ ص١٤٧، أيضًا «تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٥٩].

وكم تكون أجرتها؟

رووا عن أبي جعفر أنه سئل عن متعة النساء، قال: حلال، وإنه يجزئ فيه درهم فما فوقه» [«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٥٧].

وابنه جعفر قال: يجزئه كف من بر» [«تهذيب الأحكام» ج٧ ص٢٦٠].

و «كف من طعام، دقيق أو سويق أو تمر» [«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٥٧].

ولكم مدة تكون؟

رووا عن أبي الحسن - الإمام العاشر عندهم - أنه سئل:

«كم أدنى أجل المتعة؟ هل يجوز أن يتمتع الرجل بشرط مرة واحدة؟

قال: نعم، وعن جده أبي عبد الله على عرد [أي مجامعة لمرة واحدة] واحد، فقال: لا بأس، ولكن إذا فرغ فليحول وجهه ولا ينظر».

[«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٦٠، أيضًا «الاستبصار» ج٣ ص١٥١].

وله أن يتمتع بها مرات كثيرة كما رووا أنه سئل جعفر الصادق في الرجل يتمتع بالمرأة مرات، قال: لا بأس، يتمتع بها ما شاء - وأبوه محمد الباقر صرح كما رووا عنه «نعم كم شاء، لأن هذه مستأجرة» [«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٦٠].

وللتمتع أن يحاسب الممتوع بها على أجرته التي أعطاها إياها، ويخصم منها حسب العمل، كما رووا عن أبي الحسن أنه سئل «إن الرجل يتزوج المرأة متعة تشترط له أن تأتيه كل يوم حتى توفيه شرطه، أو تشترط أيامًا معلومة تأتيه فيها، فتغدر به فلا تأتيه على ما شرطه عليها، فهل يصلح له أن يحاسبها على ما لم تأته من الأيام، فيحبس عنها من مهرها بحساب ذلك؟ قال: نعم! ينظر ما قطعت من الشرط. فيحبس عنها من مهرها بمقدار ما لم تف له [أو مع ذلك لا يستحيون من الله حينما يسمون هذه السفاهة وهذه الدعارة نكاحًا؟ أو يكون النكاح هكذا بأنه يخصم من المهر ويحاسب على الأيام، وتحبس عن الأجرة، فعدلاً عدلاً يا عباد الله] ما خلا أيام الطمث فإنها لها».

[«الفروع» من الكافي» ج٥ ص٤٦١].

فهذه هي المتعة الشيعية التي جعلوها واجبة مفروضة، واختلقوا لها روايات وأحاديث كذبًا على النبي وآله صلى الله عليه وسلم «بأن المؤمن لا يكمل [ولا أدري كيف يعللها المعللون من الشيعة بأنها ضرورة للمسافرين والمقوين وغير هؤلاء الذين لا تساعدهم على القران الباقي والزواج الدائم لما له غالبًا من التبعات واللوازم.

[أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين كاشف الغطاء ص١٤٦ ط بيروت ١٩٦٠م].

كما لا ندري عذر المعتذر الذي يعتذر بقوله: ولم تستعمل المتعة شيعة سوريا ولبنان ولا عرب العراق والمنقول أن بعض المسنات في بلاد إيران يستعملن المتعة، ولكن على الأساس الذي بيناه، وعلى الرغم من ذلك فإنهم لا يفعلونها، وما هي بشائعة في بلادهم» [«الشيعة في الميزان» للمغنية ص٣٥٨ ط بيروت].

ولسائل أن يسأل ولماذا لا تفعلونها ما دمتم ترونها مباحًا؟ وما دام تروون أن الإيمان لا يكتمل إلا بها، وأنه يثاب عليها بذاك وذاك، أو لا يدل ذلك بأن في القلب منها شيء، وإلا فلماذا المباهاة بأن العرب لا يفعلون وأن الفرس أيضًا لا يفعلون؟ ثم ولماذا التعليل بالمسافرين وإن كان من مكملات الإيمان وسبب رفع الدرجات، ولماذا الفرق بين الموسرين والمعسرين، ولقد فرق كباركم في كتبهم أيضًا حيث بوبوا الأبواب أنه يجب أن يكف عنها من كان مستغنيًا وغير ذلك، وإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار] حتى يتمتع» [«من لا يحضره الفقيه» ج٣ ص٣٦٦].

«وإني لأكره للرجل المسلم أن يخرج من الدنيا قد بقيت عليه خلة من خلال الرسول صلى الله عليه وسلم لم يقضها» [«من لا يحضره الفقيه» ج٣ ص٤٦٣] - قاله أبو عبد الله في جواب من سأله عن المتعة.

وأيضًا عن أبي جعفر أنه سأله سائل.

للمتمتع ثواب؟ قال: إن كان يريد بذلك وجه الله تعالى، وخلافًا على من أنكرها. لم يكلمها - أي المتمتع بها - كلمة إلا كتب الله له بها حسنة، ولم يمد يده إليها إلا كتب الله له حسنة، فإذا دنا منها غفر الله له بذلك ذنبًا، فإذا اغتسل غفر الله له بقدر ما مر من الماء على شعره، قلت: بعدد الشعر؟ قال: نعم! بعدد الشعر».

[«من لا يحضره الفقيه» ج٣ ص٣٦٦].

هذا ومثل هذا فإنه لكثير.

ونختم القول على إيراد رواية أخرى من الروايات المروية الكثيرة الكثيرة في كتبهم من التفسير والحديث والفقه، وهى فرية من مفتريات القوم على جعفر الصادق أنه قال:

«إن المتعة من ديني ودين آبائى، فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا، واعتقد بدين غيرنا، والمتعة مقربة إلى السلف وأمان من الشرك، وولد المتعة أفضل من ولد النكاح، ومنكرها كافر مرتد، ومقرها مؤمن موحد، لأن له في المتعة أجران، أجر الصدقة التي يعطيها للمستمتعة، وأجر المتعة».

[«تفسير منهج الصادقين» للملا الكاشاني ج٢ ص٤٩٥].

ودليل كون المتعة بهتانًا وافتراء على أهل البيت، وكذبًا وزورًا عليهم أنه لم يثبت في كتاب ما وحتى في كتب القوم أنفسهم ذكر واحدة من النساء اللاتي تمتع بها أحد من أئمتهم الاثنى عشر بما فيه آخرهم الغائب الذي لم يولد بعد، مع أن جميع النساء لجميع أئمتهم ذكرن، وذكر أسمائهن في الكتب التي هم ألفوها في سيرهم وسوانحهم من علي بن أبي طالب ﷺ إلى الحسن العسكري والغائب الموهوم، كما أنه لم يثبت واحد من أولادهم بأنه كان حصيلة المتعة وثمرتها، وهذا مع أنهم ملئوا كتب التاريخ والأنساب والسير من الأساطير والأباطيل.

وهذا مما لا جواب عليه عند واحد منهم، من أدناهم إلى أعلاهم، فهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟

* * *

إعارة الفروج

وأباحوا مع ذلك إعارة الفروج ومنحها للأصدقاء، فلقد روى الطوسي عن أبي الحسن الطارئ أنه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن عارية الفرج؟ قال: لا بأس به» [«الاستبصار للطوسي» ص١٤١ ج٣].

ورووا عن أبيه مثل هذا كما روى الطوسي أيضًا عن زرارة أنه قال:

قلت: لأبي جعفر عليه السلام: الرجل يحل جاريته لأخيه؟ قال: لا بأس به».

[«الاستبصار للطوسي» ج٣ ص١٣٩].

والاستئجار أيضًا.

ومن أكاذيبهم الشنيعة على جعفر بن الباقر ما رووه عنه أنه قال:

جاءت امرأة إلى عمر فقالت: إني زنيت فطهرني، فأمر بها أن ترجم، فأخبر بذلك أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فقال: كيف زنيت؟ فقالت: مررت بالوادية فأصابني عطش شديد فاستقيت عربيًا، فأبى أن يسقيني إلا أن أمكنه من نفسي، فلما أجهدني العطش وخفت على نفسي سقاني فأمكنته من نفسي، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: تزويج ورب الكعبة» [«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤٦٨].

انظر إلى القوم كيف فتحوا أبواب الفحش والدعارة على مصاريعها بمثل هذه الأكاذيب والافتراءات؟

* * *

اللواط بالنساء

ومن أكاذيبهم على أهل البيت أنهم نقلوا عنهم جواز لواطة النساء، فروى الكليني عن الرضا أنه سأله صفوان بن يحيى:

«إن رجلاً من مواليك أمرني أن أسألك، قال: وما هي؟ قلت: الرجل يأتي امرأته في دبرها؟

قال: ذلك له، قال: قلت له: فأنت تفعل؟ قال: إنا لا نفعل ذلك».

[«الفروع من الكافي» للكليني ج٥ ص٥٤٠، وأيضًا «الاستبصار» ج٣ ص٢٤٣، ٢٤٤].

ورووا عن جعفر أنه سأله رجل عن الرجل:

«يأتي المرأة في ذلك الموضع، وفي البيت جماعة، فقال لي ورفع صوته: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كلفه مملوكه ما لا يطيق فليبعه (يعني قال هذا خداعًا للناس) ثم نظر في وجوه أهل البيت، ثم أصغى إلي، فقال: **لا بأس به»**.

[«الاستبصار» لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي ص٢٤٣ ج٣ كتاب النكاح].

ورووا أيضًا عن حفيده أبي الحسن الرضا - الإمام الثامن المعصوم عندهم - بعبارة أصرح وأشنع من هذه حيث روى عنه الطوسي أنه سأله رجل عن إتيان الرجل المرأة من خلفها في دبرها، فقال: أحلتها آية من كتاب الله قول لوط عليه السلام: هؤلاء بناتي هن أطهر لكم: وقد علم أنهم يريدون الفرج».

[«الاستبصار» ج٣ ص٢٤٣، وأيضًا «تهذيب الأحكام» للطوسي ج٧ ص٤١٥].

كما رووا عن جعفر بهذه الصراحة عن عبد الله بن أبي يعفور قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة في دبرها؟ قال: لا بأس، إذا رضيت، قلت: فأين قول الله عز وجل: فأتوهن من حيث أمركم الله؟ قال: هذا في طلب الولد».

[«تهذيب الأحكام» للطوسي ج٧ ص٤١٤، باب آداب الخلوة أيضًا «الاستبصار» ج٣ ص٢٤٣].

ويروون عن يونس بن عمار أنه قال: إني ربما أتيت الجارية من خلفها يعني دبرها

وتفززت، فجعلت على نفسي إن عدت إلى امرأتي هكذا فعلى صدقة درهم وقد ثقل ذلك علي، قال: ليس عليك شيء وذلك لك» [«الاستبصار» ج٣ ص٢٤٤].

هذا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: محاش نساء أمتي [جمع محشة وهي الدبر] على رجال أمتي حرام» [«من لا يحضره الفقيه» ج٣ ص٤٦٨ كتاب النكاح باب النوادر].

* * *

الشريعة

ومن أكاذيبهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته، التي اختلقوها والافتراءات التي اخترعوها عليهم هي الأحاديث والروايات التي يروونها لتعطيل الشريعة الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن العمل بأوامرها ونواهيها، واجتذاب الأوباش من الناس والسفلة السوقة، المهملين حدود الله والغير العاملين بأوامر الله، وغير المهتمين بإرشاداته وتعليماته، والذين لا يرون العبادات من الصلاة والصيام والحج والزكاة إلا وزرًا عليهم، وكلفة لا يطيقونها، ومشقة لا يتحملونها، وإهمالاً للأوقات ومضيعة للمال، كما أنهم يرون التقيد بأوامر الشرع في المعاملات وغيرها من مسائل الحياة من الأشياء اللاضرورية التي أوجبت عليهم عبثًا.

وهذا مع تطلعهم إلى إطلاق عنان النفس وراء الملذات والشهوات، والإغراق في الملاهي والمنكرات والسيئات.

فلإرواء غلة النفوس الخبيثة من الملذات، ولتحريرها من الحدود والقيود الدينية والأخلاقية جوّزوا وأباحوا الزنا ولو بألف امرأة للرجل، وبالعكس للنساء باسم المتعة التي ليس إلا الفجور المحض كما بيناه آنفًا من كتب القوم أنفسهم، ورفعوا العمل بالصالحات والإتيان بالفرائض الشرعية وسننها، والامتثال بتعاليمها في باقي أمور الدين والدنيا.

وعلى ذلك كذبوا على الله عز وجل - سبحانه وتعالى عما يفتري عليه الأفاكون - أنه قال جل وعلا:

علي بن أبي طالب حجتي على خلقي، ونوري في بلادي، وأميني على علمي، لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أدخل الجنة من أنكره ولو أطاعني» [«مقدمة البرهان في تفسر القرآن» للبحراني ص٢٣ ومثله في «الخصال» للقمي ج٢ ص٥٨٣].

ومعناه أنه لا عبر بمعصية الله تعالى في دخول الجنة والنار، بل العبرة هي حب علي، فمن أحبه عمل بالإسلام أو لم يعمل وامتثل بأوامر الله تعالى أو لم يمتثل دخل الجنة

فعليه أن يحب عليًا ويفعل ما شاء فلا مؤاخذة عليه.

هذا وليس هذا فحسب، بل لو حكم عليه بالنار وسيق إلى جهنم وطرد من الحوض لاقترافه الكبائر وارتكابه الموبقات يرد إلى الجنة ويروى من الحوض إن كان من الشيعة.

كما افتروا على الله تبارك وتعالى - ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا - بقولهم في رواية مختلقة:

عن أبي جعفر أنه قال: إذا كان يوم القيامة جمع الله عز وجل الناس في صعيد واحدة حفاة عراة، فيوقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقًا شديدًا، فيمكثون في ذلك مقدار خمسين عامًا، وهو قول الله عز وجل: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾، قال: ثم ينادي مناد من تلقاء العرش أين النبي الأمي؟ أين نبي الرحمة، أين محمد بن عبد الله الأمي؟، فيتقدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين أيلة وصنعاء، فيقف عليه، فينادى بصاحبكم فيتقدم علي أمام الناس، فيقف معه ثم يؤذن للناس فيمرون، فبين وارد الحوض يومئذ وبين مصروف عنه، فإذا رأى رسول الله (ص) من يصرف عنه من محبينا بكى، فيقول:

يا رب شيعة علي أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار، ومنعوا ورود حوضي؟ قال: فيبعث الله إليه ملكًا فيقول: ما يبكيك يا محمد؟ فيقول: لأناس من شيعة علي، فيقول له الملك إن الله يقول:

يا محمد! إن شيعة علي قد وهبتهم لك يا محمد، وصفحت لهم عن ذنوبهم بحبهم لك ولعترتك، وألحقتهم بك وبمن كانوا يقولون به، وجعلناهم في زمرتك، فأوردهم حوضك، قال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون: يا محمد! إذا رأوا ذلك، ولا يبقى أحد يومئذ يتولانا ويحبنا ويبرأ من عدونا ويبغضهم إلا كانوا في حزبنا ومعنا، ويردوا حوضنا» [تفسير البرهان ص٢٥٥ ج٣ و«الصافي» ص٧٨ ج٢].

وأيضًا ما رواه البحراني في تفسيره نقلاً عن المفيد في «الاختصاص»:

«عن أبى سعيد المدائني أنه قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما معنى قول

الله عز وجل في محكم كتابه: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ فقال عليه السلام: كتاب لنا كتبه الله يا أبا سعيد في ورق قبل أن يخلق الخلائق بألفي عام، صيره معه في عرشه، أو تحت عرشه، فيه: يا شيعة آل محمد! غفرت لكم قبل أن تعصوني [وإن القوم لم يجعلوا الأئمة معصومين بل شاركوهم أيضًا في العصمة حيث أن الله غفر لهم قبل ارتكاب المعصية، ومن كان هذا شأنه كان معصومًا، فالعصمة حاصلة لأئمة الشيعة وللشيعة أيضًا]، من أتى غير منكر بولاية محمد وآل محمد أسكنته جنتي برحمتي» [البرهان ص٢٢٨ ج٣].

كما كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو الصادق الأمين فداه أبواي وروحي:

«إنه قال: من رزقه الله حب الأئمة من أهل بيتي فقد أصاب خير الدنيا والآخرة، فلا يشكن أحد أنه في الجنة» [تفسير نور الثقلين ص٥٠٤ ج٢ ط قم - إيران].

وكذبوا على علي أنه قال:

من أحبني فهو سعيد يحشر في زمرة الأنبياء [كتاب الخصال ص٥٧٨ ج٢].

يعني لا يحتاج أن يقرأ القرآن ويصلي ويزكي ويصوم ويحج ويتعب نفسه ويجهد روحه، بل عليه أن يحبه فحسب، وعلى الله أن ينجيه من النار ويدخله النعيم كما صرحوا في كتبهم بعبارات واضحة غير مبهمة، فهذا هو صدوقهم - وهو كذوب - يروي في كتابه زورًا وبهتانًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

يا علي! من أحبك بقلبه فكأنما قرأ بثلث القرآن، ومن أحبك بقلبه وأعانك بلسانه فكأنما قرأ ثلثي القرآن، ومن أحبك بقلبه وأعانك بلسانه ونصرك بيده فكأنما قرأ القرآن كله» [كتاب الخصال ص١٨٠ ج٢].

وأما الصلاة والزكاة والحج فإنهم نقلوا عن جعفر الصادق - وهم عليه يكذبون أنه قال: إن الله يدفع [أي العذاب والهلاك] بمن يصلي من شيعتنا عمن لا يصلي من شيعتنا.. وإن الله يدفع بمن يزكي من شيعتنا عمن لا يزكي من شيعتنا ... وإن الله يدفع بمن يحج من شيعتنا عمن لا يحج من شيعتنا». [«تفسير القمي» لعلي بن إبراهيم ج١ ص٨٣، ٨٤، أيضًا تفسير العياشي لمحمد بن مسعود السلمي المعروف بالعياشي ج١ ص١٣٥].

هذا وليس على أحد من الشيعة أن يصلي ويزكي ويحج لأن بعضًا منهم قد يصلون ويزكون ويحجون، ويؤدون عن الباقي، فعوضوا عن هذه الفرائض والواجبات كلها عن حب أهل البيت، وزيارتهم، والبكاء على قتلاهم وأمواتهم، وزيارة قبورهم بعد موتهم.

فدين الشيعة دين مختلق، مبتكر، جديد، لا يمت إلى الإسلام بشيء، دين العمل دين الواجبات والفرائض، دين العبادات والمعاملات، دين الأوامر والنواهي، الدين الذي علم على لسان رسوله الصادق الأمين بأن أهل البيت أنفسهم لا يستطيعون أن ينجوا من عذاب الله وبطشه وناره إلا بالتمسك بحبل الله، والعمل بما أمره الله ورسوله، والاجتناب عما نهاه الله ورسوله، كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل بيته، عمه، وعمته، وبنته وعشيرته، كل واحد باسمه وشخصه قائلاً: «يا بنى عبد المطلب! يا بني عبد مناف! يا فاطمة بنت رسول الله! يا عباس بن عبد المطلب! يا صفية عمة رسول الله! افتدوا أنفسكم من النار، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا».

[«تفسير منهج الصادقين» ج٦ ص٤٨٨].

وفى رواية أخرى «اعملوا اعملوا، وسلوني من مالي ما شئتم، فإني لا أغني عنكم من الله شيئًا» [«تفسير منهج الصادقين» ج٦ ص٤٨٨].

فهؤلاء هم أهل بيت النبوة لا ينجون من عذاب الله، ويدخلون الجنة بحبهم لرسول الله، وولائهم له، وقرابتهم منه، إلا بالعمل الصالح وإطاعة الله ورسوله في كل الأمور، أمور الدنيا والآخرة، ورسول الله لا يغنيهم بدون ذلك.

وهذا ما يؤديه القرآن المنزل من السماء على محمد صلى الله عليه وسلم حيث جاء فيه ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام الآية ١٦٤].

و ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [سورة النجم الآية ٣٩ إلى ٤١].

و ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

[سورة النازعات الآية٣٧ إلى ٤١].

و ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأعلى الآية ١٤، ١٥].

وقال الله عز وجل في كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو أصدق القائلين:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

[سورة الزلزال الآية ٧، ٨].

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة المؤمنون الآية ١ إلى ١١].

وذكر الله عز وجل في القرآن الذي جعله دستورًا وإمامًا للناس وهدى ورحمة للمؤمنين، قال فيه:

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّـٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المدثر الآية ٣٨ إلى ٤٨].

وحكى الله عز وجل على لسان نبيه نوح عليه السلام أنه نادى ربه عندما رأى ابنه غريقًا في السيل والطوفان:

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

[سورة هود الآية ٤٥ إلى ٤٧].

كما حكي عن إبراهيم عليه السلام وعن أبيه أنه قال له:

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة مريم الآية٤٣ إلى٤٧].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة التوبة الآية١١٤].

فبين الله في هذه الآيات المباركة من الكتاب أن لا نجاة ولا فلاح ولا فوز إلا بالتمسك بحبل الله، والعمل بكتاب الله، والامتثال بأوامره، والإطاعة له ولرسوله، والتقرب إليه بالعبادات من الصلوات والزكاة والصيام والحج، والدخول في دين الله كافة واجتناب محارمه ومعاصيه، ودون ذلك لا يفيد، سواء كانت قرابة حسب ونسب لأولياء الله وصلحائه أو رسل الله وأنبيائه اللهم إلا بالعمل الصالح.

فهذا هو أبو لهب عم الرسول الحقيقي وصهر ابنتيه، ومن عشيرته وأقربائه نزلت فيه:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴿٥﴾﴾ [سورة تبت].

وذاك أبو طالب عمه الثاني، نزلت فيه الآية عند ما أراد رسول الله الاستغفار له:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [سورة التوبة الآية١١٣].

هذا ولا يخفى على كل من تأمل القرآن وتصفح في معانيه أن مدار النجاة هو على الإقرار بوحدانية الله عز وجل ورسالة نبيه المحترم صلى الله عليه وسلم والعمل بما أمر في الكتاب والسنة ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى

ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ - إلى أن قال -: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الفرقان الآية ٧٠ إلى ٧٦].

خلاف القوم فإنهم اعتقدوا عكس ذلك فقالوا: حب علي حسنة لا تضر معها سيئة». [«تفسير منهج الصادقين» ج٨ ص١١٠].

و «إن حبّنا أهل البيت ليحط الذنوب عن العباد كما تحط الريح الشديدة الورق عن الشجرة» [«تفسير منهج الصادقين» ج٨ ص١١١].

كما كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إن الله تعالى جعل لأخي علي بن أبي طالب فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقرًا بها غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي لتلك الكتابة أثر ورسم، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب التي اكتسبها من السماع، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر له الذنوب التي اكتسبها من النظر» [«حديقة الشيعة» لأحمد بن محمد المعروف بمقدس الأردبيلي ص٢ ط طهران، أيضًا «كشف الغمة» لعلي بن عيسى الأربلي ج١ ص١١٢].

وأما العمل الصالح فقد صرحوا بأنه لا احتياج إليه كما رووه عن جعفر الصادق - وهم كذبة - أنه قال مخاطبًا للشيعة: «أما والله لا يدخل النار منكم اثنان، لا والله ولا واحد» [«الروضة من الكافي» للكليني ج٨ ص٧٨].

وإنه قال للشيعة: إن الرجل منكم لتملأ صحيفته من غير عمل».

[«الروضة من الكافي» للكليني ج٨ ص٣١٥].

«بل كان مع النبيين في درجتهم يوم القيامة» [«مقدمة البرهان» ص٢١].

وأيضًا نسبوا إلى أبي الحسن الرضا - الإمام المعصوم الثامن عندهم - أنه قال:

رفع القلم عن شيعتنا ..... ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنبًا أو خطأ إلا ناله في ذلك عما يمحص عنه ذنوبه ولو أنه أتى بذنوب بعدد القطر والمطر، وبعدد الحصى والرمل، وبعدد الشوك والشجر» [«عيون أخبار الرضا» لابن بابويه القمي ج٢ ص٢٣٦].

فمن كان هذا شأنه لماذا يحتاج أن يجد نفسه ويكد فله أن يقر بحب علي وآله، ويعمل ما شاء، كيفما شاء، وأينما شاء، لأن القلم قد رفع عنه، وغفرت ذنوبه وخطاياه، وأعطي له صك الرضا والجنة، لا تضره معصية ولا سيئة، ولا يزيده إيمان ولا عمل.

وأما الإظهار لهذا الحب فهو أن يزور قبر الحسين أو الرضا أو أحد من الأئمة، ويأخذ صكوك المغفرة والرضوان والجنة، فقد قالوا:

«زيارة الحسين – أي قبره – عليه السلام تعدل مائة حجة مبرورة ومائة عمرة متقبلة» [«الإرشاد» للمفيد ص٢٥٢ ط مكتبة بصيرتي – قم].

وكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: من زار الحسين بعد موته فله الجنة» [«الإرشاد» للمفيد ص٢٥٢].

ومن لم يستطع زيارته فعليه أن يبكي على شهادته، ويأخذ الجنة كما رووا عن باقر ابن زين العابدين أنه قال:

«لا تخرج قطرة ماء بكاء على الحسين إلا ويغفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر» [«جلاء العيون» للمجلسي الفارسي ج٢ ص٤٦٨].

و «وجب عليه الجنة» [«جلاء العيون» ص٤٦٤ تحت العنوان باب البكاء على الحسين].

هذا ومن بكى على الرضا فله الجنة أيضًا كما نقلوا عن الرضا أنه قال: وما من مؤمن يزورني فيصيب وجهه قطرة من ماء إلا حرم الله تعالى جسده على النار».

[«عيون أخبار الرضا» ج٢ ص٢٢٧].

وأما من زار قبره يقولون فيه نقلاً عن ابنه محمد الملقب بالجواد – الإمام التاسع عندهم – أنه قال:

من زار قبر أبي بطوس غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر – فإذا كان يوم القيامة وضع له منبر حذاء منبر النبي (ص) حتى يفرغ الله من حساب العباد».

[«عيون أخبار الرضا» ج٢ ص٢٥٩].

وينقلون عن أبيه موسى بن جعفر – الإمام السابع عندهم – أنه قال:

من زار قبر ولدي علي كان له عند الله سبعون حجة مبرورة، قلت – أي الراوي –

سبعون حجة؟ قال: نعم وسبعون ألف حجة - الله الله من كذب القوم، ما أشنعه وما أكثر - ثم قال: رب حجة لا تقبل، ومن زاره أو بات عنده كان كمن زار الله تعالى في عرشه - أستغفر الله على نقل هذه الخرافة - قلت: كمن زار الله في عرشه؟ قال: نعم».

[«عيون أخبار الرضا» ج٢ ص٢٥٩].

ونقلوا عن علي الرضا أنه قال: سيأتي عليكم يوم تزورون فيه تربتي بطوس، ألا فمن زارني وهو على غسل خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه» [«عيون أخبار الرضا» ج٢ ص٢٦٠] - إن القوم قد بلغوا في الكذب ما لم يبلغه الأولون والآخرون وكل واحد من علمائهم وفقهائهم ومحدثيهم يتسابق إلى اختلاق الكذب واختراعه ويريد أن يزداد ويكثر من الآخر حتى ينسى ماذا قال الأولون وماذا يقول به الآخرون، وإن الجميع ليعرف أن الشيعة لا يعطون لأحد المنزلة التي يجعلونها للحسين بن علي السبط، ولكن ابن بابويه حينما بدأ في ذكر الرضا أكثر في الكذب وبالغ إلى حد نسي مذهبه ومعتقده وغرق في خضم الكذب حتى فضل علي بن موسى الرضا على الحسين حيث ذكر في «الإرشاد» أن زيارة قبر الحسين تعدل مائة حجة، وحينما جاء إلى ذكر الرضا كتب أن زيارة الرضا تعدل عند الله ألف حجة - [انظر ص٢٥٧ لعيون أخبار الرضا].

وأكثر من ذلك أنه قال:

إن زيارة قبره أفضل من زيارة قبر الحسين كما روى عن علي بن مخرياء أنه قال: قلت لابن أبي جعفر يعني الرضا: جعلت فداك، زيارة الرضا عليه السلام أفضل أم زيارة الحسين؟ فقال: زيارة أبي عليه السلام أفضل» [عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٦١].

وأكثر من ذلك أنه قال: «بأن زيارة قبره أفضل من بيت الله العتيق».

[عيون ج٢ ص٢٦١].

و «لا يزورها مؤمن إلا أوجب الله له الجنة وحرم جسده على النار».

[«عيون أخبار الرضا» ج٢ ص٢٥٥].

هذا ومن زار أخته فاطمة بنت موسى فله الجنة أيضًا كما رووا عن سعد بن سعد أنه قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن زيارة فاطمة بنت موسى بن جعفر عليهما

السلام فقال: من زارها فله الجنة».

[عيون أخبار الرضا ج٢ ص٢٦٧ باب ثواب زيارة فاطمة عليها السلام بقم].

فهذا هو دين القوم وهذا هو مذهبهم المبني على المقابر والمشاهد، والزيارات والبكاء، والحب والولاء، لا العمل ولا الفروض ولا الواجبات، ولا الحدود ولا المنكرات ولا السيئات.

* * *

الأئمة

إن القوم لم يجبلوا إلا على الكذب، ولم يخلقوا إلا مع الكذب كأنهم والكذب توأمان، فلقد كذبوا وما أكثره وأشنعه بأن أئمتهم يملكون الأوصاف الإلهية المختصة بذات الله وجلاله، وأنهم يشاركونه في أموره وتقديراته – سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا –.

فهذا هو كلينيهم – وهو كالبخاري عند السنة – يكذب على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال:

لقد أعطيت خصالاً لم يعطهن أحد قبلي – وحتى الأنبياء –، علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني».

[«الأصول من الكافي» ج١٩ ص١٩٧].

والثابت في كتاب الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة لقمان الآية ٣٤].

ومن أوصاف الله عز وجل أنه: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة سبأ الآية٣].

وأنه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل الآية٦٥].

وأما القوم فلم يكتفوا على أن يثبتوا الصفات الربانية المختصة بمقامه وشأنه جل وعلا لعلي رضي الله عنه مخالفين كتاب الله وتعاليم رسوله صلى الله عليه وسلم، بل أثبتوها لأئمتهم جميعًا، فلقد بوب الكليني بابًا مستقلاً «إن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وإنه لا يخفى عليهم الشيء».

ثم نقل عن جعفر الصادق – وهو يكذب عليه – أنه قال: إني أعلم ما في السماوات والأرض وأعلم ما في الجنة وما في النار وأعلم ما كان وما يكون.

[«الأصول من الكافي»، كتاب الحجة ج١ ص٢٦١].

كما كذبوا على أبيه محمد الباقر أنه قال: لا يكون والله عالم جاهلاً أبدًا، عالما بشيء، جاهلاً بشيء، ثم قال: الله أجل وأعز وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٢٦٢].

وكذبوا على أبي الحسن أنه كان جالسًا وعنده إسحاق بن عمار، فدخل عليه رجل من الشيعة، فقال له:

يا فلان! جدد التوبة وأحدث العبادة، فإنه لم يبق من عمرك إلا شهر، قال إسحاق: فقلت في نفسي: واعجباه كأنه يخبرنا أنه يعلم آجال الشيعة أو قال: آجالنا، قال: فالتفت إلي مغضبًا - لأنه عرف ما اختلج في صدره - وقال: يا إسحاق وما تنكر من ذلك ... يا إسحاق أما أنه يتشتت أهل بيتك تشتتًا قبيحًا، ويفلس عيالك إفلاسًا شديدًا».

[«رجال الكشي» ص٣٤٨ تحت ترجمة إسحاق بن عمار ط كربلاء].

هذا، وإله الحق يقول: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾.

[سورة الأنعام الآية٥٩].

وقد أقر بذلك جعفر الصادق وأنكر عنه وعن غيره من أهل البيت الغيب كما رواه القوم أنفسهم عن سدير أنه قال:

كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزار وداؤد بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج علينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجبا لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة، فهربت مني فما علمت في أي دار هي؟» [«كتاب الحجة من الكافي» ج١ ص٢٥٧].

ومثله في رجال الكشي حيث سئل عنه أن أبا الخطاب - أحد تلامذته - يقول: إنك تعلم الغيب وأنت قلت له هذا؟ فقال جعفر: وأما قوله: إني كنت أعلم الغيب فوالله الذي لا إله إلا هو ما أعلم الغيب، ولا آجرني الله في أمواتي ولا بارك لي في أحيائي إن كنت قلت له، قال: (أي الراوي) وقدامه جويرية سوداء تدرج قال (أي جعفر): لقد كان مني إلى أم هذه بخطة القلم فأتتني هذه فلو كنت أعلم الغيب ما كانت تأتيني، ولقد قاسمت مع عبد الله حائطًا بيني وبينه، فأصابه السهل والشرب وأصابني الجبل،

فلو كنت أعلم الغيب لأصابني السهل والشرب وأصابه الجبل».

[«رجال الكشي» ص٢٤٨].

وكذبوا على محمد الباقر حيث روى أبو بصير أنه قال:

قلت لأبي جعفر عليه السلام: أنتم تقدرون على أن تحيوا الموتى وتبرؤا الأكمه والأبرص؟ قال: نعم بإذن الله، ثم قال لي: ادن مني يا أبا محمد! فدنوت منه، فمسح على وجهي وعلى عيني فأبصرت الشمس والسماء والأرض والبيوت وكل شيء في البلد، ثم قال لي: أتحب أن تكون هكذا أو بك ما للناس وعليك ما عليهم يوم القيامة أو تعود كما كنت ولك الجنة خالصًا؟ قلت: أعود كما كنت، فمسح على عيني، فعدت كما كنت». [«كتاب الحجة من الكافي» ج١ ص٤٧٠].

ومن أكاذيبهم على أئمتهم أن عندهم جميع الكتب التي أنزلت وأنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٢٢٧].

و «إن الأئمة يعلمون متى يموتون، وإنهم يموتون باختيار منهم».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٢٥٨].

و «إن الأئمة لو ستر عليهم لأخبروا كل امرئ بما له وما عليه».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٢٦٤].

و «إن الأئمة تدخل الملائكة بيوتهم، وتطأ بسطهم، وتأتيهم بالأخبار».

[«الأصول من الكافي» كتاب الحجة ج١ ص٣٩٣].

و «عندهم علم لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٤٠٢].

و «إن الإمام لا يخفى عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة ولا شيء فيه روح» [«قرب الإسناد» للحميري ص١٤٦ ط مكتبة نينوى طهران].

* * *

خروج القائم

ومن أكاذيبهم على أهل البيت أنهم نسبوا إليهم الأقوال والروايات التي تنبئ بخروج القائم من أولاد الحسن العسكري الذي لم يولد له مطلقًا في آخر الزمان، وإحيائه أعداء أهل البيت وقتله إياهم حسب زعمهم.

كما أورد الكليني – محدث القوم وبخاريهم – عن سلام بن المستنير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يحدث إذا قام القائم عرض الإيمان على كل ناصب، فإن دخل فيه بحقيقة وإلا ضرب عنقه، أو يؤدي الجزية كما يؤديها اليوم أهل الذمة، ويشد على وسطه الهميان ويخرجهم من الأمصار إلى السواد» [«الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٢٧].

ولا هذا فحسب، بل أورد الصافي مفسر القوم رواية عن جعفر أيضًا أنه قال:

إذا خرج القائم قتل ذراري قتلة الحسين عليه السلام بفعال آبائهم».

[«تفسير الصافي» سورة البقرة ج١ ص١٧٢].

هذا ولا يكتفي على قتل ذراريهم، بل يحيي آباءهم ويقتلهم كما روى المفيد كذبًا على جعفر بن الباقر أنه قال:

إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم فأقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم، ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم، ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات» [«الإرشاد» للمفيد ص٣٦٤].

ولقد أورد العياشي أنه يقتل أيضًا يزيد بن معاوية وأصحابه كما يقول:

قال أبو عبد الله عليه السلام: إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ويزيد بن معاوية وأصحابه، فيقتلهم حذو القذة بالقذة» [تفسير العياشي» ج٢ ص٢٨٠ تحت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، أيضًا «البرهان» ج٢ ص٤٠٨، أيضًا «الصافي» ج١ ص٩٥٩].

ولم يقتنع القوم بهذه الأكاذيب، ولم يشف غليلهم حتى بلغوا إلى أقصاه، فافتروا على محمد الباقر أنه قال:

أما لو قام قائمنا ردت الحميراء – أي: أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها – حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام منها، قيل: ولم يجلدها؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم، قيل: فكيف أخره الله للقائم عليه السلام؟ قال: إن الله بعث محمدًا صلى الله عليه وآله رحمة، وبعث القائم عليه السلام نقمة».

[«تفسير الصافي» سورة الأنبياء ج٢ ص١٠٨].

كما أنهم حكوا روايات كثيرة باطلة، ونسبوها إلى أئمتهم نذكر منها واحدًا أن أبا جعفر الباقر قال:

كأني بالقائم على نجف الكوفة قد سار إليها من مكة في خمسة آلاف من الملائكة، جبرائيل عن يمينه وميكائيل عن يساره والمؤمنون بين يديه، وهو يفرق الجنود في البلاد ..... وأول من يبايعه جبرائيل» [«روضة الواعظين» ج٢ ص٣٦٤، ٣٦٥، «الإرشاد» ص٣٦٤].

* * *

المسائل الغريبة

ومن أكاذيبهم الشنيعة الكثيرة على أهل البيت أنهم كذبوا على أبي عبد الله جعفر بن الباقر أنه قال:

إن سال من ذكرك شيء من مذي أو ودي وأنت في الصلاة فلا تغسله، ولا تقطع الصلاة ولا تنقض له الوضوء وإن بلغ عقبيك، فإنما ذلك بمنزلة النخامة وكل شيء يخرج منك بعد الوضوء فإنه من الحبائل أو من البواسير وليس بشيء» [الفروع من الكافي ج٣ ص٣٩، أيضًا «تهذيب الأحكام» ج١ ص٢١، أيضًا الاستبصار ج١ ص٩٤].

كما كذبوا على أبيه محمد الباقر بن علي زين العابدين أنه:

«سئل عن المذي يسيل حتى يصيب الفخذ؟ فقال: لا يقطع صلاته ولا يغسله من فخذه» [الفروع من الكافي ج٣ ص٤٠ كتاب الطهارة].

ورووا عن عمر بن زيد أنه قال:

اغتسلت يوم الجمعة بالمدينة وتطيبت ولبست أثوابي، فمرت بي وصيفة ففخذت لها فأفضيت أنا وأمنت هي، فدخلني من ذلك ضيق فسألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك، فقال: ليس عليك وضوء ولا عليها غسل».

[«وسائل الشيعة» للحر العاملي كتاب الطهارة ج١ ص١٩٨].

ومن أكاذيبهم أن جعفر الصادق رأى حنان بن سدير وعليه نعل سوداء، فقال: مالك ولبس نعل سوداء؟ أما علمت أن فيها ثلاث خصال؟ قلت: وما هي جعلت فداك؟ قال: تضعف البصر وترخي الذكر وتورث الهم، وهي مع ذلك لباس الجبارين، عليك بلبس نعل صفراء، فيها ثلاث خصال، قال: قلت: وما هي؟ قال: تحد البصر وتشد الذكر وتنفي الهم» [كتاب الخصال لابن بابويه القمي باب الثلاثة ج١ ص٩٩].

ولسائل أن يسأل ما علاقة النعل بالتشديد والإرخاء؟

ورووا عن أبي الحسن الأول - الإمام السابع عند القوم - أنه قال:

النظر إلى الوجه الحسن يجلي البصر. [كتاب الخصال، باب الثلاثة، ج١ ص٩٢].

ورووا عن أبيه جعفر أنه قال:

أربعة لا يشبعن من أربعة، الأرض من المطر، والعين من النظر، والأنثى من الذكر» [«كتاب الخصال» ج١ ص٢٢١].

وأيضًا رووا عنه أنه قال: النشوة في عشرة أشياء .... في الأكل والشرب والنظر إلى المرأة الحسناء والجماع» [«كتاب الخصال» باب العشرة ج٢ ص٤٤٣].

ورووا أيضًا أنه سئل: «هل للرجل أن ينظر إلى امرأته وهي عريانة؟ قال: لا بأس بذلك، هل اللذة إلا بذلك» [«الفروع من الكافي» ج٢ ص٢١٤ ط الهند].

كما سئل أبو الحسن عن: «الرجل يقبل فرج امرأته؟ قال: لا بأس» [«الفروع من الكافي» ج٢ ص٢١٤].

ولا ندري ما علاقة أئمة القوم بمثل هذه المسائل، وما الحكمة في بيانها؟ ثم وأي دين هذا الذي يأمر أتباعه بالنظر إلى الحسناوات، وتشديد الذكر، والترغيب في الأكل والشرب والجماع وغير ذلك من الخرافات التي يأبى الإنسان العادي أن يذكرها دون الأئمة والثقاة حسب زعم القوم؟

هذا وقد رووا أيضًا عن جعفر أنه قال: النظر إلى عورة من ليس بمسلم مثل نظرك إلى عورة الحمار» [«الفروع الكافي»، كتاب الزي والتجمل ج٦ ص٥٠١ ط طهران].

وأما عورة المسلم فرووا عن أبي الحسن موسى الكاظم أنه قال:

العورة عورتان القبل والدبر، أما الدبر فمستور بالإليتين وأما القبل فاستره بيدك» [«الفروع الكافي» كتاب الزي والتجمل ج٦ ص٥٠١].

هذا وليس هذا فحسب، بل هناك فضائح أكثر من هذا حيث قالوا: إن أبا جعفر - محمد الباقر - عليه السلام كان يقول:

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بميزر، فقال: فدخل ذات يوم الحمام فتنور - أي جعل النورة على جسمه - فلما أن أطبقت النورة على بدنه ألقى الميزر، فقال له مولى له: بأبي أنت وأمي إنك توصينا بالميزر ولزومه وقد ألقيته عن نفسك؟ فقال: أما علمت أن النورة قد أطبقت العورة؟ [أيضا ج٦ ص٥٠٢، ٥٠٣].

كما رووا عن عبيد الله الدابقي أنه قال: دخلت حمامًا بالمدينة، فإذا شيخ كبير وهو قيم الحمام، فقلت: يا شيخ لمن هذا الحمام؟ فقال: لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، فقلت: كان يدخله؟ قال: نعم، فقلت: كيف كان يصنع؟ قال: كان يدخل فيبدأ فيطلي عانته وما يريه، ثم يلف على طرف إحليله ويدعوني، فأطلي سائر بدنه، فقلت له يومًا من الأيام: الذي تكره أن أراه قد رأيته، فقال: كلا، إن النورة سترته» [«الفروع من الكافي» كتاب الزي والتجمل ج٦ ص٥٠٣].

* * *

عجائب وغرائب

ومن مسائلهم الغريبة، وأكاذيبهم العجيبة أنهم نقلوا عن محمد الباقر أنه قال في رجل زنى بأم امرأته أو ابنتها أو أختها: لا يحرم ذلك عليه امرأته».

[«الفروع من الكافي» ج٥ ص٤١٦].

وأيضًا رووا عنه أنه قال:

إذا زنى رجل بامرأة أبيه أو جارية أبيه فإن ذلك لا يحرمها على زوجها، ولا تحرم الجارية على سيدها» [«الفروع من الكافي» ص٤١٩].

هذا ومثل هذا كثير.

ومن المسائل الشنيعة العجيبة الغريبة أنهم قالوا: إن صلاة الجنازة جائزة بغير وضوء كما كذبوا على جعفر أنه قال على جواب سائل سأله عن الجنازة «أصلي عليه بغير وضوء؟ فقال: نعم» [«الفروع من الكافي» ج٣ ص١٧٨، أيضًا «من لا يحضره الفقيه» ج١ ص١٧٠].

وكتب المحشي تحته «أجمع علماؤنا على عدم شرط هذه الصلاة بالطهارة» ونقل عن «التذكرة» وليست الطهارة شرطًا بل يجوز للمحدث والحائض والجنب أن يصلوا على الجنازة مع وجود الماء والتراب والتمكن، ذهب إليه علماؤنا أجمع».

[«الفروع من الكافي» - الهامش ص١٧٨ أيضًا].

ورووا عن جعفر محمد الباقر أنه قال: إن الحائض تصلي على الجنازة.

[من لا يحضره الفقيه ج١ ص١٧٠].

وذكروا أيضًا أن أبا جعفر محمد الباقر وابنه جعفر سئلا:

إنا نشتري ثيابًا يصيبها الخمر وودق الخنزير أبعد حكها نصلي فيها قبل أن نغسلها؟ فقالا: نعم! لا بأس، إنما حرم الله أكله ولم يحرم لبسه ومسه والصلاة فيها».

[«كتاب من لا يحضره الفقيه» ج١ ص٢٤٨].

هذا ويجعل الحبل من شعر الخنزير ويستقى به الماء من البئر يجوز الوضوء منه كما رووا عن زرارة أنه قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحبل يكون من شعر الخنزير يستقى به الماء من البئر هل يتوضأ من ذلك الماء؟ قال: لا بأس» [«تهذيب الأحكام» ج١ ص٤٠٩].

وأيضًا رووا عن جعفر أنه قال:

إن أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن قدر طبخت فإذا في القدر فأرة، قال: يهراق مرقها ويغسل اللحم ويؤكل» [«الفروع من الكافي» كتاب الطهارة ج٣ ص٧].

كما رووا عن جعفر أيضًا: «أنه سئل عن الفأرة والكلب يقع في السمن والزيت ثم يخرج منه حيًا؟ فقال: لا بأس بأكله» [«الفروع من الكافي» كتاب الأطعمة ج٢ ص١٦١].

هذا ومن ناحية أخرى شددوا إلى أن قالوا: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن أكل لحم الفحل وقت اغتلامه» - أي وقت شهوته -.

[«الفروع من الكافي» كتاب الأطعمة ج٦ ص٢٦٠].

وهذا تكليف ما لا يطاق لأنه لا يدري أحد أكان الفحل المذبوح في الشهوة أم لا؟

وهناك تيسير ورخصة أكثر من اللزوم حيث نقلوا عن جعفر بن الباقر أنه سئل عن الفأرة والسنور والدجاجة والطير والكلب تقع في البئر؟ قال: ما لم يتفسخ أو يتغير طعم الماء فيكفيك خمس دلاء» [«الفروع من الكافي» كتاب الطهارة ج٣ ص٥].

وسئل جعفر أيضًا عن البئر يقع فيها زنبيل عذرة يابسة أو رطبة، فقال: لا بأس به إذا كان فيها ماء كثير» [«تهذيب الأحكام» ج١ ص٤١٦، أيضًا «الاستبصار» ج١ ص٤٢].

كما نقلوا عنه أيضًا أنه: «سئل الصادق عليه السلام عن جلود الميتة يجعل فيها الماء والسمن ما ترى فيه؟ فقال: لا بأس بأن تجعل فيها ما شئت من ماء أو لبن أو سمن، وتتوضأ منه وتشرب» [كتاب من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه القمي ج١ ص١١].

كما قالوا أيضًا: إن سقطت في رواية ماء فأرة أو جرو أو صعوة ميتة فتنفخ فيها لم يجز شربه ولا الوضوء منه، وإن كان غير متفسخ فلا بأس بشربه والوضوء منه، وتطرح الميتة إذا خرجت طرية، وكذلك الجرة وحب الماء والقربة وأشباه ذلك من أوعية الماء».

[كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي ج١ ص١٤].

ورووا عن جعفر بن الباقر أنه قال:

لو أن ميزابين سالا أحدهما ميزاب بول والآخر ميزاب ماء، فاختلطا، ثم أصابك ما كان به بأس» [«الفروع من الكافي» ج٣ ص١٢، ١٣، أيضًا «تهذيب» ج١ ص٤٢].

كما رووا عنه أيضًا أنه قال له أحد: اغتسل في مغتسل يبال فيه ويغتسل من الجنابة، فيقع في الإناء ماء فينزو من الأرض؟ فقال: لا بأس به» [«الفروع من الكافي» ج٣ ص١٤].

وروى القمي في كتابه: «أن أبا جعفر الباقر عليه السلام دخل الخلاء، فوجد لقمة خبز في القذر، فأخذها وغسلها ودفعها إلى مملوك كان معه، فقال: تكون معك لآكلها إذا خرجت، فلما خرج عليه السلام قال للمملوك: أين اللقمة؟ قال: أكلتها يا ابن رسول الله، فقال: إنها ما استقرت في جوف أحد إلا وجبت له الجنة، فاذهب فأنت حر، فإني أكره أن استخدم رجلاً من أهل الجنة».

[«كتاب من لا يحضره الفقيه» باب أحكام التخلي ج١ ص٢٧].

وهذه هي أكاذيب القوم أنهم يمنحون صكوك المغفرة على أكل القذرة والخبز.

* * *

المضحكات المبكيات

ومن أكاذيبهم المضحكة المبكية أنهم يروون عن جعفر أنه قال:

لما ولد النبي صلى الله عليه وآله مكث أيامًا ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبنا، فرضع منه أيامًا حتى وقع أبو طالب على حليمة السعدية فدفعه إليها» [«الأصول من الكافي» كتاب الحجة ج١ ص٤٥٨ ط طهران].

ومثل ذلك ما ذكروا «لم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٤٦٥].

وانظر إلى القوم كيف يختلقون القصص، وينسجون الأساطير لتمجيد من يرون تمجيده ولو أنهم لا يجيدون اختلاقها، ولا يحسنون نسجها، فيبين فسادها، ويظهر عوارها وحتى للأطفال والصبيان دون الرجال والعقلاء، لكن أنى للقوم أن يفهموا ويبصروا.

ومن مثل هذه الأكاذيب ما افتروه على باقر بن زين العابدين أنه قال:

قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنك تلثم فاطمة وتلتزمها وتدنيها منك وتفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتك؟

فقال: إن جبرئيل عليه السلام أتاني بتفاحة من تفاح الجنة فأكلتها، فتحولت ماء في صلبي، ثم واقعت خديجة فحملت بفاطمة، فأنا أشم بها رائحة الجنة».

[«علل الشرائع» ج١ ص١٨٣].

ولما كانت فاطمة هكذا لا بد أن يكون علي مثلها في ذلك:

فاختلقوا في علي وولادته قصة تشابهها، ولقد أورد الفتال [هو محمد بن الحسن بن علي الفتال النيسابوري، الفارسي، قال القمي: الحافظ الواعظ، صاحب كتاب «روضة الواعظين»، كان من علماء المائة السادسة، ومن مشائخ ابن شهر آشوب».

[الكنى والألقاب ج٣ ص٩].

قال الحلي: متكلم جليل القدر، فقيه، عالم، زاهد، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيسابور» (رجال الحلي ص٢٩٥ سنة ٥٠٨)] في كتابه أن أبا طالب «أتي بطبق من فواكه الجنة رطبة ورمان، فتناول أبو طالب منه رمانة ونهض فرحًا من ساعته حتى رجع إلى منزله فأكلها فتحولت ماء في صلبه، فجامع فاطمة بنت أسد فحملت بعلي».

[«روضة الواعظين» للفتال ج١ ص٨٧ ط قم إيران].

ومنها أيضًا ما افتراه صدقوهم على جعفر أنه سئل:

«لم لم يبق لرسول (ص) ولد؟ قال: لأن الله خلق محمدًا (ص) نبيًا وعليًا عليه السلام وصيًا فلو كان لرسول الله ولد من بعده لكان أولى برسول الله من أمير المؤمنين فكأنك لا تثبت وصية لأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام».

[«علل الشرائع» ج١ ص١٣١ ط نجف].

وما دام القوم بدؤوا في الاختراعات والافتراءات فلهم أن يبلغوا ذروتها فكذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:

إن حلقة باب الجنة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب، فإذا دقت الحلقة على الصفيحة طنت وقالت: يا علي» [«روضة الواعظين» ج١ ص١١١].

وقام آخر - وهو من أهل هذا العصر - وقال:

لولا سيف ابن ملجم لكان علي بن أبي طالب من الخالدين في الدنيا».

[«أصل الشيعة وأصولها» ص١١٢ ط بيروت ١٩٦٠].

ولما بلغ علي هذا المقام الرفيع لزم أن يكون لشيعته نصيب من مجده وشرفه فافتروا على نبي الله أنه قال لعلي: إن الله حملني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي».

[«البرهان» ج٢ ص٤٤٢ ط قم - إيران].

ومن مفترياتهم المضحكة على أهل البيت أنهم كذبوا على أبي عبد الله أنه سئل عن الأرض:

«على أي شيء هي؟ قال: على الحوت، قلت: فالحوت على أي شيء هو؟ قال: على الماء، قلت: فالماء على أي شيء هو؟ قال على الصخرة، قلت: فعلى أي شيء الصخرة؟

قال: على قرن ثور أملس، فقلت: فعلى أي شيء الثور؟ قال: على الثرى، قلت فعلى أي شيء الثرى؟ فقال: هيهات عند ذلك ضل علم العلماء» [تفسير القمي ج٢ ص٥٩].

ومن مضحكاتهم ما افتروا به على علي بن الحسين الملقب بزين العابدين أنه قال إن لله ملكًا يقال له خرقائيل له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام» [«البرهان» ج٢ ص٣٢٧].

ونأتي إلى الأخير حيث لو أردنا الإطالة لما يكفيها الكتاب ولا الكتابان ولا الكتب لأن القوم جبلوا على الكذب فأكثروه، وجعلوه في كل مقام ومكان، مناسبًا كان أم غير مناسب، فيذكر ابن بابويه القمي عن أبي الحسن أنه سئل عن الممسوخ فقال:

فأما الفيل فإنه مسخ لأنه كان ملكًا زناء لوطيًا، ومسخ الدب لأنه كان رجلاً ديوثًا، ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها ولا تغتسل من حيض ولا جنابة، ومسخ الوطواط لأنه كان يسرق تمور الناس، ومسخ السهيل لأنه كان عشارًا باليمين، ومسخت الزهرة لأنها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، وأما القردة والخنازير فإنه قوم من بني إسرائيل اعتدوا في السبت، وأما الجري والضب ففرقة من بني إسرائيل، وأما العقرب فإنه كان رجلاً نمامًا، وأما الزنبور فكان لحامًا يسرق في الميزان» [«علل الشرائع» ص٤٨٥، ٤٨٦].

هذا ونختم البحث على شكاوى أئمة القوم من هؤلاء الناس الكذابين وما أكثرهم، ولم يكن واحد من أهل البيت إلا وقد التف حوله أمثال هؤلاء، ففتروا عليه بافتراءات لم يخطر بباله أبدًا، واختلقوا القصص والأساطير، ونسبوها إليهم وما أجرأهم على ذلك، وكتب القوم مليئة من تلك الشكاوى والتألم.

منها ما رواه الكشي عن ابن سنان أنه قال:

قال أبو عبد الله عليه السلام: إنا أهل البيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه عند الناس – ثم عد واحدًا بعد واحد من الكذابين – كان رسول الله أصدق البرية لهجة، وكان مسيلمة يكذب عليه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام أصدق من برأ الله من بعد رسول الله وكان الذي يكذب عليه من الكذب عبد الله بن سبأ لعنه

الله، وكان أبو عبد الله الحسين بن علي عليه السلام قد ابتلي بالمختار، ثم ذكر أبو عبد الله الحارث الشامي والبنان فقال: كانا يكذبان على علي بن الحسين عليه السلام ثم ذكر المغيرة بن سعيد وبزيعا والسري وأبا الخطاب ومعمرًا وبشار الأشعري وحمزة اليزيدي وصائب النهدي – أي أصحابه – فقال: لعنهم الله، إنا لا نخلو من كذاب يكذب علينا – كفانا الله مؤنة كل كذاب وأذاقهم الله حر الحديد».

[«رجال الكشي» ص٢٥٧، ٢٥٨ تحت ترجمة أبي الخطاب].

واشتكى بمثل هذه الشكوى حفيده أبو الحسن الرضا كما نقل عنه أنه قال:

كان بنان يكذب على علي بن الحسين عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على ابن جعفر عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان محمد بن بشر يكذب على ابن الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، وكان أبو الخطاب يكذب على ابن عبد الله عليه السلام فأذاقه الله حر الحديد، والذي يكذب على محمد بن الفرات» [«رجال الكشي» ص٢٥٦].

ولأجل ذلك قال جعفر بن الباقر: لو قام قائمنا بدأ بكذابي الشيعة فقتلهم.

[«رجال الكشي» ص٢٥٢].

هذا وما أحسن ما قاله جعفر – وهو صادق في قوله –: لقد أمسينا وما أحد أعدى لنا ممن ينتحل مودتنا» [«رجال الكشي» ص٢٥٩].

ذلك ما قاله الشيعة وهذا ما قاله أئمتهم، وقانا الله من الكذب والكذابين.

* * *

الشيعة وإهانتهم أهل البيت

إن الشيعة لم يكونوا يومًا من الأيام محبين لأهل البيت ومطيعين لهم، بل ثبت ذلك بنصوص الكتب الشيعية أنهم لم ينشئوا ولم يوجدوا من أول يوم إلا لإفساد العقائد الإسلامية الصحيحة ومخالفتها، ولإضرار المسلمين وسبهم وشتمهم، وإهانة أعيانهم وأسلافهم، وعلى رأسهم حامل الشريعة الحنيفية البيضاء، إمام هذه الأمة المجيدة، و أصحابه، وتلامذته، ونوابه الراشدين، وأهل بيته الطيبين.

وإننا لما خصصنا هذا الكتاب لذكر الشيعة وعلاقتهم مع أهل البيت بسبب تقولهم أنهم غريسة أولئك الناس وشجرتهم، وهم - أي أهل البيت - أسسوا قواعد مذهبهم، وأرسخوا أصول معتقداتهم، وأكثر من ذلك هم الذين كونوهم وأنشئوهم وربوهم، ولهم بهم علاقة ليس لأحد غيرهم مثلها.

فصلنا القول في مزاعمهم وادعاءاتهم، وعرّفنا مدى صلتهم بهم في الأبواب السابقة، وإطاعتهم ومتابعتهم إياهم، وحبهم لهم.

وأما في هذا الباب والأخير من كتابنا نريد أن نتقدم بالقارئ والباحث إلى الأمام بخطوة أخرى، ونبين أن القوم لم يكتفوا بمخالفة أهل البيت وعصيانهم وبالكذب والافتراء عليهم، بل ازدادوا، وبلغوا إلى حد الإساءة والإهانة، الإساءة العلنية، والإهانة الصريحة الجلية، لا الخفية الغير الظاهرة مثلما عاملوا الآخرين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم طبقًا بطبق وحذوا بحذو بدون فرق وتمييز، لأنهم لم يتقنعوا بقناع حب آل البيت إلا للسب والشتم في خلفاء رسول الله ورفاقه، ولما فرغوا منهم أكبوا ما في جعبتهم على من تقنعوا بقناع حبهم واسمهم لأن الغرض ليس بغض أولئك وحب هؤلاء، وبناء هذا وهدم ذاك، بل الهدف الوحيد التشويه والتشكيك على المسلمين، وإثارة البغضاء والأحقاد فيها بينهم، وهدم الكيان الإسلامي والأمة الإسلامية، وإلا فهل من الممكن أن يهان أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيت علي رضي الله عنه ؟ بل ونبي الله نفسه صلوات الله وسلامه عليه وعلي رضي الله عنه ؟

تطاول الشيعة على خاتم النبيين

نعم! نبي الله الصادق المصدوق الذي فضله الله على كافة خلقه، ومن فيهم من رسل الله وأوليائه، والذي امتدت رسالته على الكونين، وفرضت إمامته على الثقلين، ونيطت قيادته إلى يوم التناد وأطيلت زعامته إلى ما بعد هذا اليوم، حيث يكون لواء الحمد بيده، وتحته يكون آدم ومن دونه من النجباء والأخيار.

نعم! يهينون هذا النبي الأعظم الذي فضل على الأنبياء والرسل بصفات لم يعطوها، وخصائل لم ينالوها، قالوا فيه:

إن عليًا وازن بينه وبين نفسه فقال:

أنا قسيم الله بين الجنة والنار، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب العصا والميسم، ولقد أقرت لي جميع الملائكة والرسل بمثل ما أقروا به لمحمد صلى الله عليه وآله، ولقد حملت على مثل حمولة الرب، وإن رسول الله صلى الله عليه وآله يدعى فيكسى، وادعى فأكسى، ويستنطق واستنطق - إلى هذا نحن سواء وأما أنا - ولقد أوتيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي. علمت المنايا والبلايا والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني، ولم يعزب عني ما غاب عني» [«الأصول من الكافي» كتاب الحجة ص١٩٦، ١٩٧].

فالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام يساوي عليًا في خصائل، ولم يحصل له خصائل أخرى لأنه بشر، وليس للبشر مهما بلغ شأنه ومقامه أن يتحلى بها ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [سورة الكهف الآية ١١٠].

و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

[سورة لقمان الآية ٣٤].

و ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [سورة النمل الآية ٦٥].

وأما علي فهو ما فوق النبي لأنه ما فوق البشر، ولعله .....؟ معاذًا لله! وفعلاً قالوه حيث ذكروا أنه قال:

أنا وجه الله، وأنا جنب الله، وأنا الأول، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن، وأنا وارث الأرض، وأنا سبيل الله، وبه عزمت عليه» [رجال الكشي ص١٨٤].

وهذا ليس بمستبعد من القوم لأنهم تعودوا على ذلك، وتجرؤا على تصغير شأن نبي الله صلى الله عليه وسلم مقابل علي رضي الله عنه، ولقد ذكرنا عدة روايات فيما مضى [في الباب الثاني بعنوان «من الأفضل؟ علي، أم نبي»] تبرهن ذلك نستغني عن ذرها ههنا، ونورد ههنا ما لم نوردها سابقًا، فلقد أورد العياشي والحويزي في تفسيريهما رواية تدل على علو مكانة علي فوق النبي صلى الله عليه وسلم، فيكتبان تحت قول الله عز وجل: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ أن المراد من الصلوات:

«رسول الله أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين، والوسطى أمير المؤمنين» [«تفسير العياشي» ج١ ص١٢٨ ط طهران، أيضًا «نور الثقلين» ج١ ص٢٣٨ ط قم].

وهل هناك إساءة فوق هذا إلى سيد الخلائق ورسول الثقلين صلى الله عليه وسلم؟

نعم! هناك أشنع من هذه وأقبح، ما ذكره الحويزي نقلاً من الصدوق أن الرسول لم يرسل إلا لتبليغ ولاية علي إلى الناس، ولو لم يبلغ ما أمر بتبليغه من ولاية علي لحبط عمله - عياذًا بالله -.

وإليك النص: روى الصدوق في «الأمالي» أن رسول الله قال لعلي:

لو لم أبلغ ما أمرت به من ولايتك لحبط عملي» [تفسير «نور الثقلين» ج١ ص٦٥٤].

ولم لا يكون كذلك؟ والحال أنه لم يرفع ذكره - لا يؤاخذنا الله بنقل كفريات القوم - إلا بعلي، ولم يوضع عنه وزره إلا به، كما ذكر البحراني عن ابن شهر آشوب تحت قوله: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾﴾

«ثقل مقاتلة الكفار وأهل التأويل بعلي بن أبي طالب عليه السلام».

[«البرهان» في تفسير القرآن ج٤ ص٤٧٥].

وعن الطبرسي: «ورفعنا لك ذكرك بعلي صهرك، قرأها النبي صلى الله عليه وسلم، وأثبتها ابن مسعود وانتقصها عثمان» [«البرهان» في تفسير القرآن ج٤ ص٤٧٥].

ولأجل ذلك كان رسول الله يدعو الله ويسأله بحرمة علي، كما ينقل البحراني عن السيد رضي من كتابه «المناقب الفاخرة في العترة الطاهرة» عن ابن مسعود أنه قال:

خرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدته راكعًا وساجدًا وهو يقول: اللهم بحرمة عبدك علي اغفر للعاصين من أمتي - ولم يكتفوا بذلك، بل زادوا في غلوائهم حيث قالوا -: إن النبي خلق من نوره السماوات والأرض، وهو أفضل من السماوات والأرض، ولكن علي خلق من نوره العرش والكرسي، وعلي أجل من العرش والكرسي» [«البرهان» ج٤ ص٢٢٦].

فهذا هو نبي في نظرهم، وذاك هو علي أفضل وأعلى من الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وبالغوا فيه عمدًا وقصدًا لتقليل مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم، وجاوزوا كل الحدود حتى قالوا عن النبي صلى الله عليه وسلم: لما عرج به إلى السماء رأى عليًا وأولاده قد وصلوا إليها من قبل، فسلم عليهم وقد فارقهم في الأرض».

[«تفسير البرهان» ج٢ ص٤٠٤ نقلاً عن الطبرسي].

وروى أيضًا عن الصدوق في أماليه أن رسول الله قال:

لما عرج بي إلى السماء دنوت من ربي، حتى كان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: يا محمد! من تحبه من الخلق؟

قلت: يا رب! عليًا، قال: التفت يا محمد! فالتفت عن يساري، فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام» [«تفسير البرهان» ج٢ ص٤٠٤].

وليس هذا، بل وأكثر من ذلك، لما سئل النبي:

«بأي لغة خاطبك ربك ليلة المعراج؟ قال: خاطبني بلغة علي بن أبي طالب، حتى قلت: أنت خاطبتني أم علي؟» [«كشف الغمة» ج١ ص١٠٦].

فعلي في كل مقام قبل نبي، فهو قبله في السماء، وقبله عند الرب، وبلغته يخاطبه الله، وبصوته يتكلم، وهو أعلى منه خلقة، وبه رفع ذكره ووضع عنه وزره، وبحرمته أجيبت دعوته، وبقوته وقيت نفسه، وحفظت روحه، وقويت عضده، وقام دينه. وبهذا قال شيعي متحضر معاصر:

بنـــى الديـــــن فاســـتقام ولـــولا ضرب ماضـــيه مـــا اســـتقام البنـــاء

[«أصل الشيعة وأصولها» لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص٦٨، الطبعة التاسعة].

وقال الآخر: بالشيعة قام الإسلام، وبسيف إمامهم أسس الإسلام وثبتت دعائمه»

[«أعيان الشيعة» لمحسن الأمين ج١ الجزء الأول، القسم الأول ص١٢٣].

وقبلها القمي أهان رسول الله العظيم حيث اختلق هذه القصة الباطلة الموضوعة أن رسول الله:

«كان بمكة، ولم يجسر عليه أحد لموضع أبي طالب، وأغروا به الصبيان، وكان إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وآله يرمونه بالحجارة والتراب، فشكى ذلك إلى علي عليه السلام - فانظر إلى التعبير السيئ والإهانة الصريحة لذلك النبي الأشهم، بطل الأبطال، وفارس الفرسان وقائد الشجعان - فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله! إذا خرجت فأخرجني معك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله ومعه أمير المؤمنين عليه السلام، فتعرض الصبيان لرسول الله صلى الله عليه وآله كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يقضمهم في وجوههم وآنافهم وآذانهم».

[«تفسير القمي» ج١ ص١١٤].

ويقولون: إنه هو الذي وقى رسول الله يوم الغار» [«نور الثقلين» ج٢ ص٢١٩].

فعلي هو هو كل شيء ولم يرسل نبي الله محمد خاتم الأنبياء وسيد الرسل إلا ليدعوا الناس إليه ويحببه إلى الناس، وأما نفسه فليس بشيء مقابل علي - نستغفر الله ونتوب إليه من هذه الإهانات والهفوات - كما رووا عن ابن بابويه القمي وغيره عن جعفر أنه قال:

عرج بالنبي عليه السلام إلى السماء مائة وعشرين مرة، ما من مرة إلا وقد أوحى الله فيها إلى النبي صلى الله عليه وسلم بالولاية لعلي أكثر ما أوصاه في سائر الفروض».

[«مقدمة تفسير البرهان» ص٢٢].

وأيضًا: «إن جبرائيل أتى النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا محمد! ربك يقرئك

السلام ويقول: فرضت الصلاة ووضعتها عن المريض، وفرضت الصوم ووضعته عن المريض والمسافر، وفرضت الحج ووضعته عن المقل المدقع وفرضت الزكاة ووضعتها عمن لا يملك النصاب، وجعلت حب علي بن أبي طالب عليه السلام ليس فيه رخصة» [مقدمة البرهان، نقلاً عن البرقي في محاسنه ص٢٢].

وكذبوا على الله عز وجل أنه قال:

علي بن أبي طالب حجتي على خلقي، ونوري في بلادي، وأميني على علمي لا أدخل النار من عرفه وإن عصاني، ولا أدخل الجنة من أنكره ولو أطاعني».

[«البرهان» مقدمة ص٢٣].

* * *

التطاول على الأنبياء

وإن القوم لم يتقولوا بمثل هذه الأقاويل، ولم يتفوهوا بمثل هذه الترهات ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسب، بل قالوا بمثل هذه المقالات و أكثر بخصوص رسل الله السابقين وأنبيائه والمرسلين، فلقد تجرؤا على موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام حيث قالوا: إن جعفر كان أعلم منهما.

فلقد أورد الكليني عن سيف التمار أنه قال:

كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحجر، فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمنة ويسرة، فلم نر أحدًا، فقلنا: ليس علينا عين، فقال: ورب الكعبة! ورب البنية! ثلاث مرات – لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما أني أعلم منهما، ولأنبئتهما بما ليس في أيديهما» [«الأصول من الكافي» كتاب الحجة ج١ ص٢٦١].

وأهانوا أولي العزم من الرسل، واختلقوا قصة غريبة، فقالوا: إن عليًا لما ولد، ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، ولكنه رآه ماثلاً بين يديه، واضعًا يده اليمنى في أذنه اليمنى وهو يؤذن ويقيم بالحنفية، ويشهد بواحدانية الله وبرسالته وهو مولود ذلك اليوم، ثم قال لرسول الله: اقرأ؟ فقال له: اقرأ – وبعد النص حرفيًا –:

لقد ابتدأ بالصحف التي أنزلها الله عز وجل على آدم، فقام بها شيث فتلاها من أول حرف فيها إلى آخر حرف فيها، حتى لو حضر بها شيث لأقر له إنه أحفظ له منه، ثم قرأ توراة موسى، حتى لو حضره موسى لأقر بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ زبور داؤد، حتى لو حضره داؤد لأقر بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ إنجيل عيسى، حتى لو حضره عيسى لأقر بأنه أحفظ لها منه، ثم قرأ القرآن، فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة من غير أن أسمع منه آية» [«روضة الواعظين» ص٨٤].

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبًا.

هذا ولقد قالوا إنه ينادي مناد يوم القيامة:

«أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم داؤد عليه الصلاة السلام، فيأتي النداء من عند الله

عز وجل: لسنا إياك أردنا، وإن كنت لله خليفة، ثم ينادي (مناد) أين خليفة الله في أرضه؟ فيقوم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة السلام، فيأتي النداء من قبل الله عز وجل: يا معشر الخلائق! هذا علي بن أبي طالب خليفة الله في أرضه، وحجته على عباده» [«كشف الغمة» ج١ ص١٤١].

وأهانوا رسل الله وأنبيائه حيث قالوا: إن نبي الله أيوب لم تتغير نعمة الله عليه إلا لإنكاره ولاية علي، كذلك صفي الله يونس عليه السلام لم يحبس في بطن الحوت إلا لإنكاره أيضًا، وكذلك يوسف وقبله آدم عليهما السلام.

فأورد الحويزي رواية في تفسيره أنه قال: دخل عبد الله بن عمر على زين العابدين، فقال:

يا ابن الحسين! أنت الذي تقول: إن يونس بن متى إنما لقي من الحوت ما لقي، لأنه عرضت عليه ولاية جدي، فتوقف عندها؟ قال: بلى! ثكلتك أمك، قال: فأرني آية ذلك إن كنت من الصادقين؟ فأمر بشد عينيه بعصابة وعيني بعصابة، ثم أمر بعد ساعة بفتح أعيننا، فإذا نحن على شاطئ البحر تضرب أمواجه، فقال ابن عمر:

يا سيدي! دمي في رقبتك، الله الله في نفسي، فقال: هنيئة واريه إن كنت من الصادقين؟ ثم قال: يا أيتها الحوت! قال: فأطلع الحوت رأسه من البحر مثل الجبل العظيم وهو يقول» لبيك لبيك يا ولي الله! فقال: من أنت؟ قال: حوت يونس يا سيدي! قال: ايتنا بالخبر، قال: يا سيدي! إن الله تعالى لم يبعث نبيًا من آدم إلى أن صار جدك محمد إلا وقد عرض عليه ولايتكم أهل البيت، فمن قبلها من الأنبياء سلم وتخلص، ومن توقف عنها وتتعتع في حملها لقي ما لقي آدم من المصيبة، وما لقي نوح من الغرق، وما لقي إبراهيم من النار، وما لقي يوسف من الجب، وما لقي أيوب من البلاء. وما لقي داوُد من الخطيئة، إلى أن بعث الله يونس فأوحى الله إليه أن يا يونس! تول أمير المؤمنين» [«تفسير نور الثقلين» ج٣ ص٤٣٥].

ومثلها أورد البحراني في مقدمة تفسيره «البرهان» عن سلمان أنه قال لعلي رضي الله عنه:

بأبي أنت وأمي يا قتيل كوفان! أنت حجة الله الذي به تاب على آدم، وبك أنجى

يوسف من الجب، وأنت قصة أيوب وسبب تغيير نعمة الله عليه».

[«البرهان» مقدمة ص٢٧].

ونقل عن «معاني الأخبار» أن أبا عبد الله سئل عن قول علي ﷺ : إن أمرنا صعب مستعصب، لا يقر به إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فقال:

إن في الملائكة مقربين وغير مقربين، ومن الأنبياء مرسلين وغير مرسلين، ومن المؤمنين ممتحنين وغير ممتحنين، فعرض أمركم على الملائكة فلم يقر به إلا المقربون، وعرض على الأنبياء فلم يقر به إلا المرسلون، وعرض على المؤمنين فلم يقر به إلا الممتحنون» [«مقدمة البرهان» ص٢٦].

وكتبوا عن أبي الأنبياء آدم صلوات الله وسلامه عليه: «أن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه، فتاب عليه، هي سؤاله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين».

[«كتاب الخصال» لابن بابويه القمي ج١ ص٢٧٠ تحت عنوان «الكلمات التي تلقاها آدم من ربه»].

فهذه هي عقيدة القوم التي يكنونها في صدورهم، ويخفونها في كتبهم، وهذه هي الإهانات التي يوجهونها إلى نجباء الله وأصفيائه، رسل الله وأنبيائه مع من فيهم سيد الرسل والأنبياء وإمام المرسلين بدعوى حب أهل البيت وموالاتهم.

* * *

إهانة أهل البيت

والحال أن أهلي البيت سواء كانوا آل بيت النبي أو آل بيت علي لم يسلموا من سلاطة لسانهم، وبذاءة أقلامهم، وخبث باطنهم، ودناءة ضميرهم، فإنهم أهانوه أيضًا كما أهانوا أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، فلقد قالوا في عباس ﷺ وهو عم رسول الله وصنو أبيه.

إن الآية: ﴿لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾: نزلت فيه» [«رجال الكشي» ص٥٤].

وأيضًا إن قول الله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾: **وقول الله عز وجل:** ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ﴾: نزلتا فيه» [«رجال الكشي» ص٥٢، ٥٣].

وأما أبناء عم رسول الله، وسيدا بني هاشم، وعامل علي وصفيه عبد الله بن عباس، وأخوه عبيد الله بن عباس فقالوا فيهما:

إن أمير المؤمنين قال: اللهم العن ابني فلان – يعني عبد الله وعبيد الله كما في الهامش – وأعم أبصارهما كما أعميت قلوبهما الأجلين في رقبتي، واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما» [«رجال الكشي» ص٥٢ تحت عنوان دعاء علي على عبد الله وعبيد الله ابني عباس].

وأما عقيل بن أبي طالب وشقيق علي فقد قالوا فيه نقلاً عن علي بن أبي طالب أنه قال – وهو يذكر قلة أعوانه وأنصاره –:

ولم يبق معي من أهل بيتي أحد أطول به وأقوى، أما حمزة فقتل يوم أحد، وجعفر قتل يوم مؤتة، وبقيت بين خلفين خائفين ذليلين حقيرين، العباس وعقيل» [«الأنوار النعمانية» للجزائري، «مجالس المؤمنين» ص٧٨ ط إيران القديم].

ومثله ذكر الكليني عن محمد الباقر أنه قال:

وبقي معه رجلان ضعيفان، ذليلان، حديثا عهد بالإسلام، عباس وعقيل».

[«الفروع من الكافي» كتاب الروضة].

والمعروف أن العباس والعقيل وآلهما من أهل بيت النبوة كما أقر به الأربلي أن

رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل:

من أهل بيتك؟ قال: آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل عباس».

[«كشف الغمة» ج١ ص٤٣].

***

وابن النبي

هذا ولقد رووا رواية باطلة أخرى فيها تصغير لشأن ابن النبي، وتحقيره إياه مقابل حفيده من فاطمة رضي الله عنهم أجمعين وخلاصة ما قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسًا وعلى فخذه الأيسر إبراهيم ولده، وعن يمينه حسين حفيده، وكان يقبل هذا تارة وذاك تارة أخرى، فنظر جبريل وقال: إن ربك أرسلني وسلم عليك، وقال: لا يجتمع هذان في وقت واحد، فاختر أحدهما على الآخر، وافد الثاني عليه، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إبراهيم وبكى، ونظر إلى سيد الشهداء - انظر إلى التعبير الرقيق، والموازنة بين ابن علي وابن نبي - وبكى، ثم قال: إن إبراهيم أمه مارية، فإن مات لا يحزن أحد عليه غيري، وأما الحسن فأمه فاطمة وأبوه علي فإنه ابن عمي وبمنزلة روحي، وإنه لحمي ودمي، فإن مات ابنه يحزن وتحزن فاطمة، فخاطب جبريل وقال: يا جبريل! أفديت إبراهيم الحسين، ورضيت بموته كي يبقى الحسين ويحيى».

[«حياة القلوب» للمجلسي ص٥٩٣ أيضًا «المناقب» لابن شهر آشوب].

وبنات النبي

وأهانوا بنات النبي صلى الله عليه وسلم الثلاثة حيث نفوا عنهن أبويته، وقالوا: إن النبي لم ينجبهن، بل كن ربيبات، فيذكر حسن الأمين الشيعي:

«ذكر المؤرخون أن للنبي أربع بنات، ولدى التحقيق في النصوص التاريخية لم نجد دليلاً على ثبوت بنوة غير الزهراء عليها السلام منهن، بل الظاهر أن البنات الأخريات كن بنات خديجة من زوجها الأول قبل محمد (ص)».

[«دائرة المعارف الإسلامية الشيعية» ج١ ص٢٧ ط دار المعارف للمطبوعات بيروت].

وعلي أيضًا

هذا وعلي - الإمام المزعوم عند القوم، والمعصوم الأول عندهم - شأنه شأن الآخرين، فلقد أهانوه، وصغروه، واحتقروه، ونسبوه إلى الجبن والذل، واتهموه

بالتذلل والمسكنة وقالوا: إن أبا بكر رضي الله عنه لما بويع بالخلافة، وأنكر علي خلافته، وامتنع عن بيعته فقال أبو بكر لقنفذ:

ارجع، فإن خرج و إلا فاقتحمو عليه بيته، وإن امتنع فأضرم عليهم بيتهم النار، فانطلق قنفذ الملعون، فاقتحم هو وأصحابه بغير إذن، وثار علي عليه السلام إلى سيفه، فسبقوه إليه وكاثروه، فتناول بعض سيوفهم فألقوا في عنقه حبلاً، وحالت بينه وبينهم فاطمة عليها السلام عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط، فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته لعنه الله، ثم انطلق بعلي عليه السلام يعتل عتلاً – أي: يجر جرًّا عنيفًا – حتى انتهى به إلى أبي بكر – إلى أن قال – فنادى علي عليه السلام قبل أن يبايع والحبل في عنقه: يا ابن أم! إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني». [«كتاب سليم بن قيس» ص٨٤ و٨٩].

فهذا هو علي بن أبي طالب في نظر الشيعة، وهكذا يصورونه جبانًا، خائفًا، مذعورًا، ملببًا، وهو الذي اختلقوا فيه القصص، واخترعوا فيه الأساطير، فيه، وفي قوته وشجاعته وطاقته وجرأته وبسالته، وقد مر بيان بعضها سابقًا.

وليس هذا فحسب، بل اتهموه بالجبن والهوان إلى حد قالوا فيه على لسان زوجته ابنة النبي صلى الله عليه وسلم، فاطمة رضي الله عنها أنها لامته، وغضبت عليه، وطعنته، وشنعت عليه بعد ما طالبت فدك وتشاجرت مع الصديق والفاروق رضي الله عنهم أجمعين، ولم يساعدها علي في تلك القضية حسب زعمهم قالت له:

يا ابن أبي طالب! اشتملت مشيمة الجنين، وقعدت حجرة الظنين – إلى آخر ما قالته –» [«الأمالي» للطوسي ص٢٥٩، «حق اليقين» للمجلسي ص٢٠٣، ٢٠٤، «الاحتجاج» للطبرسي].

«وإن فاطمة عليها السلام لامته على قعوده وهو ساكت».

[«أعيان الشيعة» ص٢٦، القسم الأول].

وأكثر من ذلك أنهم قالوا إن عمر بن الخطاب غصب ابنته ولم يستطع أن يمنعه من ذلك، فلقد قال الكليني أن أبا عبد الله قال في تزويج أم كلثوم بنت علي:

«إن ذلك فرج غصبناه» [«الكافي في الفروع» ج٢ ص١٤١ ط الهند].

وأيضًا: «إن عليًا لم يكن يريد أن يزوج ابنته أم كلثوم من عمر، ولكنه خاف منه، فوكل عمه عباس ليزوجها منه» [«حديقة الشيعة» لمقدس الأردبيلي ص٢٧٧].

وهذا، والذي رفض قبول الخلافة والإمارة حينما قدمت إليه بقوله: دعوني والتمسوا غيري: يهينونه بالكذب عليه، ويحطون عن مكانته ومقامه، ويصورونه كالعامي الحريص الذي يجري خلف المناصب ويسعى لأجلها مستعملاً في سبيلها كل الوسائل، والوسائل التي تأبى نفوس أبيه شريفة اختيارها وإتيانها، نعم! يجعلونه كصاحب الهوس والهوى والأغراض ليستخدم للحصول عليها حسبه ونسبه وحتى زوجته وأولاده، فانظر إليهم وإهانتهم لسيد أهل البيت ماذا يقولون فيه في كتابهم المهم، المعتمد الموثوق لما بويع أبو بكر، ووصل الخبر إلى مسامع علي، قال: إن هذا الاسم لا يصلح إلا لي، وسكت عنه يومه ذلك:

«فلما كان الليل حمل على فاطمة عليها السلام وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين عليهما السلام، فلم يدع أحدًا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أتاه في منزله، فناشدهم الله حقه، ودعاهم إلى نصرته، فما استجاب منهم رجل».

[«كتاب سليم بن قيس» ص٨٢، ٨٣].

وهل هناك إهانة أكبر من هذه أن يقال عن مثل علي رضي الله عنه أنه حمل زوجته ابنة النبي على حمار، وأخذ سبطيه، وذهب إلى أبواب الناس يستعطفهم ويستنصرهم ويستجديهم؟

سبحان الله: ما أشنع الكذب وما أقبحه!

ثم زادوا على ذلك:

«إن عليًا عليه السلام لما رأى خذلان الناس إياه، وتركهم نصرته واجتماع كلمتهم مع أبي بكر وتعظيمهم إياه لزم بيته» [«كتاب سليم بن قيس» ص٨٣].

فليلاحظ الكلمات والحروف، ولتكرر النظرة على هذه العبارة القصيرة تنبئ وتخبر الوجوه الأصلية والآراء الحقيقية تجاه علي رضي الله عنه كيف يحقر ويصغر، ويصور مطرودًا مستردًا من قبل الناس أجمعين.

ولقد ذكر محدث القوم ابن بابويه القمي مثل هذه الروايات في كتابه حيث ذكر قصة طويلة أن أنصار علي وأعوانه القليلين كيف ردوا على أبي بكر، وامتنعوا عن قبول خلافته وإمارته، وتكلموا ضده جهرًا وعلنًا على رؤوس الأشهاد، فلما سمع أصحاب أبي بكر بذلك حضروا إليه:

«شاهرين السيوف، وقال قائل منهم: والله! لئن عاد منكم أحد، فتكلم بمثل الذي تكلم به لنملأن أسيافنا منه، فجلسوا - أي أصحاب علي - في منازلهم، ولم يتكلم أحد بعد ذلك» [«كتاب الخصال» للقمي ج٢ ص٤٦٥].

هذه من ناحية، ومن ناحية أخرى أهانوا المرتضى علي بن أبي طالب رضي الله عنه حيث وصفوه بكل قبح في صورته ومزاجه، وأنه كان مفلسًا فقيرًا لا مال له:

«من بيت مفلس أخذ جميع أبنائه الآخرون ليكفوا صاحبه مؤنتهم، ويخففوا عنه ثقلهم» [«مقاتل الطالبين» لأبي الفرج ص٢٦].

ولأجل ذلك رفضت فاطمة الزواج منه لما قدمه إليها أبوها، وهذا هو النص:

«فلما أراد - رسول الله صلى الله عليه وسلم - أن يزوجها عن علي أسر إليها، فقالت: يا رسول الله! أنت أولى بما ترى غير أن نساء قريش تحدثني عنه أنه رجل دحداح البطن، طويل الذراعين ضخم الكراديس، أنزع، عظيم العينين، لمنكبيه مشاشًا كمشاش البعير، ضاحك السن، لا مال له» [«تفسير القمي» ج٢ ص٣٣٦].

ولقد ذكر الأصفهاني عن ابن أبي إسحاق أنه قال:

أدخلني أبي المسجد يوم الجمعة، فرفعني، فرأيت عليًا يخطب على المنبر شيخًا أصلع، ناتئ الجبهة، عريض ما بين المنكبين، له لحية ملأت صدره، في عينه اطرغشاش» (يعني لين في العين) [«مقاتل الطالبين» ص٢٧].

وقال في وصف جامع: كان عليه السلام أسمر مربوعًا، وهو إلى القصر أقرب، عظيم البطن، دقيق الأصابع، غليظ الذراعين، حمش الساقين، في عينيه لين، عظيم اللحية، أصلع، ناتئ الجبهة» [«مقاتل الطالبين» ص٢٧].

وهناك رواية في الكافي أوردها الكليني تبين أن فاطمة رضي الله عنها لم ترض بعلي حتى

بعد الزواج، ولم تقبله عن طيب قلبها، والرواية هذه:

«لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله عليًا فاطمة عليهما السلام دخل عليها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فوالله! لو كان في أهلي خير منه ما زوجتكه، وما أنا زوجته، ولكن الله زوجك» [«الفروع من الكافي»].

وذكر الأربلي عن بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قم يا بريدة نعود فاطمة، فلما أن دخلنا عليها أبصرت أباها دمعت عيناها، قال: ما يبكيك يا بنتي؟ قالت: قلة الطعم، وكثرة الهم، وشدة الغم - وفي رواية أخرى قالت: والله! لقد اشتد حزني، واشتدت فاقتي، وطال سقمي» [«كشف الغمة» ج١ ص١٤٩، ١٥٠].

فهذا هو القوم، وهذا هو دأبهم، وماذا يرجى ويتوقع من الذين يتطاولون على صحبة رسول الله، الصديق والفاروق وذي النورين وغيرهم من الأخيار الأطهار، والذين يجترؤن على رسل الله وأنبيائه وسيد المرسلين، أيحترمون عليًا وأهل بيته؟ كلا! لا يمكن أن يكون كذلك.

وأهانوا عليًا، وسيده رسول الله، وزوجته رضي الله عنها جميعًا في رواية باطلة خرافية، قبيحة وسخيفة، حيث ذكروا:

«كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحاف ليس له لحاف غيره، ومعه عائشة، فكان رسول الله (ص) ينام بين عليّ وعائشة، ليس عليهم لحاف غيره، فإذا قام رسول الله (ص) من الليل حطّ بيده اللحاف من وسطه بينه وبين عائشة» [«كتاب سليم بن قيس» ص٢٢١].

هل هناك إهانة أكبر من هذه الإهانة؟

نعم! هناك أكبر وأكثر، منها ما رواها القوم أن عليًا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر وعمر، فيقول:

فجلست بينه وبين عائشة، فقالت له عائشة: ما وجدت إلا فخذي وفخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مه يا عائشة!» [«البرهان في تفسير القرآن» ج٤ ص٢٢٥].

ومرة أخرى جاء «فلم يجد مكانًا، فأشار رسول الله (ص) إليه: ههنا (يعني خلفه)

وعائشة قائمة خلفه وعليها كساء، فجاء علي عليه السلام فقعد بين رسول الله وبين عائشة، فغضبت وقالت: ما وجدت لاستك موضعًا غير حجري، فغضب رسول الله وقال: يا حميراء! لا تؤذيني في أخي» [«كتاب سليم بن قيس العامري» ص١٧٩].

هذا وكانوا يهينونه ويخذلونه بعد ما تولى الحكم وصار خليفة للمسلمين وأميرًا للمؤمنين فلم يكن يذهب بهم إلى معركة ولا إلى حرب إلا وكانوا يتسللون منها ملتمسين الأعذار، وبدون العذر أيضًا خفية تارة وجهرًا تارة أخرى، وكتب التاريخ مليئة بخذلانهم إياه، وتركهم وحده في جميع المعارك التي خاضها، والحروب التى أججت نيرانها وابتلي بها وعلى ذلك كان يقول:

قاتلكم الله: لقد ملأتم قلبي قيحًا، وشحنتم صدرى غيظًا، وجرعتموني نغب التهمام أنفاسًا، وأفسدتم علي رأيي بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبي طالب رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب – إلى أن قال – ولكن لا رأي لمن لا يطاع» [«نهج البلاغة» ص٨٠، ٨١].

وقال: ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلاً ونهارًا، وسرًا وإعلانًا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط في عقر دارهم إلا ذلوا. فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت الغارات، وملكت عليكم الأوطان. وهذا أخو غامد وقد وردت خيله الأنبار، وقد قتل حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها، وقلائدها ورعثها، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام. ثم انصرفوا وافرين. ما نال رجلاً منهم كلهم، ولا أريق لهم دم، فلو أن امرأ مسلمًا مات من بعد هذا أسفًا ما كان به ملومًا، بل كان به عندي جديرًا، فيا عجبًا! عجبًا – والله – يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم عن باطلهم، وتفرقكم عن حقكم! فقبحًا لكم وترحًا، حين صرتم غرضًا يرمى: يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون! فإذا أمرتكم بالسير إليهم في أيام الحر قلتم: هذه حمارة القيظ، أمهلنا ينسلخ عنا الحر، وإذا أمرتكم بالسير إليهم في الشتاء قلتم: هذه صبارة القر،

أمهلنا ينسلخ عنا البرد، كل هذا فرارًا من الحر والقر، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر» [«نهج البلاغة» ص٨٠، ٨١].

فاطمة بنت النبي

وأهانوا ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أم الحسن والحسين، زوجة علي، فاطمة الزهراء رضي الله عنهم أجمعين، ونسبوا إليها أشياء لم يتصور صدورها من أية امرأة مؤمنة مسلمة، دون أن تصدر من بضعة الرسول وسيدة نساء أهل الجنة، ومنها أنهم قالوا إنها كانت دائمة الغضب على ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه، وكانت تعترض عليه وتشكوه إلى أبيه في أشياء كثيرة، صغيرة وتافهة، كما مر بيانها سابقًا، وحتى على أمور الخير كما يروي محدثهم ابن الفتال النيسابوري [هو محمد بن الحسن الفتال الفارسي النيسابوري «متكلم جليل القدر، فقيه، عالم، زاهد، ورع، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيسابور» [رجال الحلي ص٢٥٩ ط إيران].

«وكان من شيوخ الشيعة في المائة الخامسة»، وله كتاب» روضة الواعظين».

[تأسيس الشيعة ص٣٩٥].

و«إنه شيخ جليل من شيوخ الشيعة وأعلام الطائفة، وكان مدرسًا، متكلمًا، فقيهًا، عالمًا، مقرئًا، مفسرًا، متدينًا، زاهدًا من العلماء الأمناء المعتمدين» (نقلاً عن مقدمة الكتاب ص١١ لمحمد مهدي الخراساني ط قم إيران)] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غرس لعليّ حديقة، فباعها علي، وقسم كل ما أخذ منها على فقراء المدينة ومساكينها حتى لم يبقى درهم واحد.

فلما أتى المنزل قالت له فاطمة عليها السلام: يا ابن عم! بعت الحائط الذى غرسه والدي؟

قال: نعم! بخير منه عاجلاً أو آجلاً، قالت: فأين الثمن؟

قال: دفعته إلى أعين استحييت أن أذلها بذل المسألة، قالت فاطمة: أنا جائعة، وابناي جائعان، ولا شك أنك مثلنا في الجوع، لم يكن منه لنا درهم، وأخذت بطرف

ثوب علي عليه السلام فقال علي: يا فاطمة! خلني، فقالت: لا والله! أو يحكم بيني وبينك أبي، فهبط جبريل على رسول الله (ص) فقال: يا محمد! الله يقرؤك السلام ويقول: اقرأ عليًا مني السلام، وقل لفاطمة: ليس لك أن تضربي على عليّ يديه».

[«روضة الواعظين» ج١ ص١٢٥].

وكذلك ما نسبوا إليها أنها تقدمت إلى أبي بكر وعمر بقضية فدك، «وتشاجرت معهم، وتكلمت في وسط الناس، وصاحت، وجمع لها الناس».

[«كتاب سليم بن قيس» ص٢٥٣].

ومرة «أخذت بتلابيب عمر، فجذبته إليها» [«الكافي في الأصول].

وأيضًا هددت أبا بكر «لئن لم تكف عن عليّ لأنشرن شعري ولأشقن جيبي».

[«تفسير العياشي» ج٢ ص٦٧، ومثله في «الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٣٨].

وأنها دخلت مع الخلفاء في المعارك حتى وأحرق بيتها وضربت ووجع به جنبها، وكسر ضلعها، وألقت جنينها من بطنها - عياذًا بالله من هذه الخرافات - وماتت في مثل هذه الظروف ونتيجة هذه الصدمات» [«كتاب سليم بن قيس» ص٨٤، ٨٥].

هذا ومثل هذا كثير.

الحسن بن علي

وأما الحسن رضي الله عنه فلم يهن أحد مثل ما أهين هو من قبل الشيعة، فإنهم بعد وفاة أبيه علي رضي الله عنه جعلوه خليفته وإمامًا لهم، ولكنهم لم يلبثوا إلا يسيرًا حتى خذلوه مثل ما خذلوا أباه، وخانوه أكثر مما خانوا عليًا رضي الله عنه.

يقول المؤرخ الشيعي اليعقوبي:

وأقام الحسن بعد أبيه شهرين، وقيل: أربعة أشهر، ووجه بعبيد الله بن عباس في اثنى عشر ألفًا لقتال معاوية ... فأرسل معاوية إلى عبيد الله بن عباس فجعل له ألف ألف درهم، فسار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه ... ووجه معاوية إلى الحسن، المغيرة بن شعبة وعبد الله بن شعبة وعبد الله بن عامر وعبد الرحمن بن أم الحكم، وأتوه وهو

بالمدائن نازل في مضاربه، ثم خرجوا من عنده وهم يقولون ويسمعون الناس: إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب العسكر ولم يشك الناس في صدقهم، فوثبوا بالحسن، فانتهبوا مضاربه وما فيها، فركب الحسين فرسًا له ومضى في مظلم ساباط، وقد كمن الجراح بن سنان الأسدي، فجرحه بمعول في فخذه، وقبض على لحية الجراح ثم لواها فدق عنقه.

وحمل الحسن إلى المدائن وقد نزف نزفًا شديدًا، واشتدت به العلة، فافترق عنه الناس، وقدم معاوية العراق، فغلب على الأمر، والحسن عليل شديد العلة، فلما رأى الحسن أن لا قوة به، وأن أصحابه قد افترقوا عنه فلم يقوموا له، صالح.

صلح الحسن مع معاوية

ولقد يخجل القوم حينما يسمعون هذه الكلمة أعني صلح الحسن مع معاوية رضي الله عنهما ومبايعته إياه، ويتقولون بأشياء، ويتأولون بتأويلات يمجها العقل ويزدريها الفكر، وحصيلة ما يقولون إنه صالحه ولكنه لم يبايعه، ولم يسلم إمرته وخلافته. فنحن احترازًا من الإطالة نورد ههنا رواية واحدة من كتب القوم، ونظن أنها تكون كافية لمن أراد التبصر، ولقد أورد هذه الرواية كبيرهم في الرجال عن أبي عبد الله جعفر أنه قال:

إن معاوية كتب إلى الحسن بن علي صلوات الله عليهما أن اقدم أنت والحسين وأصحاب علي، فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري وقدموا الشام، فأذن لهم معاوية وأعد لهم الخطباء فقال: يا حسن! قم فبايع، فقام فبايع، ثم قال للحسين! قم فبايع، ثم قال: يا قيس! قم فبايع فالتفت إلى الحسين عليه السلام (بدل الحسن لما كان يعرف من شدته وإنكاره على أخيه في مسألة الصلح) ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس! إنه إمامي يعني الحسين عليه السلام - وفي رواية: فقام إليه الحسن، فقال له بايع يا قيس! فبايع -» («رجال الكشي» ص١٠٢)] معاوية [«تاريخ اليعقوبي» ج٢ ص٢١٥]».

وقد قال المسعودي الشيعي في كتابه أن الحسن رضي الله عنه لما خطب بعد اتفاقه مع معاوية رضي الله عنه قال:

يا أهل الكوفة! لو لم تذهل نفسي عنكم إلا لثلاث خصال لذهلت: مقتلكم لأبي، وسلبكم ثقلي، وطعنكم في بطني، وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا وأطيعوا.

وقد كان أهل الكوفة انتهبوا سرادق الحسن ورحله وطعنوا بالخنجر في جوفه، فلما تيقن ما نزل به انقاد إلى الصلح» [«مروج الذهب» ج٢ ص٤٣١].

وأهانوه إلى أن:

شدوا على فسطاطه وانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله الجعال الأزدي، فنزع مطرفة عن عاتقه، فبقى جالسًا متقلدًا السيف بغير رداء» [«الإرشاد» للمفيد ص١٩٠].

«وطعنه رجل من بني أسد الجراح بن سنان في فخذه، فشقه حتى بلغ العظم .... وحمل الحسن على سرير إلى المدائن ... اشتغل بمعالجة جرحه، وكتب جماعة من رؤساء القبائل إلى معاوية بالطاعة سرًا، واستحثوه على سرعة المسير نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنوهم من عسكره أو الفتك به، وبلغ الحسين عليه السلام ذلك ... فازدادت بصيرة الحسن عليه السلام بخذلانهم له، وفساد نيات المحكمة فيه وما أظهروه له من سبه وتكفيره، واستحلال دمه، ونهب أمواله» [«كشف الغمة» ص٥٤٠، ٥٤١، واللفظ له، «الإرشاد» ص١٩٠، «الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة» ص١٦٢ ط طهران].

هذا وكانوا يهينونه بلسانهم كما كانوا يؤذونه بأيديهم، ولقد ذكر الكشي عن أبي جعفر أنه قال: جاء رجل من أصحاب الحسن عليه السلام يقال له سفيان بن أبي ليلى وهو على راحلة له، فدخل على الحسن عليه السلام وهو محتبئ في فناء داره، فقال له: السلام عليك يا مذل المؤمنين! قال وما علمك بذلك؟

قال: عمدت إلى أمر الأمة فخلعته من عنقك وقلدته هذه الطاغية يحكم بغير ما أنزل الله» [«رجال الكشي» ص١٠٣].

ثم بين الحسن وأوضح ما فعلت به شيعته وشيعة أبيه وما قدمت إليه من الإساءات والإهانات، وأظهر القول وجهر به فقال:

أرى والله معاوية خير إلي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي، وأخذوا

مالي. والله! لأن آخذ من معاوية عهدًا أحقن به دمي وآمن به في أهلي خير من أن يقتلوني فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله: لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوا بي إليه سلمًا. والله لئن أسالمه وأنا عزيز خير من أن يقتلني وأنا أسير، ويمن عليّ فيكون سنة على بني هاشم آخر الدهر ولمعاوية لا يزال يمن بها وعقبه على الحى منا والميت».

[«الاحتجاج» للطبرسي ص١٤٨].

وأهانوه حيث قطعوا الإمامة من عقبه وأولاده، بل افتوا بكفر كل من يدعي الإمامة من ولده بعده.

الحسين بن علي

وأما الحسين فلم يكن أسعد من أخيه وأمه وأبيه حظًا مع إظهار مغالاة القوم ومبالغتهم في حبه وولائه، فأهانوه رضي الله عنه وأرضاه قولاً وفعلاً، فقالوا:

إن أمه فاطمة رضي الله عنها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت حمله، وردت بشارة ولادته عدة مرات كما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يقبل بشارة ولادته، ووضعته فاطمة كرها، ولكراهة أمه لم يرضع الحسين من فاطمة رضي الله عنها. وهذه الروايات من أهم كتب الحديث عند القوم وأصحها مثل البخاري عند السنة، فيروي الكليني عن جعفر أنه قال:

جاء جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: إن فاطمة عليها السلام ستلد غلامًا تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة بالحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه، ثم قال أبو عبد الله عليه السلام:

لم تر في الدنيا أم تلد غلامًا تكره، ولكنها كرهته لما علمت أنه سيقتل، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾» [«الأصول من الكافي» كتاب الحجة ج١ ص٤٦٤، باب مولد الحسين].

وإهانتة! وأية إهانة؟ وإساءة! وأية إساءة؟ وكذب! وما أكبره؟

«ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام، ولا من أنثى كان يؤتى بها النبي،

فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاث» [«الأصول من الكافي» ص٤٦٥].

هذا وعاملوه معاملتهم أخيه وأبيه من قبل، فلقد ذكر جميع مؤرخي الشيعة أن أهل الكوفة، التي كانت مركزًا للشيعة، والتي قالوا فيها ما قالوا، وإن جعفرًا ذكرها بقوله:

إن ولايتنا عرضت على السموات والأرض والجبال والأمصار، ما قبلها قبول أهل الكوفة» [«بصائر الدرجات للصفار» الجزء الثاني الباب العاشر].

والتي قالوا فيها:

إن الله قد اختار من البلدان أربعة فقال: والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين، فالتين المدينة والزيتون بيت المقدس وطور سيناء الكوفة وهذا البلد الأمين مكة» [«مقدمة البرهان» ص٢٢٣].

كتبوا من هذه الكوفة كتبًا إلى الحسين نحوًا من مائة وخمسين كتابًا، كتبوا فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم! للحسين بن عليّ أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه عليّ أمير المؤمنين. سلام الله عليك، أما بعد! فإن الناس منتظروك، ولا رأي لهم غيرك فالعجل! العجل! يا ابن رسول الله! والسلام عليكم ورحمة الله» [«كشف الغمة» ج٢ ص٣٢، واللفظ له، «الإرشاد» ص٢٠٣، «الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة» ص١٨٢].

وكتابًا آخر: أما بعد! فقد اخضرت الجنات، وأينعت الثمار، فإذا شئت فأقبل على جند لك مجندة، والسلام».

[«الإرشاد» للمفيد ص٢٠٣، أيضًا «إعلام الورى» للطبرسي ص٢٢٣ واللفظ له].

ولما تتابعت إليه كتب الشيعة، وتوالى الرسل أرسل إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل، فانثل عليه أهل الكوفة «واجتمعوا حوله، فبايعوه وهم يبكون، وتجاوز عددهم من ثمانية عشر ألف» [«الإرشاد» للمفيد ص٢٠٥].

وبعد أيام كتب إليه مسلم بن عقيل: «إن لك مائة ألف سيف ولا تتأخر».

[«الإرشاد» للمفيد ص٢٢٠].

فكتب ردًا عليه وعليهم:

«قد شخصت من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا

قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدوا فإنى قادم إليكم».

[«الإرشاد» للمفيد ص٢٢٠].

ولكن انقلبت الأمور وتقلبت الشيعة كشأنهم ودأبهم سابقًا، وقتل مسلم بن عقيل بدون ناصر ومعين، ولما بلغ الحسين نعيه وواجهه عسكر بن زياد من الكوفة و«خرج إليهم في إزار ورداء ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس! إني لم آتكم حتى أتتنى كتبكم أن أقدم علينا، فإنه ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى والحق، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا، وكنتم لقدومي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذى جئت منه إليكم» [«الإرشاد» ص٢٢٤].

ثم خذلوه، وأعرضوا عنه، وأسلموه للعدو حتى قتل في نفر من أهل بيته ورفاقه، كما يذكر محسن الأمين:

«ثم بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفًا غدروا به وخرجوا عليه. وبيعته في أعناقهم، وقتلوه» [«أعيان الشيعة» القسم الأول ص٣٤].

ويكتب اليعقوبي الشيعي أن أهل الكوفة لما قتلوه:

«انتهبوا مضاربه وابتزوا حرمه، وحملوهن إلى الكوفة، فلما دخلن إليها خرجت نساء الكوفة يصرخن ويبكين، فقال علي بن الحسين: هؤلاء يبكين علينا، فمن قتلنا»؟

[«تاريخ اليعقوبي» ج١ ص٢٣٥].

فهؤلاء هم الشيعة وأولئك أهل البيت وهذه معاملاتهم وأحوالهم مع أهل البيت الذين يدعون أنهم محبون وموالون لهم.

بقية أهل البيت

وبقية أهل بيت علي وأهل بيت نبي لم ينجوا من إيذائهم وإضرارهم وإساءتهم وإهانتهم، فكفروا وفسقوا، وسبوا وشتموا جميع من خرجوا ثأرًا للحسين وطلبًا للحق، والحكم والحكومة، وأدعوا الأمامة والزعامة غير الثمانية من أولاد الحسين

سواء كانوا من ولده أو ولد الحسن أو علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، من محمد بن الحنفية، وابنه أبي هاشم، وزيد بن زين العابدين، وابنه يحيى، وعبد الله بن المحض بن الحسن المثنى، وابنه محمد الملقب بنفس زكية، وأخيه إبراهيم، وابني جعفر ابن الباقر عبد الله الأفطح ومحمد، وحفيدي الحسن المثنى حسين بن علي ويحيى بن عبدالله، وابنى موسى الكاظم زيد وإبراهيم، وابن علي النقي جعفر بن علي وغيرهم الكثيرين الكثيرين من العلويين والطالبيين الذين ذكرهم الأصفهاني في «مقاتل الطالبيين» وغيره في غيره من الطالبيين من أولاد جعفر بن أبي طالب وعقيل بن أبي طالب، كما اعتقدوا كفر جميع من ادعى الإمامة من العباسيين أهل بيت النبي باعتراف القوم بأنفسهم وأبناء عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك فاطميي مصر.

الفاطميون

ولا أدري كيف يتبناهم شيعة عصرنا ويقولون: إنها كانت دولة شيعية، وإنهم بناة مجدنا ودعاة مذهبنا، ومؤسسوا العلم والحضارة في مصر، ومنشؤوا المساجد ودور الكتب والجامعات» [الشيعة في الميزان للمغنية ص١٤٩ وما بعد، أعيان الشيعة ص٢٦٤ القسم الثاني].

مع تكفيرهم إياهم واتفاقهم على خروجهم من الإسلام والملة الإسلامية الحنيفية. فلقد كتب محضر في عصر الخليفة القادر العباسي في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة. وعليه توقيعات من أشراف القوم ونقبائهم، وخصوصًا من يلقب بنقيب الأشراف وجامع نهج البلاغة، السيد رضى وأخيه السيد مرتضى، واحتفاظًا على التاريخ والوثيقة التاريخية نقلها بتمامها ههنا:

«إن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والخزي والنكال - ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد - لا أسعده الله - فإنه لما سار إلى المغرب تسمى بعبيد الله وتلقب بالمهدي، هو ومن تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليه وعليهم اللعنة - أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، وإن ذلك باطل وزور، وإنهم لا يعلمون أن أحدًا من الطالبيين توقف

عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج إنهم أدعياء، وقد كان هذا الإنكار شائعًا بالحرمين في أول أمرهم بالمغرب، منتشرًا انتشار يمنع مع أن يدلس على أحد كذبهم، أو يذهب وهم إلى تصديقهم، وإن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار زنادقة ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، قد عطلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية. التوقيعات:

الشريف الرضي، السيد المرتضى أخوه، وابن الأزرق الموسوي، ومحمد بن محمد بن عمر ابن أبي يعلى العلويون. والقاضي أبو محمد عبد الله بن الأكفاني، والقاضي أبو القاضي أبو القاسم الجزري، والإمام أبو حامد الإسفرائيني وغيرهم الكثيرون الكثيرون» [«النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» لجمال الدين تسغري بردى الأتابكي، المتوفى ٨٧٤هـ ج٤ ص٢٢٩، ٢٣٠، أيضًا. «شذرات الذهب» و«تاريخ الإسلام» للذهبي و«مرآة العقول» و«المنتظم» و«عقد الجمان»)]، ولقد اخترعوا روايات بخصوص ذلك، منها أن أبا جعفر الباقر سئل عن قول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾؟

قال: من قال إني إمام وليس بإمام. قال: قلت وإن كان علويًا؟

قال: وإن كان علويًا. قلت: وإن كان من ولد علي بن أبي طالب عليه السلام؟

قال: وإن كان – وفي رواية عن ابنه جعفر أنه قال: وإن كان فاطميًا علويًا».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٣٧٢].

وأيضًا: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٣٧٢].

هذا وأما الثمانية من أولاد الحسين الذين خلعوا عليهم لقب الإمام، والتاسع الموهوم لم يكونوا بأقل توهينًا وتحقيرًا وتصغيرًا من قبل القوم أنفسهم، فإنهم تكلموا فيهم، وشنعوا عليهم، وخذلوهم، وأذلوهم، وضحكوا عليهم، واتهموهم بتهم هم منها براء، كفعلتهم مع آباءهم، مع الحسنين، وعلي بن أبي طالب، وصنيعهم مع سيد الكونين ورسول الثقلين صلى الله عليه وسلم، وأنبياء الله ورسله.

علي بن الحسين

فأهانوا علي بن الحسين الملقب بزين العابدين، والذي يعدونه إمامًا مطاعًا، ومتبعًا مبايعًا بعد أبيه بقولهم إنه كان أجبن من عامى وعادى، ولقد أقر بعبودية يزيد قاتل الحسين - حسب زعمهم - والرواية من كتابهم الكافي عن ابن زين العابدين محمد الباقر أنه قال:

إن يزيد بن معاوية دخل المدينة وهو يريد الحج، فبعث إلى رجل من قريش فأتاه، فقال له يزيد: أتقر لي أنك عبد لي، إن شئت بعتك وإن شئت استرقيتك. فقال له الرجل: والله يا يزيد! ما أنت بأكرم مني في قريش حسبًا ولا كان أبوك أفضل من أبي في الجاهلية والإسلام، وما أنت بأفضل مني في الدين ولا بخير مني، فكيف أقر لك بما سألت؟ فقال له يزيد: إن لم تقر لي والله لقتلتك، فقال له الرجل: ليس قتلك إياى بأعظم من قتلك الحسين بن علي عليهما السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فأمر به فقتل.

ثم أرسل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال له مثل مقالته للقرشي، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: أرأيت إن لم أقر لك أليس تقتلني كما قتلت الرجل بالأمس؟ فقال له يزيد لعنه الله بلى فقال له علي بن الحسين عليهما السلام قد أقررت لك بما سألت، أنا عبد مكره، فإن شئت فأمسك وإن شئت فبع».

[«الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٣٤، ٢٣٥].

هذا وقد أهانوه وآذوه في ولده ووالدته، فلقد قالوا: إنه سئل أحد أئمتهم المعصومين من شيعته:

«إن لي جارين، أحدهما ناصب والآخر زيدي، ولا بد من معاشرتهما، فمن أعاشر؟

فقال: هما سيان، من كذب بآية من كتاب الله فقد نبذ الإسلام وراء ظهره وهو المكذب بجميع القرآن والأنبياء والمرسلين، قال: ثم قال: إن هذا نصب لك وهذا الزيدي نصب لنا» [«الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٣٥].

وأوذي في والدته وأهين حيث قالوا:

إن جميع الناس ارتدوا بعد قتل الحسين إلا الخمسة، أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل وجبير بن مطيع وجابر بن عبد الله والشبكة زوجة الحسين بن علي».

[«مجالس المؤمنين» للشوشتري، المجلسي الخامس ص١٤٤ ط طهران].

ولا ندري أين ذهبت أمه شهربانو حيث عدت شبكة، ولم تذكر تلك.

محمد الباقر وابنه

وأما محمد الباقر وابنه جعفر فهما المظلومان الحقيقيان لأنه لا يوجد فضيحة ولا قبيحة إلا وقد نسبوها إليهما من الجبن والنفاق والغدر والخيانة والكذب، وباسمهما اخترعوا مذهبًا، واختلقوا مسلكًا وهما لا يدريان عنه وعنهم شيئًا، فلقد قالوا إن الباقر كان يحل ما حرمه الله خوفًا وجبنًا. فمثلاً كان يفتي «أن ما قتل البازي والصقر فهو حلال - مع كونه حرامًا -».

[«الفروع من الكافي» ج٦ ص٢٠٨، باب صيد البزاة والصقور وغير ذلك].

ولقد أورد روايات عديدة في حرمة ما قتله البازي والصقر.

ويقول له زرارة بن أعين من كبار رواة الشيعة ومشائخهم الذين عليهم مدار المذهب، يقول في محمد الباقر:

«شيخ لا علم له بالخصومة» [«الأصول من الكافي»].

هذا ولقد نقلوا أن زرارة بن أعين قال: سألت محمد الباقر:

«عن مسألة فأجابني، ثم جاءه رجل فسأله عنها، فأجابه بخلاف ما أجابني، ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابني وأجاب صاحبي، فلما خرج الرجلان قلت: يا ابن رسول الله! رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟

فقال: يازرارة! إن هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدقكم الناس علينا ولكان أقل لبقائنا وبقائكم.

قال: ثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين، قال: فأجابني بمثل جواب أبيه».

[«الأصول من الكافي» كتاب فضل العلم ص٦٥ ط طهران].

وقالوا عن جعفر أيضًا: أنه مدح أبا حنيفة أمامه، وذمه بعد ما خرج من عنده كما رواه الكليني عن محمد بن مسلم أنه قال:

دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وعنده أبو حنيفة فقلت له: جعلت فداك رأيت رؤيا عجيبة فقال لي: يا ابن مسلم! هاتها فإن العالم بها جالس وأومأ بيده إلى أبي حنيفة، قال: فقلت: رأيت كأني دخلت داري وإذا أهلي قد خرجت علي فكسرت جوازًا كثيرًا ونثرته علي، فتعجبت من هذه الرؤيا فقال أبو حنيفة: أنت رجل تخاصم وتجادل لئامًا في مواريث أهلك، فبعد نصب شديد تنال حاجتك منها إن شاء الله، فقال: أبو عبد الله عليه السلام: أصبت والله يا أبا حنيفة، قال: ثم خرج أبو حنيفة من عنده فقلت: جعلت فداك إني كرهت تعبير هذا الناصب، فقال: يا ابن مسلم! لا يسؤك الله، فما يواطئ تعبيرهم تعبيرنا. ولا تعبيرنا تعبيرهم وليس التعبير كما عبره، قال: فقلت له: جعلت فداك فقولك: أصبت وتحلف عليه وهو مخطئ؟ قال: نعم! حلفت عليه أنه أصاب الخطأ» [«كتاب الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٩٢، تعبير منامات].

هذا ولقد نسبوا إليه أنه قال:

إني لأتكلم على سبعين وجهًا، لي في كلها المخرج» [«بصائر الدرجات» الجزء السادس].

وقد ذكرنا سابقًا [انظر لذلك الباب الثالث «الشيعة وأكاذيبهم على أهل البيت» من هذا الكتاب] ما نسبوا إليهما من خرافات وقبائح ما يستحيي من ذكرها الإنسان. ونذكر ههنا رواية واحدة فقط ما رواها الكشي عن زرارة أنه قال: والله! لو حدثت بكل ما سمعته من أبي عبد الله لانتفخت ذكور الرجال على الخشب» [«رجال الكشي» ص١٢٣، ترجمة زرارة بن أعين].

***

موسى بن جعفر

وأما موسى بن جعفر فأهانوه، وأهانوا أمه فقالوا:

إن ابن عكاشة دخل على أبي جعفر وكان أبو عبد الله عليه السلام قائمًا عنده، فقدم إليه عنبًا، فقال: حبة حبة يأكله الشيخ الكبير والصبي الصغير وثلاثة وأربعة يأكله من يظن أنه لا يشبع، وكله حبتين حبتين فإنه يستحب. فقال لأبي جعفر عليه السلام: لأي شيء لا تزوج أبا عبد الله فقد أدرك التزويج؟ قال: وبين يديه صرة مختومة، فقال: أما إنه سيجيء نخاس من أهل بربر فينزل دار ميمون، فنشتري له بهذه الصرة جارية، قال: فأتى لذلك ما أتى، فدخلنا يومًا على أبي جعفر عليه السلام فقال: ألا أخبركم عن النخاس الذى ذكرته لكم قد قدم، فاذهبوا فاشتروا بهذه الصرة منه جارية، قال: فأتينا النخاس فقال: قد بعت ما كان عندي إلا جاريتين مريضتين إحداهما أمثل من الأخرى، قلنا: فأخرجهما حتى ننظر إليهما فأخرجهما.

فقلنا: بكم تبيعنا هذه المتماثلة.

قال: بسبعين دينارًا، قلنا أحسن، قال: لا أنقص من سبعين دينارًا، قلنا له: نشتريها منك بهذه الصرة ما بلغت ولا ندري ما فيها وكان عنده رجل أبيض الرأس واللحية قال: فكوا وزنوا، فقال النخاس: لا تفكوا فإنها إن نقصت حبة من سبعين دينارًا لم أبايعكم، فقال الشيخ: ادنوا، فدنونا وفككنا الخاتم ووزنا الدنانير، فإذا هى سبعون دينارًا لا تزيد ولا تنقص، فأخذنا الجارية فأدخلناها على أبي جعفر عليه السلام وجعفر قائم عنده فأخبرنا أبا جعفر جعفر بما كان، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال لها: ما اسمك؟ قالت: حميدة، فقال حميدة في الدنيا، محمودة في الآخرة، أخبريني عنك أبكر أنت أم ثيب؟

قالت: بكر.

قال: وكيف ولا يقع في أيدي النخاسين شيء إلا أفسدوه، فقال: قد كان يجيئني مني مقعد الرجل من المرأة، فيسلط الله عليه رجلاً أبيض الرأس واللحية، فلا يزال

يلطمه حتى يقوم عني، ففعل بي مرارًا وفعل الشيخ به مرارًا فقال: يا جعفر! خذها إليك، فولدت خير أهل الأرض موسى بن جعفر عليهما السلام».

[«الأصول من الكافي» كتاب الحجة، باب مولد موسى بن جعفر ج١ ص٤٧٧].

وتكلموا في علمه وعقله حيث قالوا: إنه سئل عن امرأة تزوجت ولها زوج؟

قال: ترجم المرأة، ولا شيء على الرجل، فلقيت أبا بصير [من كبار الشيعة ومشائخهم الذين قال فيهم جعفر: لولا هؤلاء انقطعت آثار النبوة واندرست» (رجال الكشي ص١٥٢)] فقلت له: إني سألت أبا الحسن عن المرأة التي تزوجت ولها زوج، قال: ترجم المرأة ولا شيء على الرجل، قال: فمسح صدره (أبو بصير) وقال: ما أظن صاحبنا تناهى حكمه بعد - وفي رواية أخرى: أظن صاحبنا ما تكامل علمه».

[«رجال الكشي» ١٥٣، ١٥٤].

وكان أبو بصير المرادي هذا يتهم موسى بن جعفر أنه رجل الدنيا كما ذكر الكشي عن حماد بن عثمان أنه قال: خرجت أنا وابن أبي يعفور وآخر إلى الحيرة أو إلى بعض المواضع، فتذاكرنا الدنيا.

فقال أبو بصير المرادي: أما إن صاحبكم لو ظفر بها لاستأثر بها».

[«رجال الكشي» ص١٥٤].

علي بن موسى

وأما علي بن موسى بن جعفر هو الذى قالوا عنه إنه كان يرى جواز إتيان الرجل المرأة في دبرها [«الاستبصار» باب إتيان النساء ما دون الفرج، ج٣ ص٢٤٣].

وحكوا عنه نفس القصة التى حكوا عن أبيه موسى بن جعفر:

عن هشام بن أحمد قال: قال أبو الحسن الأول عليه السلام: هل علمت أحدًا من أهل المغرب قدم؟ قلت: لا، فقال عليه السلام: بلى قد قدم رجل أحمر فانطلق بنا، فركب وركبنا معه حتى انتهينا إلى الرجل، فإذا رجل من أهل المغرب معه رقيق فقال له: أعرض علينا، فعرض علينا تسع جوار كل ذلك يقول أبو الحسن عليه السلام لا

حاجة لي فيها، ثم قال له: أعرض علينا، قال: ما عندي شيء فقال له: بلى أعرض علينا قال: لا والله، ما عندي إلا جارية مريضة فقال له: ما عليك أن تعرضها؟ فأبى عليه، ثم انصرف عليه السلام ثم إنه أرسلني من الغد إليه، فقال لي: قل له كم غايتك فيها؟ فإذا قال: كذا وكذا. فقل: قد أخذتها، فأتيته، فقال: ما أريد أن أنقصها من كذا فقلت: قد أخذتها وهو لك، فقال: هي لك، ولكن من الرجل الذي كان معك بالأمس؟ فقلت: رجل من بني هاشم، فقال: من أي بني هاشم؟ فقلت: من نقبائهم، فقال: أريد أكثر منه، فقلت: ما عندي أكثر من هذا، فقال: أخبرك عن هذه الوصيفة إني اشتريتها من أقصى بلاد المغرب، فلقيتني امرأة من أهل الكتاب، فقلت: ما هذه الوصيفة معك؟

فقلت: اشتريتها لنفسي، فقالت: ما ينبغي أن تكون هذه الوصيفة عند مثلك! إن هذه الجارية ينبغي أن تكون عند خير أهل الأرض، فلا تلبث عنده إلا قليلاً حتى تلد منه غلامًا يدين له شرق الأرض وغربها، قال: فأتيته بها، فلم تلبث عنده إلا قليلاً حتى ولدت له عليًا عليه السلام».

[«عيون أخبار الرضا» لابن بابويه ج١ ص١٧، ١٨، «الأصول من الكافي» للكليني ج١ ص٤٨٦].

وهل من المعقول أن مثل موسى بن جعفر وجعفر بن باقر لا يجدان امرأة من بني هاشم وغيرهم من الأشراف ليتزوجا بها ومن الحرائر حتى اضطر إلى اشتراء جوار وإماء ومن النخاسين الذين جردوهما من الملابس وجلسوا منهن مجلس الرجل من المرأة. فيا للعجائب المضحكات المبكيات معًا.

ثم وقد نسبوا إلى هذا الرضا بأنه كان يعشق ابنة عم المأمون وهي تعشقه كما يذكر ابن بابويه القمي في بيان علاقات ذي الرياستين وأبي الحسن الرضا:

«وأظهر ذو الرياستين عداوة شديدة على الرضا عليه السلام وحسده على ما كان المأمون يفضل به، فأول ما ظهر لذي الرياستين من أبي الحسن عليه السلام أن ابنة عم المأمون كانت تحبه وكان يحبها، وكان ينفتح باب حجرتها إلى مجلس المأمون، وكانت تميل إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام وتحبه، وتذكر ذا الرياستين وتقع فيه، فقال ذو الرياستين حين بلغه ذكرها له لا ينبغي أن يكون باب دار النساء مشرعًا إلى مجلسك،

فأمر المأمون بسده، وكان المأمون يأتي الرضا عليه السلام يومًا والرضا عليه السلام يأتي المأمون يومًا، وكان منزل أبي الحسن عليه السلام بجنب منزل المأمون، فلما دخل أبو الحسن عليه السلام إلى المأمون ونظر إلى الباب مسدودًا قال: يا أمير المؤمنين ما هذا الباب الذى سددته؟

فقال: رأى الفضل ذلك وكرهه، فقال عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما للفضل والدخول بين أمير المؤمنين وحرمه؟

قال: فما ترى؟ قال: فتحه والدخول إلى ابنة عمك ولا تقبل قول الفضل فيما لا يحل ولا يسع، فأمر المأمون بهدمه ودخل على ابنة عمه، فبلغ الفضل ذلك فغمه».

[«عيون أخبار الرضا» ص١٥٣، ١٥٤].

وينسبونه إلى جبن ومذلة بقولهم لما أرسل إليه الجلودى - أحد أمراء الرشيد - لينهب بيته ويسلب أمواله، فبدل أن يدافع عنه وعن أهل بيته وعن شرفه وحرمه وحرماته بدأ يدفع إليه الأموال:

«فدخل الحسن أبو الرضا عليه السلام، فلم يدع عليهن شيئًا حتى أقراطهن وخلاخيلهن وأزرارهن إلا أخذه منهن وجميع ما كان في الدار من قليل وكثير - ودفعها إليه -» [«عيون أخبار الرضا» ج٢ ص١٦١].

الإمام التاسع

وأما ابن الرضا محمد الملقب بالقانع والمكنى بأبي جعفر الثاني، فقد شكوا في بنوته للرضا وترددوا في قبول إمامته لاسوداد وجهه وتغير لونه، وقالوا إن الذين سبقوا إلى الشك فيه هم عمومته وإخوته كما نقلوا عن علي بن جعفر بن الباقر أنه قال له إخوته (أي الرضا):

ما كان فينا إمام قط حائل اللون [«حال لونه أي تغير واسود، كما في هامش الأصل] فقال لهم الرضا عليه السلام: هو ابني، قالوا: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قضى بالقافة [جمع القائف وهو الذي يعرف الآثار والأشباه ويحكم بالنسب]

فبيننا وبينك القافة، قال: ابعثوا أنتم إليهم، فأما أنا فلا، ولا تعلموهم لما دعوتموهم ولتكونوا في بيوتكم.

فلما جاؤا أقعدونا في البستان واصطف عمومته وإخوته وأخواته، وأخذوا الرضا عليه السلام وألبسوه جبة صوف وقلنسوة منها، ووضعوا على عنقه مسحاة وقالوا له: ادخل البستان كأنك تعمل فيه، ثم جاؤا بأبي جعفر عليه السلام فقالوا: ألحقوا هذا الغلام بأبيه، فقالوا:

ليس له ههنا أب ولكن هذا عم أبيه، وهذا عمه، وهذه عمته، وإن يكن له ههنا أب فهو صاحب البستان، فإن قدميه وقدميه واحدة، فلما رجع أبو الحسن عليه السلام قالوا: هذا أبوه» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٣٢٢، ٣٢٣].

انظر إلى هذه المسرحية وكيف يحكون عنها؟ وكم فيها من الإساءات إلى أهل بيت علي رضي الله عنه ؟

ويقولون عنه إنه كان جبانًا خوافًا إلى أنه لما طلبه المعتصم العباسي مرة ثانية إليه:

«بكى حتى اخضلت لحيته ثم التفت فقال: عند هذه يخاف علي».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٣٢٢، ٣٢٣].

الإمام العاشر

وأما ابنه علي فيقولون إنه مات أبوه وكان في الثامنة من عمره، فاختلفوا في إمامته وتكلموا كثيرًا حولها حتى أثبتوها بشهادة رجل لم يكن منهم وبعد إجباره على تلك الشهادة.

[انظر تفصيل تلك القصة في كتاب الحجة، باب الإشارة والنص على أبي الحسن الثالث ج١ ص٣٢٤].

ويقولون إنه مع إمامته «لم يسلم إليه تركته من الضياع والأموال والنفقات والرقيق، وجعل عبد الله بن المساور قائمًا عليها إلى أن يبلغ من قبل أبيه».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٣٢٥].

مع أنهم يحكون عن أبيه:

«إنه استأذن عليه قوم من أهل النواحي من الشيعة فأذن لهم، فدخلوا فسألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة فأجاب عليه السلام وله عشر سنين».

[«الأصول من الكافي» كتاب الحجة، باب مولد محمد بن علي ج١ ص٤٩٦].

وما أدري لم يستصغرونه حتى يضطرون إلى القائم يقوم بأمره إلى أن يبلغ

ثم ويتهمونه بأنه لم يكن يعرف من سيكون الإمام بعده حتى إنه - أي علي بن محمد - جعل الإمامة إلى الأكبر من ولده - يعني إلى أبي جعفر محمد - ولم يدر أنه لا يبقى بعده بل سيموت في حياته، فلما مات قال: ما أنا الذي أخطأت ولكن الله لم يعلم من الذي سيكون الإمام بعدي وإليك النص:

بدا [معناه النسيان والجهل لله تعالى. انظر لتفصيل ذلك كتاب «الشيعة والسنة» الباب الأول، مسألة البدا] لله في أبي محمد - يعني: ابنه الثاني الحسن العسكري - بعد أبي جعفر - يعني ابنه الأكبر محمدًا - ما لم يكن يعرف له كما بدا في موسى بعد مضي إسماعيل - يعني: ابني جعفر - ما كشف به عن حاله وهو كما حدثتك نفسك وإن كره المبطلون» [«الإرشاد» للمفيد ص٣٣٧].

وأما الحادي عشر حسن بن علي الملقب بالعسكري فيقولون عنه إنه شكر الله عز وجل على وفاة أخيه الأكبر محمد بن علي لما سمع أن الإمامة تصل إليه بعد ما شق جيوبه ولطم خدوده كما ذكره المفيد في «الإرشاد».

[«الإرشاد» ص٣٢٦] والأربلي في «كشف الغمة» [«الإرشاد» ص٤٠٥].

هذا وأما الثاني عشر الموهوم فكفى فيه القول أنهم يصرحون في كتبهم أنفسهم أنه لم يولد ولم يعثر عليه ولم ير له أثر مع كل التفتيش والتنقيب، ثم يحكون حكايات، وينسجون الأساطير، ويختلقون القصص والأباطيل في ولادته وأوصافه، إما موجود ولد، وإما معدوم لم يولد؟ غير مولود ومولود! ومعدوم وموجود! فأية إساءة أكبر منها؟ وأية إهانة أكثر منها. وإليكم النص من أهم كتبهم هم، فيروون عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان أنه قال في قصة طويلة أن الحسن العسكري:

«لما اعتل بعث السلطان إلى أبيه أن ابن الرضا قد اعتل، فركب من ساعته فبادر إلى

دار الخلافة ثم رجع مستعجلاً ومعه خمسة من خدم أمير المؤمنين كلهم من ثقاته وخاصته، فيهم نحرير فأمرهم بلزوم دار الحسن وتعرف خبره وحاله، وبعث إلى نفر من المتطببين فأمرهم بالاختلاف إليه وتعاهده صباحًا ومساءً، فلما كان بعد ذلك بيومين أو ثلاثة أخبر أنه قد ضعف، فأمر المتطببين بلزوم داره وبعث إلى قاضي القضاة فأحضره مجلسه وأمره أن يختار من أصحابه عشر ممن يوثق به في دينه وأمانته وورعه، فأحضرهم فبعث بهم إلى دار الحسن وأمرهم بلزومه ليلاً ونهارًا، فلم يزالوا هناك حتى توفي عليه السلام فصارت سر من رأى ضجة واحدة وبعث السلطان إلى داره من فتشها وفتش حجرها وختم على جميع ما فيها وطلبوا أثر ولده وجاؤا بنساء يعرفن الحمل، فدخلن إلى جواريه ينظرن إليهن، فذكر بعضهن أن هناك جارية بها حمل فجعلت في حجرة ووكل بها نحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم، ثم أخذوا بعد ذلك في تهيئته وعطلت الأسواق وركبت بنو هاشم والقواد وأبي وسائر الناس إلى جنازته، فكانت سر من رأى يومئذ شبيهًا بالقيامة، فلما فرغوا من تهيئته بعث السلطان إلى أبي عيسى بن المتوكل فأمر بالصلاة عليه، فلما وضعت الجنازة للصلاة عليه دنا أبو عيسى منه فكشف عن وجهه فعرضه على بني هاشم من العلوية والعباسية والقواد والكتاب والقضاة والمعدلين وقال:

هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرضا مات حتف أنفه على فراشه حضره من حضره من الخدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان ومن القضاة فلان وفلان ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه وأمر بحمله فحمل من وسط داره ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه.

لما دفن أخذ السلطان والناس في طلب ولده وكثر التفتيش في المنازل والدور وتوقفوا عن قسمة ميراثه ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهم عليها الحمل لازمين حتى تبين بطلان الحمل، فلما بطل الحمل عنهن قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت ذلك عند القاضي» [«كتاب الحجة من الكافي» ص٥٠٥، «الإرشاد» للمفيد ص٣٣٩، ٣٤٠، «كشف الغمة» ص٤٠٨، ٤٠٩، «الفصول المهمة» ص٢٨٩، «جلاء العيون» ج٢ ص٧٦٢ «إعلام الورى» للطبرسي ص٣٧٧، ٣٧٨].

وما أحسن ما كتب أحد كتاب السنة في هذا أن مهدي الشيعة وقائمهم مختلق معدوم موهوم، وإن قرآنهم كذلك معدوم غير موجود، وإن مذهبهم أيضًا مخترع موضوع، وسيكون معدومًا إن شاء الله.

وهذه الرواية التي ذكرها جميع مؤرخي الشيعة ومؤلفيها ومحدثيها تهدم ما أرادوا بنائه على الأساطير والقصص من ولادة الإمام الثاني عشر ونشأته وإمامته، وأن لا يكون كذلك فهم لا يريدون من ذكر هذه الروايات وثبتها إلا إهانته وإيذاءه حيث ينسبونه إلى عدم الوجود والولادة وهو مولود وموجود! فالعدل، العدل.

ولقد كتب المفيد وغيره «فلم يظهر ولده في حياته، ولا عرفه الجمهور بعد وفاته وتولى جعفر بن علي أخو أبي محمد عليه السلام وأخذ تركته وسعى في حبس جواري أبي محمد واعتقال حلائله ..... وحاز جعفر ظاهرًا تركته أبي محمد عليه السلام واجتهد في القيام عند الشيعة مقامه» [«الإرشاد» ص٣٤٥ «إعلام الورى» ص٣٨٠].

فهذا هو الثاني عشر إن كان لهم الثاني عشر، وفعلاً اعتقد القوم منهم إمامته وسموا بالجعفرية، ولكن الشيعة سبوه وشتموه كعادتهم مع الآخرين، فقالوا فيه أي جعفر بن محمد: هو معلن الفسق فاجر، ماجن، شريب للخمور، أقل من رأيته من الرجال، وأهتكهم لنفسه، خفيف، قليل في نفسه» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٥٠٤].

ويسمونه جعفر الكذاب وغير ذلك من الأوصاف الكثيرة القبيحة.

***

أهل البيت والشيعة

وقبل أن ننتهي من هذا نريد أن نثبت ههنا أن أهل البيت كانوا على علم ومعرفة من صنيع هؤلاء القوم ومعاملاتهم معهم، وعلى ذلك لم يقصروا بدورهم أيضًا في بيان حقيقة هؤلاء القوم على الناس، وتنوير الرأي العام، وكيل اللعنات والحملات العشواء ضدهم، من أولهم إلى آخرهم.

فأول المبتلين بهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يتأن ولم يتأخر في إيقافه إياهم موقف المجرمين المتخاذلين، والمتعنتين المعاندين الطاعنين.

فقال: أحمد الله على ما قضى من أمر، وقدر من فعل، وعلى ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي إذا أمرت لم تطع، وإذا دعوت لم تجب إن أمهلتم خضتم، وإن حوربتم خرتم، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم، وإن اجئتم إلى مشاقة نكصتم. لا أبا لغيركم! ما تنتظرون بنصركم والجهاد على حقكم؟ الموت أو الذل لكم؟ فوالله لئن جاء يومي - وليأتيني - ليفرقن بيني وبينكم، وأنا لصحبتكم قال، وبكم غير كثير، لله أنتم! أما دين يجمعكم! ولا حمية تشحذكم! أوليس عجبًا أن معاوية يدعو الجفاة الطغاة فيتبعونه على غير معونة ولا عطاء، وأنا أدعوكم - وأنتم تريكة الإسلام، وبقية الناس - إلى المعونة أو طائفة من العطاء، فتفرقون عني وتختلفون عليّ؟

إنه لا يخرج إليكم من أمري رضى فترضونه، ولا سخط فتجتمعون عليه، وإنّ أحبّ ما أنا لاق إليّ الموت! قد دارستكم الكتاب، وفاتحتكم الحجاج، وعرفتكم ما أنكرتم، وسوغتكم ما مججتم، لو كان الأعمى يلحظ، أو النائم يستيقظ».

[«نهج البلاغة» ص٢٥٨، ٢٥٩].

وقال مرة أخرى مخاطبًا إياهم:

أف لكم! لقد سئمت عتابكم! أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضًا؟ وبالذل من العز خلفًا؟ إذا دعوتكم إلى الجهاد عدوكم دارت أعينكم، كأنكم من الموت في غمرة، ومن الذهول في سكرة. يرتج عليكم حواري فتعمهون، وكأن قلوبكم مألوسة،

فأنتم لا تعقلون. ما أنتم لي بثقة سجيس الليالي، وما أنتم بركن يمال بكم، ولا زوافر عز يفتقر إليكم ما أنتم إلا كإبل ضل رعاتها، كلما جمعت من جانب انتشرت من آخر، لبئس – لعمر الله – سعر نار الحرب أنتم.

تكادون ولا تكيدون، وتنقص أطرافكم فلا تمتعضون [الامتعاض هو الغضب]، لا ينام عنكم وأنتم في غفلة ساهون، غلب والله المتخاذلون! وأيم الله! إني لأظن بكم أن لو حمس الوغى، واستحر الموت، قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس».

[«نهج البلاغة» ص٧٨].

ومرة أخرى يبين للناس ما هم في الجبن والمخاذلة والفساد والباطل فيقول:

كم أداريكم كما تداري البكار العمدة، والثياب المتداعية! كلما حيصت من جانب تهتكت من آخر، كلما أطل عليكم منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه، وانحجر انحجار الضبة في جحرها، والضبع في وجارها. الذليل والله من نصرتموه! ومن رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل [السهم مكسور الفوق، عار عن النصل]. – إنكم والله – لكثيرة في الباحات قليل تحت الرايات، وإني لعالم بما يصلحكم، ويقيم أودكم، ولكني لا أرى إصلاحكم بإفساد نفسي أضرع الله خدودكم، وأتعس جدودكم! لا تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، ولا تبطلون الباطل كإبطالكم الحق!» [«نهج البلاغة» ص٩٨، ٩٩].

وأيضًا: «وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تغضبون! وأنتم لنقض ذمم آبائكم تأنفون! وكانت أمور الله عليكم ترد، وعنكم تصدر، وإليكم ترجع، فمكنتم الظلمة من منزلتكم، وألقيتم إليهم أزمتكم، وأسلمتم أمور الله في أيديهم، يعملون بالشبهات، ويسيرون في الشهوات، وأيم الله، لو فرقوكم تحت كل كوكب، لجمعكم الله لشر يوم لهم» [«نهج البلاغة» ص١٥٤].

و «كأني أنظر إليكم تكشون كشيش الضباب، لا تأخذون حقًا ولا تمنعون ضيمًا، قد خليت والطريق، فالنجاة للمقتحم، والهلكة للمتلوم» [«نهج البلاغة» ص١٨٠].

وقال متأسفًا ويائسًا عنهم:

فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى، ولكن بمن وإلى من؟

أريد أن أداوى بكم وأنتم دائي كناقش الشوكة بالشوكة، وهو يعلم أن ضلعها معها! اللهم قد ملت أطباء هذا الداء الدوى، وكلت النزعة بأشطان الركى! أين القوم الذين دعوا إلى الإسلام فقبلوه، وقرؤا القرآن فأحكموه، وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللقاح إلى ولدها، وسلبوا السيوف أغمادها، وأخذوا بأطراف الأرض زحفًا زحفا، وصفًا صفا. بعض هلك وبعض نجا، لا يبشرون بالأحياء، ولا يعزون عن الموتى. مرة العيون من البكاء، خمص البطون من الصيام: ذبل الشفاه من الدعاء، صفر الألوان من السهر. على وجوههم غبرة الخاشعين.

أولئك إخواني الذاهبون. فحق لنا أن نظمأ إليهم، ونعض الأيدي على فراقهم».

[«نهج البلاغة» ص١٧٧، ١٧٨].

وأخيرًا يكب عليهم جعبته، ويدعو عليهم ويقول:

ما هي إلا الكوفة، أقبضها وأبسطها، إن لم تكوني إلا أنت تهب أعاصيرك فقبحك الله! .... اللهم إنى قد مللتهم وملوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيرًا منهم، وأبدلهم بي شرًا مني، اللهم مث [أي أذب، من الإذابة] قلوبهم كما يماث الملح في الماء».

[«نهج البلاغة» ص٦٦، ٦٧].

هذا وقد قال الحسن ما ذكرنا سابقًا:

أرى والله معاوية خير لي من هؤلاء يزعمون أنهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي» [«الاحتجاج» للطبرسي ص١٤٨].

وقد قال أيضًا:

عرفت أهل الكوفة وبلوتهم، ولا يصلح لي من كان منهم فاسدًا، إنهم لاوفاء لهم ولا ذمة في قول ولا فعل، إنهم مختلفون ويقولون لنا إن قلوبهم معنا، وإن سيوفهم لمشهورة علينا» [«الاحتجاج» ص١٤٩].

وقال الحسين بن علي وهو واقف في كربلاء:

يا شيث بن ربعي! ويا حجار بن أبحر! ويا قيس بن الأشعث! ويا يزيد بن الحارث! (أسماء شيعته) ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار وأخضر الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة».

[«الإرشاد» للمفيد ص٢٣٤. أيضًا «إعلام الورى بأعلام الهدى» للطبرسي ص٢٤٢].

وقال الحر بن يزيد التميمي نيابة عنه وهو واقف أمامه في كربلاء يوم مقتله:

يا أهل الكوفة! لامكم الهبل والعبر أدعوتم هذا العبد الصالح حتى إذا جاءكم اسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه، ثم عدوتم عليه لتقتلوه وأمسكتم بنفسه وأخذتم بكظمه وأحطتم به من كل جانب لتمنعوه التوجه في بلاد الله العريضة فصار كالأسير في أيديكم لا يملك لنفسه نفعًا ولا يدفع عنها ضرًا، وجلأتموه ونسائه وصبيته وأهله من ماء الفرات الجاري يشربه اليهود والنصاري والمجوس وتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه. فهاهم قد صرعهم العطش بئس ما خلفتم محمدًا في ذريته لا سقاكم الله يوم الظمأ» [«الإرشاد» ص٢٣٤، ٢٣٥، «إعلام الورى» للطبرسي ص٢٤٣].

وهؤلاء الذين أخبر عنهم الفرزدق الشاعر:

«يا ابن رسول الله! كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم ابن عقيل» [«كشف الغمة» ج٢ ص٣٨].

ونقل المفيد أنه قال:

حججت بأمي سنة ستين فبينا أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم إذ لقيت الحسين ابن علي عليهما السلام خارجًا من مكة مع أسيافه وأتراسه، فقلت: لمن هذا القطار؟

فقيل: للحسين بن علي عليهما السلام فأتيته فسلمت عليه وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحب بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما أعجلك عن الحج؟ فقال: لو لم أعجل لأخذت، ثم قال لي: من أنت؟ قلت: امرؤا من العرب، فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك، ثم قال لي: أخبرني عن الناس خلفك، فقلت: الخبير سألت. قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء».

[«الإرشاد» ص٢١٨].

وأما الحسين: فلما رأى عليه السلام وحدته ورزأ أسرته وفقد نصرته تقدم على فرسه إلى القوم حتى واجههم وقال لهم:

يا أهل الكوفة قبحًا لكم وتعسًا حين استصرختمونا والهين فأتينا موجفين، فشحذتم علينا سيفًا كان في أيماننا، وحششتم علينا نارًا نحن أضرمناها على أعدائكم وأعدائنا، فأصبحتم ألبًا على أوليائكم ويدًا لأعدائكم، من غير عدل أفشوه فيكم، ولا ذنب كان منا إليكم، فلكم الويلات هلا إذ كرهتمونا والسيف ماشيم والجأش ما طاش والرأي لم يستحصد ولكنكم أسرعتم إلى بيعتنا إسراع الدنيا، وتهافتّم إليها كتهافت الفراش، ثم نقضتموها سفهًا وضلة وطاعة لطواغيت الأمة وبقية الأحزاب ونبذة الكتاب، ثم أنتم هؤلاء تتخاذلون عنا وتقتلونا، ألا لعنة الله على الظالمين، ثم حرك إليهم فرسه وسيفه مصلت في يده وهو آيس من نفسه» [«كشف الغمة» ج٢ ص١٨، ١٩].

وأخيرًا هؤلاء الذين دعوهم إلى كربلاء دعا عليهم كدعاء أبيه على شيعته، فيذكر المفيد: «ثم رفع الحسين عليه السلام يده وقال: اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقًا واجعلهم طرائق قددًا، ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا، فإنهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا». [«الإرشاد» ص٢٤١، أيضًا «إعلام الورى» للطبرسي ص٩٤٩].

وأما علي بن الحسين الملقب بزين العابدين فأبان عوارهم وأظهر عارهم وكشف من حقيقتهم فقال: إن اليهود أحبوا عزيرًا حتى قالوا فيه ما قالوا، فلا عزير منهم ولا هم من عزير، وإن النصارى أحبوا عيسى حتى قالوا فيه ما قالوا فلا عيسى منهم ولا هم من عيسى، وأنا على سنة من ذلك، إن قومًا من شيعتنا سيحبونا حتى يقولوا فينا ما قالت اليهود في عزير وما قالت النصارى في عيسى، فلا هم منا ولا نحن منهم.

[رجال الكشي ص١١].

هذا، وشيعته خذلوه وتركوه، ولم يبق منهم إلا الخمسة كالرواية التي رويناها قبل، وأيضًا ما رواه فضل بن شاذان [«رجال الكشي» ص١٠٧].

أو ثلاثة كما ذكر جعفر بن الباقر أنه قال:

ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة، أبو خالد الكابلي ويحيى بن أم الطويل

وجبير بن مطعم - وروى يونس بن حمزة مثله وزاد فيه: وجابر بن عبد الله الأنصاري». [«رجال الكشي» ص١١٣].

وأما محمد الباقر فكان يائسًا من الشيعة إلى حد حتى قال: لو كان الناس كلهم لنا شيعة لكان ثلاثة أرباعهم لنا شكاكًا والربع الآخر أحمق» [«رجال الكشي» ص١٧٩].

ويشير جعفر أنه لم يكن لأبيه الباقر مخلصون من الشيعة إلا أربعة أو خمسة كما روى: إذا أراد الله بهم سوء صرف بهم عنهم السوء، هم نجوم شيعتي أحياءًا وأمواتًا، يحيون ذكر أبي، بهم يكشف الله كل بدعة، ينفون عن هذا الدين انتحال المبطلين وتأول الغالين. ثم بكى فقلت: من هم؟ فقال: من عليهم صلوات الله عليهم ورحمته أحياء وأمواتًا بريد العجلي وزرارة وأبو بصير ومحمد بن مسلم» [«رجال الكشي» ص١٢٤].

وأما الباقر فكان لا يعتمد حتى ولا على هؤلاء، فكما روي عن هشام بن سالم عن زرارة أنه قال: سألت أبا جعفر عن جوائز العمال؟ فقال:

لا بأس به، ثم قال: إنما أراد زرارة أن يبلغ هشامًا إني أحرم أعمال السلطان».

[«رجال الكشي» ص١٤٠].

ثم وكيف كان هؤلاء؟ فأعرفهم عن جعفر أيضًا، ولقد روى مسمع أنه سمع أبا عبد الله يقول: «لعن الله بريدًا، لعن الله زرارة» [«رجال الكشي» ص١٣٤].

وأما أبو بصير فقالوا: إن الكلاب كان تشغر في وجه أبي بصير».

[«رجال الكشي ص١٥٥].

وأما جعفر بن الباقر فإنه أظهر شكواه عن شيعته بقوله حيث خاطب: أما والله لو أجد منكم ثلاثة مؤمنين يكتمون حديثي ما استحللت أن أكتمهم حديثًا».

[«الأصول من الكافي» ج١ ص٤٩٦ ط الهند].

ولأجل ذلك قال له أحد مريديه عبد الله بن يعفور كما رواه بنفسه:

«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إني أخالط الناس فيكثر عجبي من أقوال لا يتولونكم ويتولون فلانًا وفلانًا لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء ولا الصدق» [«الأصول من الكافي» ج١ ص٣٧٥ ط طهران].

وفوق ذلك شكاكًا في القوم كله، ولأجل ذلك لم يك يفتيهم إلا بفتاوى مختلفة حتى لا يفضوها إلا الأعداء والمخالفين كما مر بيانه مفصلاً.

وإنه كان كثيرًا ما يقول:

ما وجدت أحدًا يقبل وصيتي ويطيع أمري إلا عبد الله بن يعفور».

[«رجال الكشي» ص٢١٣].

ومر خاطب شيعته فقال:

ما لكم وللناس قد حملتم الناس عليّ؟ إني والله ما وجدت أحدًا يطيعني ويأخذ بقولي إلا رجلاً واحدًا عبد الله بن يعفور، فإني أمرته وأوصيته بوصية فأتبع أمري وأخذ بقولي» [أيضًا ص٢١٥].

وأما ابنه موسى فإنه وصفهم بوصف لا يعرف وصف جامع ومانع لبيان الحقيقة مثله، وبه نتم الكلام، فإنه قال:

لو ميزت شيعتي لم أجدهم إلا واصفة، ولو امتحنتهم لما وجدتهم إلا مرتدين، ولو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم غربلة لم يبقى منهم إلا ما كان لي، إنهم طالما اتكؤوا على الأرائك، فقالوا: نحن شيعة علي» [«الروضة من الكافي» ج٨ ص٢٢٨].

فهؤلاء هم أهل بيت علي رضي الله عنه وهذه هي أقوالهم وآراءهم في الذين يدعون أنهم شيعتهم، أتباعهم ومحبوهم وهم يكبّون عليهم الويلات، ويكيلون عليهم اللعنات، ويظهرون للناس حقيقتهم وما يكنون في صدورهم تجاههم، وما أكثر لعناتهم عليهم والبراءة منهم، ولكننا اكتفينا بهذا القدر لأنها كافية لمن أراد التبصر والهداية كما أننا بيّنّا الحقيقة ما يكنه الشيعة لأهل بيت علي رضي الله عنه ولأهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم من كتب القوم أنفسهم، ووضعنا النقاط على الحروف، فهل من عاقل يتعقل؟ وهل من بصير يتبصر؟

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، والله أسأل أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وهو الهادي إلى سواء السبيل وعليه نتوكل وإليه ننيب.

مصادر الكتاب ومراجعه

القرآن الكريم

كتب الشيعة

١- نهج البلاغة بتحقيق صبحي صالح.
٢- نهج البلاغة بتحقيق محمد عبده.
٣- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
٤- شرح نهج البلاغة لبن الميثم.
٥- شرح نهج البلاغة للدنبلي.
٦- شرح نهج البلاغة لعلي النقي.
٧- شرح نهج البلاغة للكاشاني.
٨- الصحيفة الكاملة لزين العابدين.
٩- تفسير العياشي.
١٠- تفسير العسكري.
١١- تفسير القمي.
١٢- تفسير فراك الكوفي.
١٣- مجمع البان للطبرسي.
١٤- تفسير الصافي للفيض الكاشاني.
١٥- تفسير البرهان للبحراني.
١٦- تفسير نور الثقلين للحويزي.
١٧- تفسير منهج الصادقين لفتح الله الكاشاني.
١٨- تفسير الميزان للطباطبائي.
١٩- تفسير الكاشف للمغنية.

٢٠- تفسير البصائر لرستكار.
٢١- متشابه القرآن ومختلفه لابن شهر آشوب.
٢٢- الكافي للكليني.
٢٣- الاستبصار للطوسي.
٢٤- التهذيب للطوسي.
٢٥- من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي.
٢٦- الشافي للشريف المرتضى.
٢٧- تلخيص الشافي للطوسي.
٢٨- مرآة العقول للمجلسي.
٢٩- الصافي للقزويني في شرح أصول الكافي.
٣٠- قرب الإسناد للحميري القمي.
٣١- الاشعثيات للاشعث الكوفي.
٣٢- الأمالي لابن بابويه القمي.
٣٣- معاني الأخبار لابن بابويه القمي.
٣٤- عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي.
٣٥- علل الشرائع لابن بابويه القمي.
٣٦- الأمالي للطوسي.
٣٧- بحار الأنوار للمجلسي.
٣٨- وسائل الشيعة للحر العاملي.
٣٩- الفصول المهمة للحر العاملي.
٤٠- المحاسن للبرقي.
٤١- كتاب الخصال لابن بابويه القمي.
٤٢- الغارات للثقفي.
٤٣- كتاب سليم بين قيس العامري.

٤٤- الاحتجاج للطبرسي.
٤٥- كتاب الغيبة للطوسي.
٤٦- كتاب التوحيد لابن بابويه.
٤٧- كتاب كمال الدين والنعمة.
٤٨- الاعتقادات لابن بابويه.
٤٩- حديقة الشيعة للمقدس الأردبيلي.
٥٠- تنزيه الأنبياء للمرتضى.
٥١- كتاب الخرائج والجراح للراوندي.
٥٢- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاؤس.
٥٣- روضة الواعظين للفتال النيسابوري.
٥٤- الأنوار النعمانية للجزائري.
٥٥- قصص الأنبياء للراوندي.
٥٦- الصراط المستقيم للنباتي.
٥٧- المراجعات لشرف الدين الموسوي.
٥٨- قصص الأنبياء للجزائري.
٥٩- إحقاق الحق للشوشتري.
٦٠- مصائب النواصب للشوشتري.
٦١- حياة القلوب للمجلسي.
٦٢- حق اليقين للمجلسي.
٦٣- مجالس المؤمنين للشوشتري.
٦٤- اجمع الفضائح للملا كاظم.
٦٥- رياحين الشريعة للمحلاتي.
٦٦- نجم الثاقب للنوري الطبرسي.
٦٧- معراج السعادة للنراقي.

٦٨- حق اليقين في معرفة أصول الدين لعبد الله الشبر.
٦٩- أسرار الشهادة للدربندي.
٧٠- إثبات الهداة للحر العاملي.
٧١- عين الحياة للمجلسي.
٧٢- المناقب للخوارزمي.
٧٣- منار الهدى لعلي البحراني.
٧٤- ذرائع البيان للنجفي.
٧٥- حلية المتقين للمجلسي.
٧٦- كتاب المناقب لابن شهر آشوب.
٧٧- المجالس السنية لمحسن الأمين.
٧٨- الإيقان للحلي.
٧٩- كتاب الخلاف للطوسي.
٨٠- تبصرة المعلمين لابن المطهر الحلي.
٨١- شرائع الإسلام للحلي.
٨٢- مسالك الإفهام شرح شرائع الإسلام للعاملي.
٨٣- علل الشرائع للصدوق.
٨٤- معالم الأصول لجمال الدين.
٨٥- فقه الشيعة للقزويني.
٨٦- منهاج الكرامة للحلي.
٨٧- تحرير الوسيلة للخميني.
٨٨- الإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر.
٨٩- أدوار علم الفقه لآل كاشف الغطاء.
٩٠- أصل الشيعة وأصولها لآل كاشف الغطاء.
٩١- الشيعة في عقائدهم وأحكامهم للقزويني.

٩٢- رجال الكشي.
٩٣- رجال النجاشي.
٩٤- فرق الشيعة للنوبختي.
٩٥- الفهرست للنجاشي.
٩٦- الفهرست لابن النديم.
٩٧- الخلاصة للحلي.
٩٨- تنقيح المقال للمامقاني.
٩٩- روضات الجنات للخوانساري.
١٠٠- مستدرك الوسائل.
١٠١- نهاية الدراية.
١٠٢- الكنى والألقاب للعباسي القمي.
١٠٣- تتمة المنتهى للعباسي القمي.
١٠٤- تحفة الأحباب.
١٠٥- نقد الرجال للتفرشي.
١٠٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهراني.
١٠٧- أعيان الشيعة لمحسن الأمين.
١٠٨- كتاب الشيعة والسنة في الميزان.
١٠٩- تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد حسن الصدر.
١١٠- الفوائد الرضويه للقمي.
١١١- رياض الجنة.
١١٢- أمل الآمل.
١١٣- نقد الرجال.
١١٤- معالم العلماء.
١١٥- معاشر الأصول.

١١٦- معجم المؤلفين للكهانة.
١١٧- مروج الذهب للمسعودي.
١١٨- تاريخ اليعقوبي.
١١٩- الإرشاد للمفيد.
١٢٠- إعلام الورى للطبرسي.
١٢١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ.
١٢٢- كشف الغمة للأربلي.
١٢٣- مقاتل الطالبيين للأصفهاني.
١٢٤- الأخبار الطوال للدينوري.
١٢٥- ناسخ التواريخ للمرزه تقي.
١٢٦- منتهى الآمال للعباس القمي.
١٢٧- دائرة المعارف الشيعية لحسن الأمين.
١٢٨- حملة حيدري للمرزه بازل.
١٢٩- التنبيه والأشراف للمسعودي.
١٣٠- تاريخ طراز مذهب مظفري.
١٣١- كتاب صفين لابن مزاحم.
١٣٢- عيون الأخبار وفنود الآثار للقرشي.
١٣٣- جلاء العيون للمجلسي.
١٣٤- الغدير للأميني.
١٣٥- الصلح الحسن لآل ياسين.
١٣٦- فضائل أمير المؤمنين لمحمد حسن المظفر.
١٣٧- أمير المؤمنين لمحمد جواد الشري.
١٣٨- ذخائر العقبي.
١٣٩- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

١٤٠- دلائل الصدق للمظفر.
١٤١- الشيعة في الميزان للمغنية.
١٤٢- الشيعة بين الحقائق والأوهام لمحسن الأمين.

كتب السنة

١٤٣- صحيح البخاري.
١٤٤- صحيح مسلم.
١٤٥- الموطأ للإمام مالك.
١٤٦- سنن أبي داؤد.
١٤٧- سنن الترمذي.
١٤٨- سنن النسائي.
١٤٩- سنن ابن ماجه.
١٥٠- السنن الكبرى للبيهقي.
١٥١- سنن سعيد بن منصور.
١٥٢- مسند أحمد بن حنبل.
١٥٣- مسند أبي داؤد الطيالسي.
١٥٤- مسند أبي عوانة.
١٥٥- مسند حميدي.
١٥٦- المستدرك للحاكم.
١٥٧- مصنف ابن أبي شيبة.
١٥٨- المصنف لعبد الرزاق.
١٥٩- مجمع الزوائد للهيثمي.
١٦٠- فواد الظمآن للهيثمي.
١٦١- جامع الأصول في أحاديث الرسول.

١٦٢- مشكاة المصابيح.
١٦٣- تفسير الكبير للرازي.
١٦٤- تفسير ابن جرير الطبري.
١٦٥- تفسير ابن كثير.
١٦٦- جامع البيان للقرطبي.
١٦٧- المدارك للنسفي.
١٦٨- المعالم للخازن.
١٦٩- تفسير أبي السعود.
١٧٠- الكشاف للزمخشري.
١٧١- فتح القدير للشوكاني.
١٧٢- أضواء البيان للشنقيطي.
١٧٣- التاريخ الكبير للبخاري.
١٧٤- التاريخ الصغير للبخاري.
١٧٥- كتاب الكنى والأسماء للدولابي.
١٧٦- كتاب الجرح والتعديل للرازي.
١٧٧- كتاب الضعفاء والمتروكين للنسائي.
١٧٨- كتاب المجروحين لابن حبان.
١٧٩- تاريخ بغداد للخطيب.
١٨٠- تذكرة الحفاظ للذهبي.
١٨١- ميزان الاعتدال.
١٨٢- سير أعلام النبلاء.
١٨٣- تهذيب التهذيب.
١٨٤- لسان الميزان.
١٨٥- تقريب التهذيب.

١٨٦- خلاصة تهذيب الكمال.
١٨٧- الاكمال لابن ماكولا.
١٨٨- السيرة لابن هشام.
١٨٩- الطبقات لابن سعد.
١٩٠- الاستيعاب لابن عبد البر.
١٩١- تاريخ ابن عساكر.
١٩٢- أسد الغابة لابن الأثير.
١٩٣- الإصابة لابن حجر.
١٩٤- كتاب دول الإسلام للذهبي.
١٩٥- البداية والنهاية لابن كثير.
١٩٦- الكامل لابن الأثير.
١٩٧- تاريخ الأمم والملوك.
١٩٨- تاريخ ابن خلدون.
١٩٩- النجوم الزاهرة.
٢٠٠- تاريخ الخلفاء للسيوطي.
٢٠١- تاريخ خليفة بن خياط.
٢٠٢- رياض النضرة.
٢٠٣- فتوح البلدان للبلاذري.
٢٠٤- سير عمر.
٢٠٥- دائرة المعارف الإسلامية اردو.
٢٠٦- نسب قريش لمصعب الزبيري.
٢٠٧- كتاب المحبر للبغدادي.
٢٠٨- أنساب الأشراف.
٢٠٩- جمهرة الأنساب لابن حزم.

٢١٠- المعارف للدينوري.
٢١١- الأسعاف في أحكام الأوقاف للطرابلسي.
٢١٢- كتاب الأموال لأبي عبيد بن سلام.
٢١٣- كتاب الآثار.
٢١٤- كتاب الخراج لابن آدم.
٢١٥- كتاب الخراج لأبي يوسف.
٢١٦- منهاج السنة لابن تيمية.
٢١٧- المنتقى للذهبي.
٢١٨- العواصم من القواصم لابن العربي.
٢١٩- تحفة اثنا عشريه للشاه عبد العزيز.
٢٢٠- الشيعة والسنة للمؤلف.
٢٢١- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء للشاه ولي الله.
٢٢٢- الصواعق المحرقة لابن حجر المكي.
٢٢٣- لسان العرب لابن منظور الأفريقي.
٢٢٤- تاج العروس للزبيدي.
٢٢٥- القاموس للفيروز آبادي.
٢٢٦- الصحاح للجوهري.
٢٢٧- معجم مقاييس اللغة لابن فارس.
٢٢٨- المخصص لابن سيده.
٢٢٩- جمهرة اللغة لابن دريد.
٢٣٠- أساس البلاغة للزمخشري.

فهرست الكتاب

الموضـــوع الصفحة

الباب الثالث



من إصداراتنا :

الشيعة والسنة

للشيخ

إحسان إلهي ظهير



من إصداراتنا :

الشيعة والقرآن

للشيخ

إحسان إلهي ظهير

